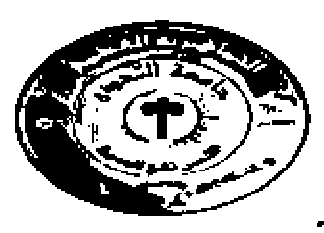
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
جامعة التحدي



كلية الآداب والتربية الدراسات العليا
قسم التاريخ

مجتمع إفريقية في العصر الفاطمي

(297 – 440 هـ / 909 – 1048م)

رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الإجازة العالية (الماجستير) في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة:

هدى الشريف عيسى بلحاج

إشراف

الدكتور: صالح مصطفى المزيني

العام الجامعي: 2008/2007

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة التحدي ـ سرت

كلية الآداب والتربية　　　　　قسم التاريخ /شعبة الاسلامي

" مجتمع إفريقية في العصر الفاطمي 297 - 440 هـ / 909 - 1048 م"

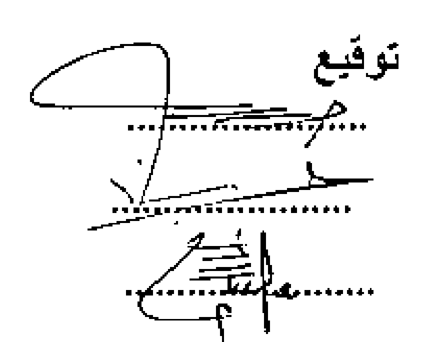
إعداد:ـــ هدى الشريف عيسى بلحاج .

أعضاء لجنة المناقشة:ــ　　　　　توقيع

1- د. صالح مصطفي المزيني . ...

2- د. عبد الحكيم غنتاب الكعبي . ...

3- د. عبدالواحد عبد السلام شعيب . ...





يعتمد

أ. رحمة ابوبتينة عبد السلام

مدير مكتب الدراسات العليا والتدريب لكلية الآداب والتربية

يعتمد

د. محمد الساعدي اصبيع

أمين اللجنة الشعبية لكلية الآداب والتربية



بسم الله الرحمن الرحيم

إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴿1﴾ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما﴿2﴾

صدق الله العظيم

(سورة الفتح)

الإهـــــــــــداء

في البدء كانت الكلمة فكانت أولاها على لساني ما علمتني أمي فنطقت بها "إمي" ولأنها لقنتني الكلمة الأولى مفتاحاً للكلمات التي منها مفردات هذه الرسالة ,, أهديها هذه الرسالة،،،،

ولأن الوالد أفرد لى جناح رحمة استظل بها في هجير مشواري، ولعله يكون فخوراً بهذا الجهد،،،إليه وإلى كل والد يغرس في أبنائه حب المعرفة والبحث وينشئهم على الخلوص والمحبة للعلم ،،أهدي هذه الدراسة،،

إلى الذي كان سنداً لى وعوناً لا في حياتي العائلية فحسب إنما سهر معي الليل وكابد مشاق السفر بحثاً عن ما يعينني في إنجاز هذا العمل صبوراً تحمل الكثير فكان رائعاً في مكابدته وجميلاً في صبره .. رفيق حياتي حمد وعائلته الكريمة .

إخوتي وأخواتي الذين ينتظرون فرح الميلاد ثمرةً يانعةً من ثمار الأسرة علها تسكب عليهم متعة البحث في مقبل أيامهم...إليهم وإلى كل عشاق الكلمة الصادقة ألف كلمة تترى بروعة الامتنان والتقدير...

الطالبة

شكر وتقدير

ليس من عمل يقوم به الإنسان إلا ويتطلب هذا العمل وقوف الآخرين معه جهداً ومساندة .. توجيهاً وإرشاداً .. لذلك أتقدم بخالص الشكر والإمتنان لكل من وقف وراء هذا العمل وإنجازه وعلى رأسهم أستاذي الجليل الدكتور صالح مصطفى مفتاح أستاذ التاريخ الإسلامي، أشكره على إشرافه على هذه الرسالة وتوجيهاته القيمة صبوراً رحباً لم يضنّ عليّ من سعة خبرته وعلمه ما أعانني على إخراج هذا العمل بصورته الراهنه جزاه الله بقدرما وهب للجيل وأفاض عليه من علمه وخبرته ..

كما أتوجه بالشكر والإمتنان للدكتور عبد الوهاب إبراهيم الزين على مراجعته اللغوية لهذا العمل وصياغته في صورته النهائية

كما أتوجه بالشكر والعرفان إلى جامعة التحدي إدارة وأساتذة وإلى مكتبتها العامرة وإلى كل من مد يد العون في طباعة هذه الرسالة وإخراجها..

جزاهم الله عني خير الجزاء

الطالبة

الاختصارات

الكلمة	الاختصار
بدون تاريخ نشر	د. ت
بدون دار نشر	ب.ن
بدون مكان نشر	د.م
توفي	ت
الجزء	ج
مجلد	مج
الصفحة	ص
أكثر من صفحة	ص ص
هجري	هـ
ميلادي	م
فاصلة بين التاريخ الهجري والميلادي	/

المحتـــــــــــــويات

المقدمة

موضوع الدراسة وأهميتها:

تتناول هذه الدراسة مجتمع إفريقية في العصر الفاطمي خلال القرنين (الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين).وتكمن أهمية هذه البحث في الكشف عن مدى الازدهار الثقافي والاقتصادي خلال هذه الفترة وذلك كإضافة علمية بجانب الدراسات التاريخية السابقة في المجال نفسه

كما تبرز أهمية هذه الدراسة في التعرف على ملابسات ظهور الدعوة الفاطمية في المنطقة الجغرافية المحددة وما واكب ذلك من مظاهر التأييد والمساندة من جانب ومن مواقف الرفض والمقاومة من جانب آخر. فيما تكشف الأحداث التي تؤرخ لحركة المقاومة المحلية من السكان المحلين ومدى تمسك هؤلاء بتقاليدهم ومدى إيمانهم بمعتقداتهم المحلية كما تجلى بوضوح في مواقف الكاهنة.وأنصارها من التيارات المذهبية الوافدة

لقد بدأت الدولة الفاطمية (297-440هـ/909-1048م) في إفريقية بفضل نشاط دعاتها، فقد بذل أبو عبد الله الشيعي دورا كبيرا في ذلك وقد ساعدته قدرته علي الإقناع واستمالة قلوب الناس ، وفصاحته وبلاغته ، فكانت سببا في ألتفاف الناس حوله ، فعمل علي كسب قبائل كتامة الكبيرة العدد ، وأصبحت إلي جانبه، فلاقت الدعوة الشيعية نجاحا كبيرا ، ومن أسباب نجاح أبو عبدا لله الشيعي في دعوته حسن علاقته بي عبيد الله المهدي ، فأخذ له البيعة في المغرب الأقصى في سلجماسه

وبدأ في توطيد أركان ودعائم دولته فأقام خلافة علوية في (رقاده) بالقرب من القيروان، وتلقب بالخليفة ، ووضع أسس الدولة الفاطمية ، وعمل علي توطيد أركانها، وأتخذ من مدينة المهدية مقرا لحكمه .

ولم يكد سلطان الدولة الفاطمية يتوطد ، حتى بدأت تتجه لتوسع على حساب جيرانها وتسعى نحو السيطرة على العالم الإسلامي شرقه وغربه.

وفي سنة (361 هـ/972م) انتقلت الخلافة الفاطمية إلي مصر ، و استخلف الفاطميون بنو زيري الصنهاجيين وستمر الحكم فيها وراثيا في بيت يوسف بلكين بن زيري ، يستمد سلطانه الشرعي من خليفة مصر ، واستمرت السيادة الفاطمية في إفريقية إلا أنها كانت قائمة علي مبدأ المنافسة بين القبائل ، حتى إذا ما تصالحت هذه القبائل استطاعت إفريقية أن تستقل نهائياً عن مصر .

لقد جاء انفصال إفريقية عن الدوله الفاطمية على خطوات ومراحل عدائية نحو الفاطميين حتي أنتهت أخيرا بالأنفصال الروحي والسياسي عن الدولة الفاطمية سنة (440هـ/1048م) عندما أعلن ذلك المعز بن باديس، فقطع الخطبة للخليفة ودعي علي منابر إفريقية للعباس بن عبد المطلب ولم يعد للدولة الفاطمية أي سلطان عليها .

تحاول هذه الدراسة وبما تتوافر من معلومات بيان الأهمية الإستراتيجية التي كانت تمثله هذه المنطقة للمسلمين كجسر هام لنقل تعاليم الدين الإسلامي وثقافته إلى باقي شمال أفريقيا وما لعبته الدولة الفاطمية في ذات الإطار وما وصلت إليه تلك الدولة الفتية من نجاحات مشهودة في سبيل نشر الدعوة الإسلامية على طول الخط الساحلي كما فعل الخليفة عبيد الله الفاطمي . ولعل هذه الدولة التي تجاوزت الحدود التقليدية للدولة الكلاسيكية في تلك الحقبة هي التي دعت إلى إعادة إنتاج فكرتها في العصر الحديث على يد القائد معمر القذافي كحلم جديد لوحدة المصير المشترك للأمة العربية والأفريقية

منهج الدراسة:

أما المنهج المستخدم في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي والسردي وذلك بعرض الأحداث التاريخية حسب التسلسل الزمني لمتطلبات الدراسة وقراءتها قراءة موضوعية مع تحرى الدقة في مقارنة هذه المعلومات بعضها بالبعض

وقد اعتمدنا في جمع المعلومات التاريخية على مصادر أولية التي تحصلنا عليها من كتابات بعض الرحالة المعاصرين للفترة التاريخية المحددة وعلى كتابات بعض المؤرخين الموثوقين في تدوينهم التاريخي. كما اعتمدنا على مراجع قيمة معتمدة أساساً على مراجع تاريخية مترجمة لم نتمكن من الحصول علي أصولها، بجانب كتابات أخرى في المجال نفسه تم جمعها من الدوريات ذات الصلة والدراسات العلمية الواردة في بعض الرسائل والأطروحات العلمية.

أما أهم هذه المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة هي:

-كتاب "المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب" وهو جزء من كتاب "المسالك والممالك " الذي قام بتأليفه أبو عبيد الله البكري (ت 487 هـ/ 1094م). وقد استفادت الباحثة من هذا المصدر في الوقوف على المعلومات الاقتصادية؛ الزراعية منها والتجارية بجانب ما وردت فيه من معلومات وصفية دقيقة للمنطقة وأسباب تسميتها بإفريقية.

-"البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لابن عذارى المراكشي (712هـ/1323م) ويحتوي الكتاب بأجزائه الأربعة الكثير من أخبار إفريقية منذ الفتح الإسلامي لها وأهميتها الدينية وأسماء أمرائها وما قاموا بها من أعمال.

-كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي (ت 626 هـ/1229م) وقد أفاد الطالبة في التعرف على إفريقية ومميزاتها الاقتصادية، وأهم السلع وطرق تسويقها.

-كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" لشمس الدين أبي عبدالله المقدسي (ت 387 هـ/997وتجارة "صدر هام مؤلفه شاهد عيان تناول الأقاليم الإسلامية وما تشتهر به من زراعة وصناعة وتجارة "

ومن أهم كتب الرحالة الجغرافيين كتاب "صورة الأرض" لابن حوقل (ت. 367 هـ/988م) . وقد استفادت الباحثة مما قدمه الكتاب من معلومات حول المحاصيل الزراعية والأنشطة التجارية ومقاربتها بما ورد في المصادر الأخرى.

ومن كتب الرحالة كذلك كتاب "رحلة التجاني" لأبي عبد الله محمد بن أحمد التجاني. وترجع أهمية هذا المصدر إلى أنه مثل كتب الرحالة يقدم معلومات مشاهدة على الطبيعة أكثر من الاعتماد علي النقل والاقتباس من المصادر الأخرى.

كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر" لابن خلدون (ت. 808هـ/1409م) جاء به كثير من المعلومات التاريخية ذات الصيغة السياسية والاقتصادية والدينية التي أفادت الباحثة في تطوير وتحسين رؤيتها للأحداث ذات العلاقة بموضوع الدراسة. حيث قدم هذا المصدر رؤية واضحة عن أقاليم إفريقية وطبيعة العمران والحضر والبدو وأسباب المعاش والصنائع والشارات الخاصة بالملك .

كتاب:اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين:لتقي الدين المقريزي(ت. 845هـ/1441م) أفاد الباحثة بمعلوماته الثرية عن الخلفاء الفاطميين والدولة الفاطمية منذ نشأتها حتى انهيارها.

كتاب "المؤنس في أخبار إفريقية والأندلس" لمحمد بن أبي القاسم الرعيني المعروف بابن أبي دينار (ت. 1092هـ/ 1631م) أفاد البحث في التعرف على الدول التي قامت في المنطقة المحددة في الدراسة كالدولة الفاطمية والصنهاجية والحفصية، كما قدم هذا المصدر معلومات قيمة حول مآثر تونس ومفاخرها وما وقعت فيها من أحداث.

-كتاب "فتوح إفريقية والأندلس" لأبي عبد الرحمن ابن الحكم ، االذي عاش في القرن الثالث الهجري يعتبر من المصادر المتقدمة التي قدمت للباحثة مادة قيمة وبيانات هامة حول الفتوحات الإسلامية للمدن الإفريقية متضمنة مختلف الروايات حول هذه الفتوحات.

الكامل في التاريخ" لابن الأثير مصدر يشتمل على معلومات دقيقة حول العالم الإسلامي ويترجم لأهم الشخصيات التي تفيد البحث في تحليله التاريخي. رغم ما يواجه الباحث من صعوبات تتمثل في المعلومات المبعثرة بين طيات هذا المصدر الأساسي والهام.

بجانب هذه المصادر وللوقوف على الأفكار المعاصرة حول موضوع الدراسة، لجأت الباحثة إلى بعض المراجع الحديثة والرسائل والأطروحات والدوريات كما هي مذكورة في هوامش هذه الدراسة.

كما اعتمدنا إلى قليل من المراجع المترجمة دون أن أتمكن من الحصول على أي مراجع بلغة أجنبية وربما لم أهتم بهذا الجانب إيماناً مني بأن المصادر العربية الواردة كفيلة بإثراء هذه الدراسة أكثر من الكتابات الأجنبية.

هيكل الدراسة:

تم تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة. وتم تقسيم الفصول إلى مباحث حسب خطة الدراسة وموضوعاتها الفرعية.

الفصل الأول: إفريقية الأرض والتاريخ: يتضمن هذا الفصل مدخلاً تمهيدياً عاماً يتناول التعريف بإفريقية وتحديد موقعها الجغرافي وأقسامها. كما يشتمل على مبحثين: المبحث الأول حول الفتوحات الإسلامية الأولى في عهد الخلفاء الراشدين وفي العصرين الأموي والعباسي. ويختص المبحث الثاني من هذا الفصل بظهور الدول المستقلة في إفريقية، ويتناول بهذا الصدد دولة الأدارسة والأغالبة والدولة الفاطمية.

الفصل الثاني: يتناول في مبحثين عناصر السكان وعاداتهم وتقاليدهم. يختص المبحث الأول منه بالعناصر غير العربية في إفريقية وحياتهم الاجتماعية. وتم تحديد هذه العناصر في البربر والأفارقة والسودان والفينيقيين والروم والفرنج. أما المبحث الثاني فيختص بالعناصر العربية بما فيهم الفاطميون وحياتهم الاجتماعية في إفريقية.

ويتناول الفصل الثالث الحياة الاقتصادية زمن الفاطميين في ثلاثة مباحث: المبحث الأول يختص بالزراعة والثروة الحيوانية بما فيها مشاريع الري، وأهم المنتجات الزراعية والثرة السمكية. ويتناول المبحث الثاني الصناعة شاملة الموارد المعدنية وأهم الحرف التي سادت في إفريقية، والتجارة بشقيها التجارة الداخلية والخارجية وما يتصل بهما من أسواق ومن وسائل للتبادل التجاري.

الفصل الرابع والأخير من هذه الدراسة يتناول المنشآت الثقافية والحضارية في مبحثين؛ المبحث الأول يختص بالحياة الثقافية متضمناً جهود الفاطميين لنشر الدعوة الشيعية ومراكزهم الإشعاعية وأدواتها في هذا الشأن من مساجد وقصور ومكتبات. وما واكب الدعوة من نهضة في مجال العلوم وصنوف المعرفة. المبحث الثاني يختص بالمنشآت الحضارية التي أقامها الفاطميون في المغرب ومصر والتي لا تزال شاهدة على مدى التقدم الحضاري؛ الثقافي منه والاجتماعي والمعماري في العصر الفاطمي.

ألحقت الدراسة بمجموعة من الخرائط التوثيقية ذات الصلة بموضوع الدراسة والتي تدعم بنورها منهجية هذه الدراسة وتؤكد على بعض المعلومات التي وردت في متنها.

تنتهي الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الطالبة من العرض التاريخي الوصفي لموضوع الدراسة.

الفصل الأول

إفريقية الأرض والتاريخ

مدخل تمهيدي عـــــام

أولاً: التعريف بإفريقية

ثانياً: تحديد الموقع الجغرافي لإفريقية

ثالثاً: أقسام والمغرب

المبحث الأول

إفريقية زمن الفتوحات الإسلامية الأولى

أولاً: الفتوحات زمن الخلفاء الراشدين

1- الفتوحات زمن الخليفة عمر ابن الخطاب

2- الفتوحات زمن الخليفة عثمان ابن عفان

ثانياً: الفتوحات زمن الأمويين

ثالثاً: التطورات الادارية في إفريقية خلال العصر العباسي

المبحث الثاني

ظهور الدول المستقلة في إفريقية

أولاً: دولة الأدارسة

ثانياً: دولة الأغالبة

المبحث الثالث

قيـــام الدولـــة الفاطمية

اولآ : ظهور الدعوة الفاطمية

ثانياً : الحياة الاجتماعيه زمن الفاطميين

إفريقية الأرض والتاريخ

مدخل تمهيدي عـــام

أولاً: التعريف بإفريقية

تعددت آراء المؤرخين في أصل لفظ (إفريقية)، فيرى البكري بأن إفريقية سميت بهذا الاسم نسبة إلى (أفريقش بن أبرهة) عندما غزا هذه البلاد وبني مدينــة إفريقية[1] في موقع واسع رحيب كثير الماء وأشتق أسمها من أسمه ونقل النـــاس إليها[2].

ويذكر ياقوت الحموي أن إفريقية سميت بهذا ألاسم نسبة إلى (فـــارق بـــن مصر بن حام بن نوح) عليه السلام حيث حاز أخوه مصر وحاز فارق إفريقية[3]. ويقول ابن أبي دينار سميت بهذا الاسم لأنها فرقـــت بـــين الـــشرق والغــرب[4]. والجدير بالذكر أن العلماء المعاصرين ناقشوا كلمة إفريقية وأختلفوا في أصـــلها، فمنهم من يميل إلى القول بأن أصل ألاسم يرد لمكان، ومنهم من يقول بأن أصـــل الكلمة اسم لشخص أو لقبيلة. وجمهرة الكتاب العرب يميلون إلى تقسيم الـــشعوب حسب قانون علم الأنساب عندهم فيقولون إفريقية نسبة إلى أهل الـــبلاد الأفارقـــة، والحقيقة أن العرب أخذوا اسم افريقية من الروم (افريكا) [5].

---

[1] أبوزيد الفقيه بن عبيدالله بن عبد العزيز البكري الأندلسي: معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا، ج/ 2، القاهرة، ط 3، 1996، ص 176.

[2] الهمذاني، ابن الفقيه أبوعبدالله احمد إسحاق: البلدان تحقيق: يوسف الهادي، د. ن، بيروت، ط 1، 1996، ص 32.

[3] شهاب الدين ابو عبدالله معجم البلدان، تحقيق فريد الجندي ، ج/1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990 ص 270.

[4] ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، 1967، ص 19.

[5] أصل الكلمة فينيقي من لفظ أفري، أنظر: حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، ص 1.

ثانيًا: تحديد الموقع الجغرافي لإفريقية

لقد حدد الإدريسي إفريقية بأنها (من طرابلس الغرب من جهة برقة والإسكندرية إلى بجاية[1]، فتكون مسافة طولها شهران ونصف شهر، أما المغرب فحدوده تلي ذلك من بلاد المسلمين غرباً) انظر ملحق رقم (1)

ويحدد ابن عذارى إفريقية من ضفة النيل بالإسكندرية إلى مدينة سلا، وهي آخر حدود بلاد المغرب. أما ابن أبى دينار فيحدد إفريقية بقوله أن أهل العلم يطلقون إفريقية على البلاد التي تحيط بالقيروان، أما أهل السير فيجعلونها إقليما مستقلاً وله حدود، ويؤكد ذلك ابن عذاري بقوله (وإفريقية أوسط بلاد المغرب)

ثالثاً: أقسام والمغرب

لقد كان هناك خلط بين لفظي المغرب وإفريقية واعتبرا نفس المدلول إلاّ أن هذا الخلط لم يستمر طويلاً حيث تحدد معنى كل لفظ وبشكل واضح، فإفريقية تمتد حدودها من نهر النيل شرقاً إلى ساحل المحيط الأطلسي إلى طنجة طولاً، ومن البحر الشامي إلى الرمال التي هي أول بلاد السودان عرضا، فجزائر بني مزغنة ومدينة بجاية هي أول بلاد المغرب الأوسط[2] انظر ملحق رقم (2)

وينقسم المغرب إلى ثلاثة أقسام:

أدني وأوسط وأقصى. وكان الرومان يقسمون المغرب إلى خمس ولايات هي: ولاية برقة غرب مصر، وولاية نوميدية (قسنطينة)، ولاية إفريقية (طرابلس المغرب وتونس وسوسة)، وولاية موريتانية الطنجية. وقسم العرب المغرب إلى ثلاثة أقسام هي: المغرب الأدنى وسماه المسلمون بذلك لأنه اقرب إلى دار الخلافة، ومملكة المغرب الأوسط، ومملكة المغرب الأقصى وسمي بذلك لبعده عن دار الخلافة[3].

---

[1] بجاية مدينة في الجزائر وأهلها تجار، وهي على البحر، كما هي قطب لكثير من البلاد. أنظر: الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط1، ج/1، 1989، ص 260.

[2] جزائر بني مزغنة هي مدينة عليها سور على سيف البحر في الجزائر ويسكنها البربر. أنظر: ابن حوقل أبو القاسم النصيبي: صورة الأرض في الطول والعرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1979، ص ص 77، 78.

[3] ابن حوقل أبو القاسم النصيبي: صورة الأرض، ، ص75.

سمى العرب في البداية شمال أفريقيا والأندلس بالمغرب، أما إفريقية فقد أطلقت على تونس الحالية، والمغرب الأوسط أطلق على الجزائر وعلى المغرب والذي يعرف في الوقت الحاضر باسم المغرب الأقصى[1]

يمتد المغرب الأدنى من الإسكندرية مروراً ببرقه إلى بجاية، أما المغرب الأوسط فيمتد من بجاية على ساحل البحر حتى وادي ملوية، أما المغرب الأقصى فيبدأ من وادي ملوية شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً. [2]

[1] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي : الاستقصا لأخبار دول المغرب، ج/1، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط1، 1954، ص ص 74، 75.

[2] ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من السلطان الأكبر، ج/1، دار الكتب العلمية، بيروت ص،130.

المبحث الأول

إفريقية زمن الفتوحات الإسلامية الأولى

اولا:الفتوحات زمن الخلفاء الراشدين

لقد دخل إلى إفريقية من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم عدد كبير من المهاجرين الأوائل، وكان عمرو بن العاص أول من دخل مصر غازياً في عهد خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، ففتحها ووجه منها عقبة بن نافع إلى ليبيا وتونس، ثم توجه بنفسه لاستكمال باقي الفتوحات.

1- الفتوحات زمن الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه:

بعد أن تولى عمر بن الخطاب الخلافة، تم فتح مصر على يد عمرو بن العاص سنة (20 هـ /640 م) وتم فتح الإسكندرية في سنة (21هـ/641م) الأمر الذي شجع عمرو على تحقيق المزيد من الانتصارات، فألحّ على الخليفة عمر بأن يأذن له بفتح مصر وقال له: (إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم، وهي أكثر الأرض أموالاً وأعجزها عن القتال).

تخوف الخليفة رضي الله عنه، وتريث ولم يستعجل في الموافقة في بادئ الأمر خوفاً على جيش المسلمين، وظل عمرو يلحّ عليه في ذلك حتى قبل وعقد له على أربعة آلاف رجل وقيل ثلاثة آلاف وخمسمائة[1].

بلغ المقوقس قدوم عمرو بن العاص، فتوجه إلى الفسطاط وأخذ بتجهيز الجيوش، وكان أول موضع قاتل فيه جيش المسلمين الروم هو (الفرما)[2]، وتمكن

---

[1] ابن خلدون :العبر،ص ص 532، 534

– ابن عبد الحكم، أبوالقاسم عبد الرحمن بن عبدالله: فتوح مصر وأخبارها، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 2، 1999م، ص 56.

[2] الطبري، أبو جعفر بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل، ج/4، دار المعارف، القاهرة، ط3، د. ت، ص ص 104، 105.

من تحقيق النصر، كما اشتبكت القوات العربية مع الروم في منطقة (بلبيس) وأحرز الجيش العربي النصر[1].

واصل جيش المسلمين تقدمه حتى أتى (بابليون) فقاتل الروم اشد قتال، وأبطأ الفتح فأمده عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بأربعة آلاف مقاتل، وكان الروم قد صنعوا خندقا حول الحصن، وتمكن المسلمون من التسلل إلى داخل الحصن وقتال الروم، فتمكنوا من النصر واقتحام الحصن [2].

بعد أن استسلم الروم وحرر المسلمون الحصن، ساروا في اتجاه الإسكندرية لتحريرها، وتمكنوا من اقتحام حصنها بعد حصار دام أشهر، وكان فتحها سنة (21 هـ /641 م) [3].

بعد ما تم للمسلمين من نصر وفتح للإسكندرية، أخذ عمرو بن العاص ينظم أمورها ليبدأ المسلمون بالرسالة التي خرجوا من شبه الجزيرة العربية من اجلها، وهي نشر الدين الإسلامي، فسار عمرو بجيشه إلى برقة [4]، وبدأ مرحلة جديدة لمد النشاط العسكري إلى أفريقية بأتجاه (برقة وطرابلس) [5].

لقد كان من الطبيعيّ أن يفكر في فتح برقة وطرابلس لعاملين رئيسيين:

أولهما: بما أن برقة وطرابلس تمثلان امتدادًا طبيعياً لمصر، كان على الفتح الإسلامي أن يؤمن مصر ضد أطماع البيزنطيين.

فإفريقية كانت في ذلك الوقت تابعة للبيزنطيين[6]. وثانيهما يتمثل في أهمية نشر الدين الإسلامي وتحرير الشعوب من الاحتلال الرومي .

توجه عمرو بن العاص إلى برقة وطرابلس وبعث (عقبة بن نافع) على رأس قوة تستطلع المنطقة ومواقع دفاعها وحصونها، وانطلق عقبة على رأس فرقته الاستطلاعية وتمكن من تنفيذ المهمة وجمع المعلومات، وكتب إلى عمرو

---

(1) بن عبدالحكم: فتوح مصر وأخبارها، مصدر سابق، ص ص 59، 61.

(2) الطبري: تاريخ الامم والملوك والرسل ، ج/4، ص ص 105، 106.

(3) ابن خلدون: العبر، مصدر سابق، ج/1، ص 532.

(4) الطبري: مصدر سابق، ج/4، ص110.

(5) محمد عبدالقادر الخطيب: الحياة السياسية في المغرب الاسلامي خلال القرن الأول الهجري، مطبعة الحسين، القاهرة، ط 1، 1989م، ص ص 23، 24.

(6) المرجع السابق، ص24.

يخبره أنه لا خوف من سير جيش المسلمين[1]. وكانت برقة تعرف قديماً بانطابلس ويسكنها قبيلة(لواتة و مزاتة) من البربر. واستقبلت هاتان القبيلتان الجيش العربي استقبالاً كريماً ودخلتا في الدين الإسلامي[2].

تابع عمرو سيره مع الطريق الساحلي، وافتتح في طريقه بقية مدن برقة(22هـ/642م) حتى وصل طرابلس فحاصرها شهراً لم يتمكن خلاله من الوصول إليها، وكانت مكشوفة السور من جهة البحر، ثم دخل المسلمون إلى المدينة(22هـ/642م) بعد أن وجدوا إليها طريقاً بعد حدوث الجزر، فدخلوا المدينة واندفعوا مكبرين وفر الروم [3]. ودخل عمرو وجيشه المدينة منتصرين بعد فرار جيش الروم منها [4].

فرغ عمرو بن العاص من فتح طرابلس والمناطق المجاورة لها وبعث إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستأذنه في التقدم في غزو إفريقية، فكتب إليه قائلاً: (إن الله فتح علينا طرابلس وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل)[5]، فكتب إليه الخليفة بالرد يمنعه فيه من ذلك ويقول له:(ما هي بإفريقية ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها)[6] ومنعه من ذلك. انصرف عمرو استجابةً لرغبة الخليفة في العودة عن فتح

---

[1] ابن عذارى:البيان المغرب ، ص 8.

– السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، ج/2، الدار القومية للطباعة، القاهرة، ط1، 1966م، ص ص 142، 143.

[2] ابن عذارى: البيان المغرب، ج/1، ص ص 8، 9.

[3] ابن عبدالحكم: فتوح أفريقيا والأندلس : تحقيق: عبدالله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1964م، ص ص 31، 32.

[4] التجاني، أبو عبدالله محمد بن أحمد: رحلة التجاني، تحقيق: حسن حسني عبدالوهاب، المطبعة الرسمية، تونس، ط1، 1958م، ص 239.

– ابن عبدالحكم: فتوح أفريقيا والأندلس، مصدر سابق، ص 32.

[5] ابن الأثير: ابوالحسن علي بن احمد :الكامل في التاريخ ، ج/3، تحقيق :ابي الفداء عبدالله القاضي ، دار الكتب العلميه ، بيروت، ط3 ، 1998 ، ص 28.

– ابن خلدون: العبر، مصدر سابق، ج/1، 534.

– ابن الآبار أبو عبدالله القضاعي: الحلة السيراء، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ط1، 1962م، ص 14.

[6] ابن عذارى: البيان المغرب ، ج/1 ص ص 8.

– البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان، ج/1، تقديم: إبراهيم بيضون، شرح: عبدالأمير مهنا، دار اقرأ، بيروت، ط1، 19962، ص 8.

باقي إفريقية وقفل راجعاً إلى مصر في منتصف عام (23هـ/ 643م) بعد أن خلف عقبة بن نافع على برقة التي أصبحت قاعدة للمسلمين، وفى هذه الأثناء استشهد الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وتولى الخلافة من بعده (عثمان بن عفان)

رضي الله عنهما، وعمل علي مواصلة الفتوحات الاسلامية من اجل نشر الدين الاسلامي ؛[1].

2 ـ الفتوحات زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه:

بعد أن استشهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في أخر ذي الحجة سنة (25 هـ/645م)[2] تولى الخلافة من بعده عثمان بن عفان رضي الله عنه وفى خلافته عزل عمرو بن العاص والي إفريقية من قبل الخليفة عمر بن الخطاب[3]، فاسند ولايتها إلى أخيه من الرضاعة (عبدالله بن سعد بن أبى سرح)[4]، وسرح معه (عبدالله بن نافع بن عبدا لقيس) و(عبدالله بن الحصن)[5]، وكتب عثمان إلى عبدالله بن أبى سرح كتاباً يوليه مصر كلها[6].

لقد شمل قرار عزل القائد عمرو بن العاص الذي اتخذه الخليفة عثمان رضي الله عنه استبدال عدد من الولاة بولاة جدد في مختلف أجزاء الدولة الإسلامية بما في ذلك إفريقية [7]. فتولاها عبدالله بن سعد بن أبى سرح واستمر في بسط نفوذ المسلمين على أطراف إفريقية .

---

[1] ابن الآبار: الحله السيراء، ج/1، ص 8.

- شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، د. ت، ص ص156، 157.

[2] الطبري: تاريخ الرسل ، ج/4، ص ص 114، 115.

[3] ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج/3، ص86.

[4] ابن خلدون: العبر، ، ج/1، ص547.

[5] النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب :نهايه الأرب في فنون الادب، ج/19، تحقيق محمد البيجاوي :دار الكتب ، القاهرة ، 1976 ص412.

[6] ابن الأثير: مصدر سابق، ج/3، ص ص 86، 88.

[7] المالكي، أبوبكر عبدالله: رياض النفوس، دار المغرب الإسلامي، بيروت، د.ط، 1994م، ص14.

استشار الخليفة رضي الله عنه الصحابة في فتح إفريقية وعزمه على ذلـك، فكتب إلى عبد الله يأمره بغزوها كما أمده بجيش عظيم فيه عدد كبير من الـصحابة رضي الله عنهم[1] منهم معد بن العباس بن عبدالمطلب ومروان بن الحكم والحارث أخوه وعبدا لله بن الزبير بن العوام وعبدالله بن عمر بن الخطاب وعدد آخـر مـن الصحابة[2].

وقد سمي هذا الجيش في التاريخ الإسلامي باسم (جيش العبادلـة) لاشـتراك هؤلاء الصحابة فيه[3]. كما بلغ عدد هذا الجيش عـشرين ألـف مقاتـل[4]، وسـار متوجهاً إلى فتح إفريقية وكان ذلك سنة (26 هـ/646م)، وفي طريقهم انـضم إلـيهم عقبة بن نافع ومن معه عدد من المسلمين في برقة ومنها ساروا إلـى طـرابلس[5] وأوغلوا في إفريقية، وكان صاحبها في ذلك الوقت ملك يدعى (جرجير) وهو مولى من قبل ملك الروم(هرقل)[6]، وكان سلطانه يمتد من طرابلس إلى طنجة[7].

جرت مراسلات في بادي الأمر بين عبدا لله وجرجير فرفض أي صلح بينه وبين المسلمين، كما رفض الدخول في الإسلام ورفض دفع الجزية والخراج وقـال (لو سألتموني درهماً واحداً لم أدفع) [8]، وبدأ مستعداً للحرب.

التحم الطرفان عند مدينة (سبيطلة)[9]، وكان عدد جيش جرجير يبلـغ مائـة وعشرين ألفا، وانتصر المسلمون، وتمكن عبدالله بن الزبير من قتل جرجير وأخـذ ابنته[10]، وانهزم جيش الروم ولاحق المسلمون فلولهم المهزومـة داخـل الحـصن

---

[1] ابن الأثير: مصدر سابق، ج/3، ص89.

[2] ابن خلدون: العبر، ج/2، مصدر سابق، ص552.

[3] البلاذري: فتوح البلدان ، ص326.

[4] ابن عذارى: مصدر سابق، ج/1، ص9.

[5] ابوالعباس الناصر: مصدر سابق، ص75.

– ابن عبدالحكم: فتوح مصر، مصدر سابق، ص184.

[6] التجاني: رحلة التجاني ، ص58.

[7] ابن خلدون: العبر، ج/2، ص548.

[8] المصدر السابق، ج/2، ص549.

[9] مدينة سبيطلة بينها وبين القيروان سبعون ميلاً، وهي مدينة ذات بساتين، وكانت مدينة جرجيس ملك الروم، افتتحها المسلمون في صدر الإسلام. انظر: الإدريسي: مصدر سابق، ، ص 283.

[10] ابن عذارى: مصدر سابق، ج/1، ص11.

وحاصروا المدينة وفتح الله عليهم وأصابوا فيها أموالاً وغنائم كثيرة وذلك سنة (27هـ / 647 م)[1].

استطاع المسلمون في عهد الخليفة عثمان فتح بلاد إفريقية وقبرص وأرمينية كما سيطروا على بلاد فارس وفتحوا بلاد طبرستان[2].

استمر المسلمون في فتوحاتهم إلى أن عصفت بالخلافة المشاكل والخلافات فحدثت الفتنة الكبرى التي انتهت بمقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه وكان ذلك سنة (35 هـ/654م)[3].

ثانياً- الفتوحات زمن الأمويين

تسلم معاوية الخلافة سنة (41 هـ/660م) [4]، وعهد إلى معاوية بن حديج الكندي السكوني بولاية مصر وكان ذلك سنة (42 هـ/667م)

اختلف المؤرخون في عدد الحملات التي قام بها معاوية بن حديج، فتذكر بعض المصادر أنه قام بثلاث حملات خرجت من مصر إلى أجزاء أخرى من إفريقية. وقد أشار المؤرخون إلى الحملة الأولى والثانية إشارات عابرة دون ذكر تفاصيل لها. ويبدو أنها كانت مجرد حملات استطلاعية صغيرة، لأن الدولة الإسلامية كانت تعصف بها المشاكل والاضطرابات الداخلية.

أما الحملة الثالثة فكانت بعد استقرار الأمر للخليفة معاوية فعهد إلى معاوية بن حديج بذلك وكانت سنة (45 هـ/666م)[5] وظل معاوية بن حديج يواصل فتوحاته وانتصاراته إلى أن عزله الخليفة وكان ذلك سنة (50 هـ /670م) وأسند إليه ولاية مصر وحدها.

---

[1] المالكي: مصدر سابق، ص ص20، 21.

[2] ابن خلدون: العبر، ج/1، ص550.

[3] محمد مصطفى النجار: تاريخ الخلفاء الراشدين، د.ن ، ط 1، 1964م، ص145.

- علي حسن الخربوطلي: الدولة العربية الإسلامية، دار الكتب العربية، القاهرة، د.ط ، 1966م، ص97.

[4] ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج/3، ص404.

[5] ابن عذارى: البيان المغرب ، ج/1، ص ص، 5، 6.

- المصدر نفسه،ص، 6.

- ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ص455.

وتم اختيار عقبة بن نافع سنة (50-55هـ /670- 675م) لقيادة الفتح في إفريقية، وواصل فتوحات المسلمين التي بدأها قادة المسلمين من قبل[1].

لقد بدأ عقبة عمليات الفتح المنظم في إفريقية بتأمين الأماكن الداخلية وتأسيس قواعد للمسلمين تنطلق منها الحملات للقضاء على الأعداء ونشر الدين الإسلامي[2].

ومن هنا بدأت فكرة تأسيس مدينة القيروان فأختطها. ويذكر البلاذري أنها كانت موضع غيضة وطرفاء وعدد لا يرام من السباع والحيات والعقارب، وكان ابن نافع رجلاً صالحاً مستجاب الدعاء، فدعا ربه فأذهب هذا كله، وكان بناؤها سنه(50هـ/670م)، وجعل طول سورها اثني عشر ميلاً، وبنى بها داراً للإمارة ثم أتى إلى موضع بني فيه المسجد الأعظم[3]، وبذلك وضع عقبة حجر الأساس في مدينة أصبحت مركز إشعاع حضاري، فكانت من أعظم مدن إفريقية التي جمعت الثقافة والسياسة والاقتصاد وصارت قبلة يقصدها طلاب العلم من كل حدب وصوب لينهلوا منها مختلف العلوم والحضارة[4].

كما قام أيضاً بتنظيم ولايته إدارياً، وإعداد جيشه للفتح[5]، وسار بجيشه في إفريقية حتى وصل عاصمة الروم (قرطاجنة) وتمكن من فتحها.

في سنة (60 هـ /671م) توفي معاوية بن أبي سفيان وتولى الخلافة من بعده ابنه (يزيد) والذي عزل في سنة (62هـ/681م) أبا المهاجر دينار وأسند ولاية إفريقية إلى عقبة بن نافع من جديد في ولاية ثانية[6].

واصل عقبة سيره وفتوحاته، ففتح بلاد الجريد وغزا فزان وصالح أهلها

---

[1] شكري فيصل: المرجع السابق، ص ص162، 163.

[2] احمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1، 2003، ص41.

[3]ابن الآبار، أبو عبدالله القضاعي: مصدر سابق، ص462. كذلك أنظر: ابن الأثير، مصدر سابق، ج/3، ص466.

[4] البلاذري: مصدر سابق، ص ص328، 329.

– حبيب الجنحاني: القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية، دار النشر التونسية، تونس، ط1، 1968م، ص58.

[5] محمود شيت: قادة فتح المغرب العربي، ج/1، دار الفتح، بيروت، ط1، د. ت، ص 138.

[6] ابن خلدون: العبر، مصدر سابق، ج/3، ص13.

على (ثلاثمائة وستين عبداً) [1]، وشتت جموع البربر في الزاب وتاهرت وواصل سيره حتى وصل مدينة سبتة [2].

فتح مدينة طنجة وكانت داراً لملوك الغرب، وكان صاحبها (يوليان)، وأراد عقبة السير إلى الجزيرة الخضراء من عدوة الأندلس فقال له يليان: (أتترك كفار البربر خلفك وترمي بنفسك في الهلاك مع الفرنجة ويقطع البحر بينك وبين المدد ؟ فقال عقبة: وأين كفار البربر؟ فقال له: ببلاد السوس) [3]، فرحل عقبة من طنجة إلى السوس الأدنى ومضى منه إلى السوس الأقصى فقاتل البربر، وظل يواصل سيره محققاً النصر تلو النصر حتى وصل المحيط الأطلسي [4].

أشتبك عقبة مع البربر بقيادة كسيلة وقد فقد عقبة اعداد كبيرة من جيشة بعد الفتوحات والمعارك التي خاضها .

وأستشهد عقبة ومن معه من الصحابة في هذة المعركة وكانوا ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين من بينهم أبو المهاجر دينار الذي أخذه معه وأبلى رضي الله عنه بلاءًا حسناً [5]، ولا تزال قبور هؤلاء الصحابة بمكانهم إلى اليوم. كما أقيم مسجد في ذاك المكان عرف بمسجد عقبة، وهو في عداد المزارات لعدد من شهداء الصحابة والتابعين[6]. وزحف كسيلة بعد ذلك في اتجاه القيروان، دار إمارة المسلمين بالمغرب ومعه جموعه من البربر والروم، فدخلها واستولى على إفريقية ونصب نفسه أميراً على البربر [7].

---

(1) ابن عذارى: مصدر سابق، ج/1، ص23.

(2) مدينة سبته: مدينة على بحر الزقاق من ناحية المغرب وبينها وبين القيروان ألفا ميل، انظر: ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص30.

(3) ابن عذارى :البيان المغرب ج/1، ص26.

– أبو العباس الناصري: الاستقصا ، ص83.

(4) المالكي: رياض النفوس ، ص ص 36، 39.

(5) ابن خلدون: العبر، ج/3، ص14.

(6) شكري فيصل: مرجع سابق، ص169.

(7) ابن عذارى: مصدر سابق، ج/1، ص31.

ولما بلغ زهيراً استشهاد عقبة رأى أنه لا طاقه له ولجيش المسلمين بهذا العدد من البربر والروم فنادي في الناس بالرحيل إلى المشرق وبقي زهير مقيماً في برقة ومنتظراً المدد من الخليفة[1] عبد الملك بن مروان .

وصل المدد إلى زهير في برقة وتقدم بقواته ولما بلغ كسيلة ذلك رحل عن القيروان خشية أن يثور المسلمون عليه، فقرروا النزول في مكان آمن وخرج عن القيروان، فتقدم زهير إلى القيروان ولم يدخلها لمدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع رحل عنها حتى أشرف على معسكر كسيلة في ممش في الهضبة إلى الجنوب الشرقي بجبال أوراس، وكان الوقت آخر النهار ولم يقاتل زهير كسيلة ولما أصبح صلى عقبة بالمسلمين وزحف إليه والتحم الطرفان أشد الالتحام فأبلي المسلمون بلاءًا حسناً حتى هزموا كسيلة بن الكاهنة وتعقبوا فلوله يقاتلونهم، وقتل في هذه المعركة عدد كبير من زعماء البربر وفرسانهم[2]، ثم رحل زهير عن إفريقية ورفض أن يقيم بها ملكاً عظيماً وقال (إني ما قدمت إلا للجهاد وأخاف أن أميل إلى الدنيا فأهلك)[3]، وقفل راجعاً إلى مصر فبلغ الروم ذلك فأغاروا عليه عند برقة واستشهد زهير ومن معه من الصحابة .

تولى حسان سنة (73هـ-85هـ/692م-704م) مواصلة الفتوحات الإسلامية في إفريقية، ووصله كتاب الخليفة عبد الملك بولاية افريقية وبالتوجه لفتحها والقضاء على تحركات البربر والروم بها، وقد أطلق يده على أموال مصر[4] فخرج في جيشٍ من مصر يذكر المؤرخون أنه لم يدخل إفريقية جيش أضخم منه حيث بلغ تعداده أربعين ألفاً[5] .

---

[1] أبوالعباس الناصري: مصدر سابق ، ص84 .

[2] ابن الأثير: الكامل فالتاريخ ، ج/4، ص ص 108، 109.

- ابن عذاري: البيان المغرب ، ج/1، ص 33.

- ابن عبدالحكم: فتوح افريقية والأندلس، مصدر سابق، ص 61.

- أبوالعباس الناصري: الاستقصا ، ص 91.

[3] المالكي: رياضا لنفوس، ص ص 46،47.

[4] ابن الأبار: الحلة السيراء ، ص466.

[5] ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج/4، ص ص 110، 111.

- ابن عذاري: البيان المغرب ، ج/1، ص34.

- ابن الأبار: الحله السيراء ، ص467.

لقد قام حسان بحملتين قبل هذه الحملة، الأولى كانت سنة (74هـ) والثانية سنة (78هـ) [1]، إلا أن المؤرخين اختلفوا في تحديد سنة الحملة الثالثة التي خرج فيها حسان بجيشه من مصر.

لقد تعاظم أمر البربر وتعدد سلطانهم وجيوشهم وكان أعظمهم شوكة الكاهنة

(داهية الزناتية) [2]. توجه حسان لمواجهة هذه الكاهنة والقضاء عليها وبعد أن أكمل حسان استعداده، سار بجيشه للقاء الكاهنة وعندما اقترب وصوله منها رحلت من جبل أوراس والتقت بجيش حسان وحقق حسان النصر عليها وهزم جموعها[3]، واستمر في مطاردة الكاهنة وفلولها حتى قتلها بمكان يعرف حتى الآن (ببئر الكاهنة) [4]، ويقع في جبل أوراس، وقد أجتز حسان رأس الكاهنة وأرسله إلى الخليفة عبدالملك بن مروان[5]، واقتحم حسان الجبل وسأله البربر الأمان فأمنهم وكانوا زهاء مائة ألف وأشترط عليهم الإسلام فأسلموا وأحسنوا إسلامهم، كما أشترط عليهم بعد إسلامهم أن يكون منهم في جيش المسلمين اثنا عشر ألفا يجاهدون في سبيل الله وينشرون الإسلام فأجابوه لذلك[6].

واستمر حسان والياً على إفريقية إلى أن تم عزله من قبل والي مصر عبدالعزيز بن مروان فأمره بالقدوم إليه وولي موسى بن نصير على إفريقية[7]، سنة (85هـ-93هـ/704-712م)

لقد بدأ موسى فتوحاته من إفريقية إلى طنجة وفر البربر من أمامه فخرج في أثرهم حتى بلغ السوس الأدنى وطلبوا منه الأمان فأمنهم[8] في سنة (93هـ

---

(1) السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المغرب الإسلامي في العصور الوسطى، مؤسسة شباب الجامعةالاسكندرية ط1،دت، ص156.

(2) ابن عذارى: البيان المغرب ، ج/1، ص35.

- أبوالعباس الناصري: الاستقصا، ص92.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج/4، ص136.

(4) أبو العباس الناصري: مصدر سابق، ص94.

(5) التجاني: رحلة التجاني، ص58.

(6) ابن الأثير: مصدر سابق، ج/4، ص136.

(7) ابن عبدالحكم: فتوح إفريقية والأندلس، مصدر سابق، ص68.

(8) ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص 35.

/711م) ولى موسى ابنه عبدالله إفريقية وعبر البحر قاصداً الأندلس مجاهداً في سبيل الله وفتح بها فتوحاً كبيرة[1].

وفي سنة (95هـ/713م) عاد من الأندلس إلى إفريقية متوجهاً إلى المشرق ومخلفاً على إفريقية ابنه عبد الله، وعلى طنجة ابنه عبد الملك، وعلى الأندلس ابنه عبدالعزيز [2]

ثم عزل الخليفة سليمان بن عبدالملك عبدالله بن موسى بن نصير عن المغرب وولى مكانه(محمد بن يزيد الأنصاري) والذي استمر والياً عليها لمدة سنتين وثمانية أشهر[3].

توفي الخليفة سليمان وتولى الأمر من بعده عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، وتولى أمر إفريقية (إسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر) مولى بني مخزوم، وقدم القيروان سنة (100هـ/ 718م)

وبعد وفاة عمر بن عبدالعزيز وتولي يزيد بن عبدالملك الخلافة سنة (101هـ/719م)، ولى إفريقية (يزيد بن أبي مسلم) مولى الحجاج بن يوسف الثقفي فقدم إلى إفريقية سنة (102 هـ/720م) [4] فتآمر عليه وقتلوه وفي سنة (103هـ /721م). قدم بشر إلى القيروان والياً واستقر بها واستصفى آل موسى بن نصير وغزا صقلية سنة (109 هـ /727م)، وحقق نصراً وفتحاً بها [5]، ثم توفي بعد غزوه صقلية، وظل نائبه (أبوالعباس بن ياضعة الكلبي) والياً على القيروان حتى وصل (عبيدة بن عبدالرحمن السلمي) والياً من قبل الخليفة هشام بن عبدالملك فقدمها سنة (110هـ /728م) إلاّ أن الخليفة هشام عزله لسوء معاملته لعمال بشر ابن صفوان وسجنه وتعذيبه لهم، فكتبوا إلى الخليفة يشكونه ظلم عبيدة بن عبدالرحمن لهم فعزله وكانت مدة ولايته أربع سنين وستة أشهر[6].

---

[1] أبوالعباس الناصر: مصدر سابق، ص ص 58- 100.

[2] ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبدالله بن مسلم :الأمامة السياسة ، ج/1، تحقيق طه محمد الزيني ، د.ن،القاهرة،د.ت،ص ص52

[3] أبوالعباس الناصر: الاستقصا ، ص100.

[4] ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج/6، ص120.

[5] ابن عذارى: البيان المغرب ، ج/1، ص49.

[6] المصدر السابق، ج/1، ص50.

- ابن أبي دينار: المونس ، ص ص 39، 40.

ولم تكن هناك أي فتوحات تذكر في زمن عبيدة بن عبدالرحمن السلمي، واستمرت الأوضاع مستقرة في إفريقية، ولولا سوء سياسته ومعاملته مع عمال بشر بن صفوان ما كان الخليفة أن يعزله ويكف يده عنهم بعدما اشتكوا منه.

قدم عبدالله بن الحبحاب إفريقية في ربيع الآخر سنة (116-123 هـ /734-741م) وأصبح والياً لكل من إفريقية والأندلس

وعند أول فتوحه بعث ابن الحبحاب (حبيب بن أبي عبيده بن عقبة بن نافع الفهري) غازياً ، وفتح مناطق كثيرة حتى بلغ السوس الأقصى[1]، كما قاتل حتى بلغ السودان[2]، ثم أغزاه صقلية ففتح سرقوسة وفرض على أهلها الجزية[3]، إلاّ أن عامله (عمر بن عبدالله المرادي) على طنجة قد اتبع سياسة قاسية تجاه البربر، فيذكر أبوالعباس (أنه تعدى في الصدقات والعشر وأراد أن يخمس من أسلم منهم وزعم أنه الفيء) [4]، فكان نتيجة سياسته هذه أن نفرت قلوب البربر وانتشرت النقمة لسوء معاملته لهم .

انتقضت البلاد وثار أهل الأندلس فاختلطت الأمور على ابن الحبحاب الأمر الذي دعا الخليفة هشام بن عبدالملك أن يكتب إلى ابن الحبحاب يأمره بالقدوم إليه[5].

وبعد كتاب الخليفة هشام إلى ابن الحبحاب بالقدوم إليه، وجه كلثوم بن عياض القيسي إلى إفريقية فقدمها والياً سنة (123-124هـ /741م-742م)، كما وجه معه جيشاً كثيفاً بلغ تعداده اثني عشر ألفا[6]، كما انضمت إليه أعداد أخرى من المسلمين من البلاد التي مر بها فصار عدده سبعين ألفا[7]، وسار كلثوم بجيشه حتى بلغ وادي (سبو) فالتقى بخالد حميد الزناتي وجيشه من البربر، واشتد القتال

---

[1] ابن أبي دينار: المؤنس ، ص 40.

- ابن عذاري: البيان المغرب ، ج/1، ص51.

[2] ابن عبدالحكم: فتوح مصر وأخبارها، مصدر سابق، ص80.

[3] ابن عذاري:المصدر السابق، ج/1، ص51.

[4] أبو العباس الناصري: الاستقصا ، ص106

[5] ابن عبدالحكم: فتوح إفريقية والأندلس ، ص70، 71.

[6] ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص41.

[7] أبوالعباس الناصر: المصدر السابق، ص110.

بين الطرفين، واستشهد كلثوم وحبيب بن أبي عبيدة فتفرقت عساكر المسلمين، فمضى أهل إفريقية إلى القيروان، أما أهل الشام فمضوا إلى الأندلس مع (بلج بن بشر) [1] .

بعد هذه الأحداث واستشهاد كلثوم بن عياض بعث الخليفة هشام بن عبدالملك (حنظلة بن صفوان) والياً إلى إفريقية سنة (124 هـ / 742م) .

وفي سنة (127 هـ /745م) خرج عليه (عبدالرحمن بن حبيب الفهري) فوجه إليه حنظلة أبا الخطاب، فدعي حبيب الناس إليه فأجابوه وكره حنظلة قتاله، فحاول أن يتفق معه على أمر يجنبهم قتال المسلمين، فوجه إليه جماعة من وجوه إفريقية يدعونه إلى الطاعة، فلما قدموا إليه أسرهم ودخل بهم القيروان وقال (إن رميتم ولو بحجر قتلت من في يدي) [2].

خرج حنظلة إلى المشرق سنة (127هـ/745م) واستولي عبد الرحمن على القيروان[3]، وتولى الخلافة مروان بن محمد، فبعث إليه بعهده، إلاّ أن أمور الدولة الأموية قد ضعفت، فقتل الخليفة مروان بن محمد وكان آخر الخلفاء الأمويين فزالت بذلك الدولة الأموية (132 هـ / 749م) واستمر عبدالرحمن بن حبيب والياً على إفريقية مدة عشر سنين وسبعة أشهر إلى أن قتله أخوه (الياس) واستولى على إفريقية سنة(137هـ/754م) [4].

ثالثاً: التطورات الأدارية في إفريقية خلال العصر العباسي

سقطت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية، ومع سقوط الدولة الأموية اضطربت الدولة العربية الإسلامية في مختلف أرجائها، فكثرت الفتن والنزاعات، كما انشغل بنو العباس بتثبيت سلطانهم ودولتهم في المشرق الإسلامي، ونجحوا في ذلك فاستمرت دولتهم طيلة خمسة قرون.

---

[1] ابن خلدون: العبر، ج/3، ص190.

[2] ابن عذاري:البيان المغرب ، ص ص60، 61.

[3] أبو العباس الناصر: الاستقصا ، ص122.

[4] ابن عذاري: المصدر السابق، ج/1، ص171.

فولى أبوالعباس على إفريقية (عبدالرحمن بن حبيب)، والذي بايعه بالخلافة فاستمر والياً عليها [1] إلى أن خرج عليه (حبيب بن عبدالرحمن بن حبيب بن الياس) وقتله، وتولى أمر الخلافة وكان آخر الأمراء من آل عقبة بإفريقية[2].

ثم استولى (عبدالملك بن أبي الجعد) على القيروان وقتل بها أعداداً كبيرة من العرب وكان ذلك سنة (139 هـ /756م)، فقام عليه (أبوالخطاب عبدالأعلى بن السمح المعافري) وكان من وجوه العرب وقتل عبد الملك وأصحابه، كما قضى في سنة (142هـ/759م) على (أبي الأحوص العجلي) وأصبحت إفريقية في يديه إلى أن قضى عليه (محمد بن الأشعث الخزاعي) وتولى إفريقية[3].

بعد قضائه على أبي الخطاب تولى إفريقية، فدخل القيروان سنة (144هـ /761م) وفي عهده ازدهرت إفريقية، واستمر والياً لمدة خمس سنوات حتى ثار عليه الجند سنة (148هـ/765م) وولوا عليهم (عيسى بن موسى العباسي)، إلا أنه لقي نفس مصير ابن الأشعث فلم تستمر ولايته سوى ثلاثة أشهر حيث ثار عليه الجند وعزلوه[4].

بعث الخليفة العباسي المنصور الأغلب بن سالم والياً على إفريقية، إلا أن ولايته لم تستمر سوى سنة وثمانية أشهر [5].

وفي سنة (151هـ/768م) تولى عمر بن حفص إفريقية، واستمرت ولايته ثلاث سنين ثم أخذه البربر غدراً [6]، فبعث الخليفة المنصور يزيد بن حاتم والياً على إفريقية سنة (153هـ/770م) [7]، وكان حسن السيرة وأحسن إلى الرعية، وأصلح إفريقية واستمرت ولايته خمس عشرة سنة [8]، ثم خالفه ابنه داؤد بن يزيد

---

[1] ابن خلدون: العبر، ج/3، ص299.

[2] ابن عذاري: المصدر السابق، ج/1، ص64.

[3] أبوالعباس الناصر: المستقصا ، ص ص122، 123.

[4] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج/6، ص133.

– ابن عذاري: البيان المغرب ، ج/1، ص72.

[5] النويري: نهاية الارب ، ج/5، ص ص 586، 587.

[6] المصدر السابق، ج/5، ص 598.

– ابن الأثير: مصدر سابق، ج/6، ص ص 134، 135.

[7] النويري: نهاية الارب ، ج/5، ص 598.

[8] ابن أبي دينار: المؤنس، ص 48.

بن حاتم ولم يستمر طويلاً في ولاية إفريقية. ثم قدم إليه روح ابن حاتم فتولى إفريقية [1]، ثم تولى الخلافة من بعده الفضل بن روح ابن حاتم [2] والذي قتل على يد ابن الجارود المعروف بعبد ربه الأنباري، فولى الرشيد هرثمة بن أعين بعد مقتل الفضل وقتل ابن الجارود، ثم كتب إلى الخليفة يطلب منه الإعفاء من ولايته إفريقية فقبل الخليفة طلبه وأعفاه[3].

وقدم محمد بن مقاتل العكي والياً على إفريقية سنة (181هـ/800م) ولم ينجح في تهدئة الأمور، ولسوء سيرته ثار عليه الجند بقيادة (أبي الجهم التميمي) عامل على تونس وهزم أبوالجهم ابن مقاتل ودخل القيروان [4]. وطلب ابن المقاتل الأمان من أبي الجهم، فأمنه وخرج من القيروان وسار إلى طرابلس، وفي هذه الأثناء جمع إبراهيم بن الأغلب جيشاً من الزاب سيره إلى القيروان ودخلها وكتب إلى ابن مقاتل يدعوه إلى العودة، فعاد فأنزعج الناس لعودته بسبب سوء سياسته معهم، فالتفوا من جديد حول ابن الجهم ولما شعر الأخير أن لديه قوة عزم على مهاجمة القيروان إلا أن إبراهيم بن الأغلب تمكن من هزيمته وتولى إفريقية بطلب من الأهالي والجند[5].

وفي أواخر القرن الثاني للهجرة شهد المغرب الإسلامي قيام دويلات مستقلة عن الدولة العباسية[6]. ففي المغرب الأدنى وبالتحديد القيروان قامت دولة الأغالبة، وفي المغرب الأوسط بتاهرت قامت دولة الرستميين، وفي المغرب الأقصى بفاس قامت دولة الأدارسة الحسينين، وفي سلجماسة قامت دولة بني مدرار، وفي الريف الغربي من المغرب الأقصى قامت دولة بن صالح بن طريف البرغوطي، وجميع هذه الدول كانت مستقلة عن الخلافة العباسية ماعدا دولة الأغالبة

---

[1] ابن عذارى: مصدر سابق، ج/1، ص72.

[2] ابن الأثير: مصدر سابق، ج/6، ص 135.

[3] ابن خلدون: العبر، ج/3، ص 266.

[4] ابن عذارى: البيان المغرب، ج/1، ص89.

[5] المصدر نفسه، ص90.

[6] المصدر نفسه،ص89.

المبحث الثاني

ظهور الدول المستقلة في إفريقية

أولاً: قيام دولة الأدارسة (172-375هـ/ 788-985م)

تعتبر دولة الأدارسة العلويين أولى الدول المستقلة التي ظهرت في المغرب. تأسست هذه الدولة في مدينة فاس بالمغرب الأقصى على يد الإمام (إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب) رضي الله عنهم[1].

وقد فر الإمام إدريس من بطش العباسيين سنة (169هـ/777م) في عهد الخليفة الهادي والتف حوله البربر[2]، واستقامت له الأمور وكثر أتباعه في عهد الخليفة هارون الرشيد، فخشي من ذلك فبعث إلى عامله بالقيروان ليتدبر أمر الأدارسة بالمغرب الأقصى، فقام الأخير بإرسال رجل يعرف (بالشماخ) فاغتاله [3].

إلا أن ذلك لم يقض على دولة الأدارسة فولى أتباع الإمام ابنه الصغير الذي عرف بإدريس الثاني والذي في عهده استطاعت دوله الأدارسة الخروج من سيطرة الدولة العباسية [4]. وفي سنة (192هـ/707م) شرع في بناء حاضرة لدولته فبني مدينة (فاس)[5].

توفي إدريس الثاني سنة (213هـ/828 م) [6] وأستمرت دولة الأدارسة حتى قضت عليها الدولة الفاطميين في عام (375هـ/985 م).

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب ، ج/1، ص82.

(2) عمر رضا كحالة: العالم الإسلامي مختصر تاريخ الدولة الأسلامية، المطبعة الهاشمية، دمشق، ط2، 1958، ص96.

(3) المرجع نفسه ص96.

(4) ابن عذارى: مصدر سابق، ج/1، ص ص82، 83.

(5) ابن أبي دينار: المؤنس ، ص ص102، 103.

(6) ابن خلدون: العبر، ج/3، ص281.

- الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم: تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: عبدالله العلي الزيدان، دار الغرب، بيروت، ط1، د.ت ، ص 176.

ثانياً: قيام دولة الأغالبة (184-296 هـ/800- 909م)

عمل الخليفة هارون الرشيد على إخماد ثورات البربر، فاتبع سياسة اللين وإقامة علاقات ودية مع بني الأغلب في المغرب الأدنى. وكان من نتائج هذه السياسة ظهور دولة الأغالبة بالقيروان بعد أن وقفت في وجه الأدارسة، وعهد إلى إبراهيم بن الأغلب بولاية إفريقية، وقد وقف الأخير في وجه الأدارسة وتمكن من الانتصار عليهم[1].

تنسب دولة الأغالبة إلى الأغلب بن سالم التميمي، وقد أخذ بنو الأغلب في القرن (الثالث الهجري/الثامن الميلادي) يغزون سواحل البحر الأبيض المتوسط، كما أغاروا على مملكتي إيطاليا وفرنسا وسردينيا وصقلية ومالطا، وتمكن الأغالبة من الاستيلاء على صقلية، ورتبوا وقسموا البلاد وخططوا المدن، ونشطت في عهدهم الفلاحة والصناعة في صقلية[2]. كما تمكن الأغالبة من الاستيلاء على بعض المرافئ في البحر الأدرياتيكي. وفي سنة (290هـ/909م) تولى زيادة الله بن عبد الله بن الأغلب بعد قتله أبيه ولاية إفريقية، وكان كثير اللهو ويشرب الخمر، وأهمل أحوال الرعية، وفتك بأهل بيته. وفي عهده اشتد أمر أبي عبدالله الشيعي القائم بالدعوة الفاطمية بإفريقية [3].

يعتبر عهد زيادة الله (290-296هـ/909-915م) بداية انهيار الدولة الأغلبية، حيث بدأ ظهور الدعوة الشيعية فدخل العلويون إلى إفريقية، وبدأت الدعوة الشيعية في الظهور هناك عند قدوم أبي عبدالله الشيعي صاحب البذر، فتمكنت هذه الدعوة من إعداد قوة خطيرة، خاصة وأنها قامت بذاتها واعتمدت على إقناع القبائل البربرية مثل قبيلة كتامة الكثيرة العدد [4].

حاول الأغالبة مواجهة العدو، فلجأ زيادة الله الثالث إلى العمل بمذهب السنة حتى يتمكن من الحصول على تأييد العامة، وفي سنة (291 هـ/903م) قرر بذل

---

[1] ابن عذاري: البيان المغرب ، ج/1، ص83.

[2] الرقيق القيرواني: مصدر سابق، ص 176.

- عمر رضا كحالة: مرجع سابق، ص 96.

[3] ابن عذاري: مصدر سابق، ص 124.

- ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج/7، ص 520.

[4] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985م، ص 668.

المزيد من الجهود وتعبئة مذهب السنة تعبئة رسمية، فدعا إلى عقد مجلس وجمع كبار الفقهاء بإفريقية[1]. وعمل على توثيق صلات الإمارة الأغلبية بالخلافة العباسية لمواجهة الخطر الشيعي، إلاّ أن هذه الصلات تفككت بمرور الوقت فلم يوف زيادة الله الثالث بدفع الخراج المحددة كل سنة أي أربعين ألف دينار لمدة طويلة. واستمر الضعف يدب في أجزاء الأمارة الأغلبية مع قصور زيادة الله في إدارة شئون الدولة بقوه وحكمة، وبات الخطر يهدد القيروان والهجوم الشيعي قاب قوسين أو أدنى منها. وفي النصف الثاني من سنة (291هـ/903م) خرج أبي عبدالله الشيعي إلى مدينة (سطيف) لاقتحامها، واستمر في حصارها لمدة أربعين يوماً دون نتيجة، ثم تمكن من هدم أسوارها ودخولها والسيطرة عليها، والتقى الجيشان في (كيونة) وهزم الجيش الأغلبي [2]، فتحطمت بذلك قوة الأغالبة الهجومية بعد معركة كيونة، ووجه الداعي هجومه نحو عاصمة الزاب (تبنة) فتفاقم ضغط الشيعة وقضى الشيعة على الأغالبة في معركة الأربس (296 هـ /909م) [3]، وكان ذلك في خلافة المقتدر بالله. وبعد وصول الخبر إلى رقادة وعلم زيادة الله بهذه النكبة، أرسل إليه المقتدر بالله بالعودة إلى قتال أبي عبد الله، إلا أن الأمير الأغلبى اعتبر ذلك قضية خاسرة بعد هزيمة جيشه الذي كان يأمل في تحقيق النصر على يديه، فعزم على الفرار وأقام بمصر واستمر في لهوه وملذاته. وطال مقامه بمصر ففر جمعه وسار هو إلى بيت المقدس وأقام هناك إلى أن مات [4] .

لقد هزم أبي عبد الله الشيعي بني الأغلب في عدة مواقع، ويرجع السبب في ذلك إلى ضعف السياسة والانصراف إلى حياة اللهو من قبل آخر أمراء بني الأغلب في الوقت الذي كانت فيه الدولة الفاطمية في أوج قوتها، والدعوة الشيعية

---

[1] محمد الطالبي :المرجع السابق، ص 701.

[2] محمد الطالبي: مرجع السابق، ص 712.

[3] المرجع السابق، ص 743.

[4] ابن عذارى: البيان المغرب ، ص 124.

– المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج/3، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية، بيروت، 1987، ص 290.

- الرقيق القيرواني: مصدر سابق، ص ص 184، 185.

– محمد الطالبي: مرجع سابق، ص 753.

تتحين الفرص للظهور إلى العالم والقضاء على دولة الأغالبة بعد حكـــم دام مائـــة واثنتي عشرة سنة. ولقد تميزت هذه الدولة بإقامة المدن والقصور وتشجيع ولاتها على ازدهار حركة الآداب والعلوم. [1]

---

[1] ابن عذارى: البيان المغرب ، ص 124. .

- الرقيق القيرواني: مصدر سابق، ص، 185.

- محمد الطالبي: مرجع سابق، ص 753.

المبحث الثالث

قيام الدولة الفاطمية في إفريقية

اولا : ظهور الدعوة الفاطمية: (297-440هـ/909-1048م)

تنسب الدولة الفاطمية إلى فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وزوجها على ابن أبى طالب كرم الله وجهه أو العلوية نسبة إلى علي، وأحيانا تسمى الدولة العبدية [1] نسبة إلى عبيد الله المهدي وهى دولة دون شك دولة إسماعيلية[2] بدأت في عهد أبي جعفر المنصور حيث قام محمد بن عبد الله الكامل بن الحسن بن علي ابن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية بالدعوة لنفسه عام (145هـ/762م)، وهي حركة ظهرت على مسرح الأحداث التاريخية بعد وفاة الإمام جعفر الصادق (148هـ/ 765م) إذ ألتف الدعاة حول محمد بن إسماعيل دون عمه موسى الكاظم، ومحمد ابن إسماعيل في نظر الإسماعيلية وحسب ترتيب الدعوة إمام سابع قائم ناطق [3].

أنتشر دعاة الدولة الفاطمية في أرجاء العالم الإسلامي يبشرون بقرب ظهور الإمام المهدي من آل البيت، حيث قسموا العالم الإسلامي إلى أثنتي عشرة جزيرة، في كل جزيرة داع، واعتمدوا في نشر دعوتهم على نظام دقيق، كما قامت الدولة الفاطمية على أسس مذهبية بحتة، تتلخص في أن آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم من علي وفاطمة أحق الناس بزعامة المسلمين. إلا أن الكثير من الرعايا السنيين لم يتفقوا معهم في دعوتهم، أضف إلى ذلك عدم أقتناع معسكري

---

(1) لقد فرق المؤرخون بين العبيديين والفاطميين وإن كانت الدولة واحدة، فأطلقوا الاسم الأول على أمراء هذه الدولة المتولين في إفريقية، ووضعوا التعريف الثاني لمن تولى منهم الخلافة بمصر. أنظر: أحمد بن ميلاد: إفريقية من الفتح الإسلامية إلى نهاية الدولة الأغلبية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1999م، ص ص323، 324.

(2) تنسب الإسماعيلية إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

أنظر: أيمن فؤاد: " تطور الدعوة الإسماعلية المبكرة حتي قيام الخلافة الفاطمية" ملتقى القاضي النعمان، الدورة الثانية، منشورات الحياة الثقافية، تونس، 1977م، ص ص37، 38.

(3) يعتقد الإسماعيلية في نظرية الحلول ويقولون إن العقل الكلى يمكن أن يحل في أشخاص الأنبياء أو الرسل ومن بينهم الإسماعيلية النطقاء، والناطق عندهم حلول للعقل الكلي، ويرون أن آدم عقل كلي ومحمد صلى الله عليه وسلم كذلك، ويعتقدون مثل ذلك في النفس الكلية ويرون أنها تحل في أشخاص الأئمة وأن هاتين الصفتين النطق والإمامة قد أختصتا في أشخاص أئمتهم وقد تركزت في محمد بن إسماعيل الناطقهم السابع الذي ورثها أبناؤه، أنظر: أيمن فؤاد: مرجع سابق، ص38.

الإسماعيلية بظهور العقل الكلي وشخصية الإمام عبيدالله المهدي، إذ أن من عقائد الإسماعيلية حلول الله في رؤسائهم[1]، كما أن عبيدالله بعد استقراره في إفريقية أقر في أذهان رعيته الكثير من مبادئ التشيع[2] المتطرفة [3].

لقد كانت جزيرة اليمن حسب تقسيمهم من أهم الجزر عند الفاطميين، وكان أنتشار الدعوة فيها سراً وعلانية، وهي أصل الدعوة، ومنها أنتقلت إلى إفريقية وانتشرت فيها، ولاقت نجاحاً كبيراً على أيدي دعاتها الذين أرسلهم (ابن حوشب) [4] بعد أن تأكد من ظهور دعوته وثباتها في اليمن.

وكان من بين دعاته أبي عبدالله الشيعي[5] (الحسن بن أحمد بن محمد بن زكريا) وأصله من الكوفة وكان محتسباً بسوق الغزل بالكوفة وعرف بالمعلم لأنه كان يعلم الناس مذهب الإمامية الاثني عشر[6]. ولاقت الدعوة الإسماعيلية نجاحاً كبيراً وسريعاً حيث كان لفكرة المهدي أثرها الكبير في بلاد انتشر فيها الجهل والتخلف وتعاني الكثير من ظلم وطغيان وجور حكامها. كما كانت الأحاديث تظهر في إفريقية بقرب ظهور المهدي وأن الشمس ستشرق من مغربها، أي أن الدولة العلوية وجدت الأرض الخصبة لتنمو فيها بذور دعاة ابن حوشب، كالحلواني وأبي سفيان اللذين بذرا البذور وحرثا الأرض لصاحب البذر أبي عبدالله الذي كان يتغنى للكتاميين بقوله:(أنا صاحب البذر الذي ذكره لكم أبو سفيان والحلواني) [7].

---

[1] حسن إبراهيم حسن، وطه أشرف: عبيد الله المهدي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ط، 1969م، ص 116.

[2] المقصود بالتشيع إتباع الرجل وأنصاره، وقد غلب هذا الاسم على كل من يوالي علي وأهل بيته رضي الله عنه وأصل ذلك من المشايعة والمطاوعة، والشيعة قوم يهوون عترة النبي صلى الله عليه وسلم ، والشيعة هي الفرقة، والشيعة كل قوم اجتمعوا على أمرهم شيعة، أنظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، ج/8، دار صادر، بيروت، ط/1، د.ت، ص ص188، 189.

[3] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية، دار الهلال، القاهرة، ط.1، 1964م، ص256.

[4] المرجع السابق، ص116.

[5] ابن عذارى: البيان المغرب ، ج/1، ص ص280، 281.

– المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق: جمال الدين الشيال، دار الفكر العربي، القاهرة، 1984، ص ص50، 51.

– موسوعة المغرب العربي، ج/3، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص71.

[6] ابن عذارى: مصدر سابق، ج/1، ص28.

[7] حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص116.

ومن أسباب نجاح أبي عبد الله الشيعي في دعوته، حسن علاقته بالمهدي، وكان من أسباب التفاف الناس حوله أنه كان يخبرهم بأنه البشير بالمهدي، كما أنه ملأ قلوبهم بالأمل حيث وضع لهم الأحاديث والتنبؤات مما أثار حماسهم، ومن قوله لهم (أنهم فج الأخيار) [1]. ومما ساعده أيضاً على نجاح الدعوة الإسماعيلية في إفريقية توعية الدعاة الذين اتصفوا بالعلم والنشاط والذكاء وقوة الشخصية، واتساع مداركهم وثقافتهم وقدرتهم على الإقناع واستمالة قلوب الناس والقبول لديهم[2].

وفي منتصف ربيع الأول سنة (280هـ/893م) قدم البربر من كل مكان إلى أبي عبد الله الشيعي، وكان ذلك زمن إبراهيم الأغلبي. وكانت قبيلة كتامة البربرية وهي من أكبر قبائل البربر عدداً وعدة وأصعبها مراساً، قد ساندته والتفت حوله، فهيأت دعامة قوية للدعوة الإسماعيلية[3] وتأسيس الدولة الفاطمية.

لقد ارتبط ظهور الدولة الفاطمية بعاملين هامين أولهما ضعف الخلافة العباسية ونجاح التشيع، وثانيهما بعد الفاطميين عن مركز الخلافة، وجهل البربر وكراهيتهم لخلفاء الدولة العباسية الذين أثقلوا كاهلهم بالضرائب، خصوصاً بعد أن حرث العبيديون أرض إفريقية البور على يد الحلواني وأبي سفيان لاستمالة قلوب أهل المغرب، وقد أثمرت هذه الجهود وحققت النجاح الكبير[4].انظر ملحق رقم(3)

لقد أخذ البيعة لعبيد الله المهدي بالمغرب الأقصى من سلجماسة، وبدأ في توطيد أركان ودعائم دولته فأقام خلافة علوية في (رقادة) على مقربة من القيروان، وتلقب (بالمهدي) أمير المؤمنين[5]، وبذلك يعتبر أول الخلفاء الفاطميين في إفريقية. ووضع بذلك أسس الدولة الفاطمية [6] وسعى إلى أن تثبيت وتوسيع

---

[1] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدوله الفاطمية، ص ص116، 117.

– موسوعة المغرب العربي، ج/3، مصدر سابق، ص ص70، 71.

[2] حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص74.

[3] المقريزي: اتعاظ الحنفاء، ص53.

[4] عبدالمنعم ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، دار المعارف، الإسكندرية، ط1، 1968. ص ص85، 86.

[5] المقريزي: اتعاظ الحنفاء، مصدر سابق، ص ص87، 89.

[6] جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، دار الفكر العربي، الإسكندرية، 1967م، ص120.

أركان دولته، فلم يلبث أن قضى على حكم الأغالبة في إفريقية سنة (296هـ /909م) وبسط نفوذه على سائر هذه البلاد، وأزال ملك بني مدرار من سلجماسة وملك بني رستم بتاهرت، واتخذ من مدينة المهدية مقراً لحكمة[1].

ولم يكد سلطان الدولة الفاطمية يتوطد حتى بدأت تتجه اتجاهاً عالمياً، وتسعى نحو السيادة الأعلى على العالم الإسلامي شرقه وغربه انظر ملحق رقم (4)، فهي لم تكتف بإفريقية فقط بل اتجهت نحو مصر والشام والحجاز وإيران. ويرجع اهتمام الخلفاء الفاطميين بامتلاك مصر لما لها من أهميه إستراتيجية بفضل موقعها المميز بين الشرق والغرب، فأصبحت بذلك مركزاً تجارياً هاما وامتلكت بذلك أهمية اقتصاديه وسياسية[2]. أرسل عبيد الله المهدي في سنة (301 هـ/913م) جيشاً على مصر، وجعل قيادته تحت أمرة ابنه وولى عهده أبي القاسم، فتقدمت هذه الحملة في اتجاه الإسكندرية واستولي الجيش الفاطمي في طريقه على برقة[3].

واصلت الحملة تقدمها وتمكنت من دخول الإسكندرية، إلا أن الخليفة العباسي المقتدر بعث جيشاً كبيراً بقيادة مؤنس الخادم للوقوف في وجهه، فالتحم الجيشان في مدينة مشتول بالقرب من الجيزة، وتمكن مؤنس من تحقيق النصر فرجع الجيش الفاطمي إلى إفريقية[4].

استمر الفاطميون في محاولة فتح مصر فلم ييأس الخلفاء الفاطميون لإخفاقهم في المرات الأولى، فظلوا يبعثون الحملات من أجل الحصول على مصر التي يعني فتحها ثبات الدولة الفاطمية وزيادة حصانتها وقوتها. وفي سنة (307هـ /919م) سار أبو القاسم المهدي على رأس جيش، ووقعت معركة بينه وبين أهل مصر تمكن فيها المصريون من هزيمة جند الفاطميين.

توفي عبيد الله المهدي وآلت ألخلافه إلى ابنه أبي القاسم والذي تلقب بالقائم بأمر الله، وقد أخفى القائم نبأ وفاة والده خشية أن تنتقض البلاد، وأرسل جيشاً إلى تاهرت حتى يثبت أقدام الفاطميين فيها. وما كاد المهدي يغيب حتى ثار موسى بن

---

(1) ابن أبي دينار: المؤنس، ص55.

(2) عطية مصطفى مشرفة: نظم الخلافة بمصر في عصر الفاطميين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1998م، ص ص 55، 56.

(3) المرجع السابق، ص 56

(4) حسن أحمد محمود: تاريخ المغرب والأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1999م، ص ص 160، 162.

أبي العافية وقتل حامد بن حمدان عامل الفاطميين على فاس، وقام أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن الجذامي بإرسال رأسه إلى موسى ابن أبي العافية، فأرسلها إلى عبد الرحمن الناصر الأموي بقرطبة والذي فتح له خزائنه ووضع له كافة الإمكانيات لمحاربة الفاطميين، فبسط موسى نفوذه على إقليم فاس وما جاورها من البلاد[1]. انظر ملحق رقم (5)

توجه القائم بأمر الله للوقوف في وجه هذه الثورة، وسير ميسور الفتي على رأس جيش كبير، فوصل فاس وعزل أحمد بن أبي بكر وأسره وأرسله إلى المهدية، وتم له الاستيلاء على مدينة فاس وخرج أبي العافية منها واستولي على مدينة ناكور فتوجه إليه جند ميسور الفتي واستردها منه[2].

وفي هذه الأثناء اشتعلت ثورة الزناتيين في مدينتي وهران وتاهرت بزعامة محمد بن خزر الزناتي، وسقطت في أيدي الزناتيين فقام الخليفة القائم بعقد الصلح مع أهل فاس شريطة أن يدفعوا عشرة آلاف دينار ويدعوا للخليفة الفاطمي على منابر بلادهم وأن يضربوا السكة باسمه. ثم توجه ميسور إلى لقاء ابن أبي عافية، كما انضم الأدارسة إلى الفاطميين في قتال موسى بن أبي العافية، ولحقت به الهزيمة وأمر الخليفة ميسور أن يولى الأدارسة على ما فتحه من البلاد[3].

ثار الزناتيون على الفاطميين وانحازوا إلى جانب الأمويين، فانضمت قبيلة صنهاجة إلى جانب الفاطميين, وعقد زعيمهم زيري بن مناد حلفاً مع كتامة ودخل في طاعة الفاطميين انتقاماً من خصومه الزناتيين، فوقفوا في حرب الفاطميين ضد ابن خزر الزناتي ، كما دخل الأدارسة في طاعة الفاطميين. وفي هذا الوقت اندلعت ثورة الخوارج بزعامة أبي يزيد مخلد كيداد من قبيلة زناته في مدينة توزر[4]، وانتشرت جيوشه في أغلب أرجاء الولايات الفاطمية حتى وصل مدينه المهدية وأخذ يهددها. وكتب الخليفة القائم إلى زيري بن مناد زعيم قبيلة صنهاجة

---

(1) المقريزي: إتعاظ الحنفاء، ص 105.

– حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريةوبلاد العرب مكتبة النهضة المصرية،القاهرة ، ط 3 ، 1964 م ، ص89.

(2) المرجع نفسه.

(3) المرجع السابق، ص 90.

(4) حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص 91.

ليلحق به، وانضم عدد كبير من جند أبي يزيد إلى جيوش الفاطميين واضطر إلى الارتداد عن المهدي. وفى هذه الأثناء توفي الخليفة القائم وأخفي المنصور ابنه نبأ وفاته حتى لا يؤثر هذا النبأ في حماسة جيوشه. وفعلاً وقعت الهزيمة بجيش الخارجي وقبض عليه وبعث إلى المهدية[1].

استمر الخليفة القائم طوال فترة خلافته في محاربة البربر، والتي كانت من أشد الصعوبات التي واجهتها الدولة الفاطمية[2]، وبسبب ذلك لم يتمكن من القيام بأي محاولة لفتح مصر[3].

تولي الخلافة بعد وفات القائم ابنه المنصور. وكانت البلاد قد فقدت الكثير من الموارد البشرية والمالية بسبب ثورات الخوارج، ولولا نشاط المنصور وسياسته لزالت الدولة الفاطمية.

حكم المنصور سبع سنين، وعمل على إصلاح ما أفسدته الثورات والفتن، وقام بإعادة تنظيم البلاد وأسس مدينة المنصورية سنة (327هـ/938م) بالقرب من القيروان، واتخذها حاضرة لدولته وسماها المنصورية على غرار المهدية التي سميت نسبة إلى المهدي، وقد فاجأه المرض وتوفي يوم الجمعة آخر شوال سنة (341 هـ/952م)[4].

آلت الخلافة الفاطمية بعد وفاة المنصور إلى ابنه المعز لدين الله سنة (341هـ/952م). وعنى هذا الأخير بالعمل على توطيد نفوذ الخلافة الفاطمية في إفريقية، وافتتح عهده بتولية الجيوش الفاطمية إلى جوهر الصقلي[5] والذي فتحت على يديه مصر، فوطد الدولة الفاطمية وأفكارها في ربوعها. وشرع المعز لدين الله في مواصلة جهود آبائه الفاطميين داخلياً وخارجياً فثبت أمور الدولة داخلياً، ثم توجه نحو مصر وبلاد الأندلس كما مد نفوذه نحو المشرق. انظر ملحق رقم (6)

---

(1) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص 92.

(2) المقريزي: إتعاظ الحنفاء، مصدر سابق، ص 105.

(3) حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق ، ص 117.

(4) ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص ص 59، 60.

(5) عارف تامر: المعز لدين الله، دار الآفاق، بيروت، ط1، 1982م، ص 49.

اضطربت الأحوال السياسية في مصر بعد وفاة كافور الإخشيدي(334-357هـ/946-968م) فبدأ بجمع الأموال والرجال في إعداد الخطط للاستيلاء على مصر، فكان من ضمن أهدافه السيطرة الكاملة على إفريقية ضمن مخطط الزحف نحو المشرق. وفي سنة (355 هـ /966م) أمر المعز بحفر الآبار في طريق مصر، وأن يبنى في كل منزلة قصر[1]. (واستدعي في أحد الأيام صاحب بيت المال فوجده في وسط القصر جالساً على صندوق، وبين يديه ألوف الصناديق مبددة في صحن القصر، فقال له: هذه صناديق مال، وقد شد عني ترتيبها فأنظرها ورتبها، ورتب الرجل الصناديق وختمها بخاتم المعز ورفعها وكان جملة ما فيها أربعة وعشرين ألف ألف دينار) وكان ذلك في سنة (357هـ/968م) فأنفقها جميعاً على العساكر التي سيرها إلى مصر.

استبد الوزير جعفر بن الفرات بالسلطة في مصر بعد وفاة كافور الإخشيدي، وعجز عن تدبير شئون الدولة، فقبض على عدد من أركان السلطة أيام كافور مثل يعقوب بن كلس وصادر أمواله[2]، فتردت الأوضاع المالية كثيراً في مصر، وفاض النيل، فانتشرت المجاعة، واضطرب الأمن، وعجزت الدولة عن دفع أعطيات الجند. كل هذه الظروف استفاد منها المعز واستكمل استعداده لغزو مصر وإعداد جيوشه[3].

وفي سنة (357هـ/968م) خرج جوهر على رأس جيش، وأقام المعز وداعاً كبيراً لجوهر، وأنشد أبوالقاسم محمد بن هاني الأندلسي شاعر الدولة الفاطمية قصيدة يوم رحيل جوهر منها:

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع   وقد راعني يوم الحشر أروع
غداة كان الأفق سد بمثله فعاد   غروب الشمس من حيث تطلع
فلم أدر إذ ودعت كيف أودع   ولم أدر إذ شيعت كيف أشيع
فلا عسكر من قبل جوهر   تخب المطايا فيه عشراً وتخضع

---

[1] صالح الحاج: المغرب من خلال سياسة المعز لدين الله، (رسالة دكتوراه)، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2000م، ص 294.
[2] المصدر السابق، ص 295.
[3] المصدر السابق، ص 296.

إذا حل في أرض بناها مدائن   وإن غاب عن أرض نوت وهي بلقع [1]

لقد عهد المعز لدين الله بفتح مصر إلى جوهر الصقلي بعد أن رأى الفرصة سانحة لتحقيق مشروعه ومشروع آبائه من قبله. وقد نجح جوهر الصقلي في ذلك دون أن يواجه أي صعوبات في ذلك، فقد دخل الإسكندرية سنة (968/358م)، أما الفسطاط فقد طلب أهلها الأمان فأمنهم[2].

وفي سنة (361هـ/972م) عزم المعز لدين الله على الرحيل إلى مصر ودخل القاهرة سنة (362هـ/973م)، وتلقاه قائده جوهر الصقلي وصلى ركعتين شكراً لله، وأقام في القصر الذي كان معداً له[3].

توفي المعز لدين الله بمصر، وكانت خلافته ثلاثة وعشرين سنة وخمسة أشهر وأقام بمصر سنتين وتسعة أشهر وبقيتها بإفريقية[4].

يعتبر المعز لدين الله آخر الخلفاء العبيدين بإفريقية وأولهم بمصر، ويعتبر رحيل الخلافة الفاطمية إلى مصر أنتقالاً لاتوسعاً، حيث رحل المعز وترك إفريقية لبني زيري الصنهاجيين. وعلي ذكر المقريزي فقد حملو معهم توبيت أبائهم وأجدادهم [5].

تولى الخلافة من بعده ابنه العزيز بالله، واتسعت رقعة البلاد في عهده، وكان كثير التسامح مع أهل الذمة من اليهود والنصارى، كما بذل الكثير من الأموال على إقامة المباني، وحفر الترع، وإنشاء الجسور ومرافئ السفن، وامتدت الدولة الفاطمية في عهده من المحيط الأطلسي غرباً إلى شرق الحجاز، ومن اليمن إلى أعالي الفرات. أما ابنه الحاكم بأمر (386-411هـ/996-1020م) الله فقد تميز بأعماله المتناقضة، فكان إذا عاقب أفرط، وإذا أحب بذل ما لم يبذله خليفة، وكانت دار الحكمة من أهم أعماله[6].

---

[1] صالح الحاج: المصدر نفسه ص296.

[2] دائرة المعارف الإسلامية: ج/25، مركز الشارقة، الشارقة، ط1، 1998، ص546.

[3] ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص ص65، 66.

[4] المصدر السابق، ص66.

[5] المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1997، ص 38.

[6] ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص98.

ويبدو أن العزيز بالله كان مهتماً بالقراءة والإطلاع والتشجيع على نشر العلوم والمعارف بين المسلمين.

قتل الحاكم بأمر الله وخلفه ابنه الظاهر الذي لم يتمكن من إدارة شؤون الدولة كما يجب حيث كان صغير السن، فقامت عمته بالوصاية عليه، وقد نجحت في ذلك. كذلك حدثت في عهده مجاعة كبيرة في البلاد، كما حدثت العديد من الفتن والثورات في بلاد الشام[1].

تخلى الخلفاء الفاطميون الأواخر عن البساطة التي كانت تمتاز بها حياتهم الأولى والتي كانت شعارهم منذ قيامهم بتأسيس دولتهم في إفريقية، فتركوا تلك الحياة الفطرية، وانغمسوا في الترف والبذخ، وسكنوا القصور الجميلة، وتمتعوا بكل مظاهر حياة الترف، وجعلوا إدارة دولتهم في يد مواليهم من البربر وغيرهم، وانصرفوا عن أمور الناس وشئون الدولة، فكان من أثر هذه السياسة أن اغتصب الوزراء تدريجياً نفوذ الخلفاء حتى أصبحوا يلقبون بلقب ملك، بينما كان سادتهم من الخلفاء كدمى في أيديهم منزوين في قصورهم [2].

تولى الخلافة المستنصر بالله (427-487هـ/1035-1094م) وكان حكمه بداية تدهور الدولة الفاطمية، فتزعزعت أركانها، وخرجت ولاية إفريقية من الفاطميين كما خرجت ولايات آخرى عن سيطرتهم. وظل المستنصر بالله في الخلافة ستين سنة، وقد خطب له على منابر العراق حوالي أربعين خطبة بعد أن هرب الخليفة العباسي القائم بأمر الله وأقام البساسيري الدعوة منها للخليفة المستنصر بالله[3].

لقد واجهت مصر في عهده سبع سنين من القحط والغلاء واضطراب الأوضاع، فازدادت الفوضى وأصبح الخليفة عاجزاً عن مواجهة ما تعانيه من ضعف في اقتصادها، وبذلك بدأ أنهيار وسقوط الدولة الفاطمية. وقد حاول

---

[1] عطية مصطفى مشرفة: مرجع سابق، 64.

[2] حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص ص 169، 171.

[3] جمال الدين الاتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسن شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ص ص3، 4.

الخليفة[1]، جاهداً إصلاح الأوضاع وضبط البلاد فاستدعى بدر الدين الجمالي من عكا ليتولى تدبير شؤون البلاد ونجح في ذلك[2]، حيث استطاع إصلاح الكثير من سوء الأوضاع اقتصادياً وسياسياً، ولم يبق بعد ذلك للخليفة الفاطمي أمراً ولا نهياً. واستولى بدر الدين الجمالي على السلطة كما أن ابنه الأفضل استبد بجميع الأمور فدخلت مصر في عهد نفوذ الوزراء[3]، فتقلد شاور الوزارة في عهد الخليفة العاضد وكان آخر الخلفاء الفاطميين، وظل كالمحجور عليه فهو مجرد صورة لا حول له ولاقوه، بل كان مسلوب الإرادة ضعيف الشخصية فيما كان وزيره صلاح الدين الأيوبي قد استولى على جميع مقاليد الأمور وأقام للخليفة العباسي المستضئ بالله واسقط اسم العاضد من الخطبة وبذلك سقطت الدولة الفاطمية سنة (561 هـ /1171م) [4].انظر ملحق رقم (7)،

ثانياً: الحياة الاجتماعية زمن الفاطميين:

في زمن الفاطميين سادت المجتمع في إفريقية عدة طبقات؛ طبقة الولاة أو الحكام والخواص من كبار رجال الدولة وقادة الجيش والحرس وطبقة الفقهاء والذين كان لهم نفوذ قوي في حياة المجتمع الفاطمي، وكان من أشهرهم القاضي النعمان وأفلح بن هارون [5]، وطبقة التجار وكان لها دور كبير في ازدهار الحياة الاقتصادية بفضل علاقاتهم التجارية، وطبقة العامة والتي تتألف من الجند وأصحاب الحرف المختلفة والفلاحين وغيرهم.

1- مظاهر الترف والثروة

كان النظام المالي خلال العصر الفاطمي يتميز بالدقة والاتقان، كما كان شديد الوطأة على السكان [6]، ومن الملاحظ أن الفاطميين وضعوا هذا النظام

---

[1] ابن عذاري: مصدر سابق، ج/1، ص223.

[2] أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر، دار التضامن، د .ط، د. ت، ص35.

[3] حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص 179.

[4] المرجع نفسه.

[5] الخشني، أبوعبدالله محمد بن حارث بن أسد: قضاة قرطبة تصحيح: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1994م، ص 311.

[6] حبيب الجنحاني: دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، مرجع سابق، ص ص 59، 60.

لتحقيق هدف السياسة الفاطمية التي ترمي إلى تكوين دولة قوية تضم العالم الإسلامي تحت راية الخلافة الفاطمية. وكان حكم المهدي يمثل المرحلة الأولى نحو تحقيق الهدف الأكبر [1]، وكان ذلك واضحاً منذ البداية عندما بدأ الدعاة للخليفة المهدي على منابر رقادة والقيروان. وكان عبيد الله المهدي قد جعل بيتاً للمال في رقادة وأقام له ديواناً (وكان صاحب بيت المال دفع إليه بتحصيل ما أخرجه من الصلات في شهر رمضان فبلغ ذلك مائة ألف دينار، وكان صاحب بيت المال استكثر ذلك فقال المهدي: لو بلغني الله عز وجل إلى حقي ونلت أملي ما رضيت مثل هذا العطاء بأسره إلى رجل واحد من أوليائي) [2].

إن مهمة جمع الأموال وإرسالها إلى الإمام كانت مهمة أساسية في عمل الدعاة. فكانوا يحملون الأموال والذخائر من كل بلد ويرسلونها إلى (سلمية). وكان الإمام قد حفر سرداباً في الأرض من الصحراء إلى جوف داره بسلمية، وكان طوله اثني عشر ميلاً حيث كانت الأموال تحمل وتخزن في هذا السرداب.

لقد امتلأت خزائن الفاطميين بالأموال بسبب النظام المالي الدقيق الذي سنه الفاطميون لاستغلال موارد الدولة وبسبب النظم المالية التي وضعوها في طريقة جمع الأموال [3]. وكان الموالون من الشيعة يدفعون خمس أموالهم للخلفاء الفاطميين من أجل إعلاء راية الخلافة الفاطمية، وتقوية وإرساء دعائم الخلافة الشيعية في إفريقية [4].

تميزت عصور بعض الخلفاء الفاطميين بالترف فكانوا ينفقون الأموال الضخمة على الحفلات خصوصاً في عهد المعز لدين الله، فقد أنفق في سنة (351هـ/963م) على ختان أبنائه أموالاً كثيرة، وأمر الأهالي أن يقدموا أبناءهم الصغار ليختنوا ويأخذوا لقاء ذلك مالاً معلوماً, وقد أقيمت الاحتفالات في مختلف

---

[1] حبيب الجنحاني : مرجع السابق، ص ص 60، 61.

[2] المرجع السابق، ص 60.

[3] عارف تامر : المعز لدين الله الفاطمي، مرجع سابق، ص 273.

[4] جورج مارسية: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق السلامي ،ترجمة محمود عبد الصمد ، منشأ المعارف الاسكندرية ، 1999،ص156 .

البلاد الفاطمية وتدفقت الأموال من مدينة المنصورية إلى الولايات المختلفة حتى يقوم الولاة بدفع الهبات والنفقات على الأهالي وآباء الأطفال المختتين [1].

لقد تطورت الحياة في إفريقية زمن الفاطميين، ووجدت في بعض المدن وسائل للتسلية، وكانت هناك أيام تعطل فيها الأعمال كأيام الأعياد. وقد عرف المسلمون قبل العصر الفاطمي وسائل مختلفة للتسلية مثل ركوب الخيل. وكانت للخلفاء الفاطميين هوايات عدة مثل الصيد والفروسية ولعبة تعرف بالصولجان أو لعبة الكرة على الخيول والمبارزة على الخيول بين رجلين والصيد على الخيل بالسلوقي [2].

وكان من ألعاب الفروسية لعبة تسمى بالملعب، وهي أن يؤتي بطبال وصاحب ناي فينشأ عن ذلك إيقاع خاص فترقص عليه الخيول اهتزازا أو إيقاعا محركة أعناقها ثم تجري بعد ذلك في سباق يسمى (المشاق)، ويرقص أصحابه فوق ظهور الخيل وقوفاً وجلوساً وامتدادا على أجنابها واختفاءا تحت بطونها، وهذه الألعاب تولدت عن الجيش الذي درب على صد الهجمات من الخوارج وغيرهم من الأعداء، وعرفوا كذلك لعبة الشطرنج أو لعبة الفرند [3].

وكانت هناك أماكن يجتمع فيها الشباب الذين يسمعون الموسيقى ويطربون لسماع آلات الطرب ورقص الفتيان، أما الخلفاء والأثرياء فكانت لهم حياه تسلية خاصة. كان لهم الغلمان والجواري من موالي البيزنطيين وأسري الحرب من صقلية وجواري جلبهن التجار من المشرق ومن مختلف البلدان مما كان له الأثر الأكبر في نشر اللهو والمجون في تلك القصور [4].

ويذكر الشيخ أبو الحسن القابسي نقلاً عن كتاب ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية الاستاذ حسن حسني عبدا لوهاب أنه كانت هناك مغنية في القيروان مشهورة بجمال صوتها، وكانت تغنى في الأفراح، وتقطن بجوار دار الشيخ

---

[1] المقريزي: إتعاظ الحنفاء، مصدر سابق، ص 1336.

- حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص 273، 274.

[2] محمد زيتون: مرجع سابق، ص 79.

[3] المرجع نفسه.

[4] المرجع السابق، ص ص 79، 80.

مروان بن نصر العابد المتوفى سنة (38 هـ / 952 م)، فقام الشيخ ليلة يتهجد على عادته فما استطاع أن يصلي بسبب علو صوتها وبعد مداه [1].

كما كان الخلفاء الفاطميون يبذلون الأموال الكثيرة من أجل نشر المذهب الشيعي، فأنفقوا أموالاً كثيرة على الشعراء، وكذلك على الأطباء، وأنفقوا من أجل النهضة العمرانية وإنشاء البساتين والميادين الواسعة والنافورات الجميلة والقنوات الصحية التي كانت تأخذ ماءها من الجبال ثم تسير في طريقها إلى مختلف المدن مخترقة السهل والجبل [2].

2 ـ الأعياد والاحتفالات:

سعى الفاطميون إلى سياسة احترام رعاياهم، والعمل على كسب حبهم وتأييدهم، وظلوا على تلك السياسة طوال فترة حكمهم بإفريقية، فأقاموا الاحتفالات في مختلف الأعياد والمناسبات، واحتفلوا بصلاة العيد وتوديع الحملات الحربية [3]. لقد كانت لهم أعياد طوال السنة يحتفلون بها مثل موسم رأس السنة، فكانوا يحتفلون به كما احتفلوا بليلة أول المحرم من كل عام لأنها أول ليالي السنة وبدء أوقاتها. وكان من رسومهم في هذه المناسبة أن يطبخ بمطبخ القصر الكثير من لحوم الخراف وتوزع على أرباب الرتب [4]. واحتفلوا بموسم أول العام حيث يخرج الخليفة في موكبه مرتدياً أفخم أزيائه، ويقوم بتوزيع الدنانير على الشعب [5]. وقد سميت هذه المواكب بالعظام، وكانت هذه الاحتفالات وسيلة لكسب رعاياهم وجذب ولائهم إليهم واستغلال هذه المناسبات في نشر خصائص المذهب الشيعي [6].

---

[1] حسن حسني عبدالوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، مكتبة المنار، تونس، ط1، 1966، ص 202.

[2] ابن الأثير: مصدر سابق ج/6، ص 239

[3] حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص ص 247، 248.

[4] المقريزي: الخطط ج/2، مصدر سابق، ص 347.

[5] المصدر السابق، ص 348

[6] وكان الخلفاء الفاطميون يركبون في مناسبات متعددة ويعتنون عناية خاصة بالمواكب العظام؛ وهي موكب أول العام، وأول رمضان، والجمع الثلاث الأخيرة من شهر رمضان، وصلاة عيدي الفطر والأضحى. أما المواكب الأخرى فكانت تسمى بالمواكب المختصرة وتحدث أربع أو خمس مرات في السنة. وعند ركوب الخلفاء لمناظرهم، ويكون ذلك أيام السبت والثلاثاء. أنظر: القلقشندي: شهاب الدين بن محمد ، صبح الاعشى في صناعة الانشا دار الكتب بيروت 1987 م ، ج/3، ص 520.

واحتفل الفاطميون بمولد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء ومولد الحسن والحسين ومولد القائم، كما احتفلوا كذلك بليلة أول رجب وليلة نصف رجب وليلة أول شعبان وليلة نصف شعبان وبحلول شهر رمضان، إلاّ أنهم اختلفوا عن غيرهم من السنيين في تقرير الصيام، فعند السنيين ينتهي لمجرد ظهور القمر سواء كان شهر شعبان تسعة وعشرين يوماً أو ثلاثين يوماً[1] وذلك عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم: (صوموا لرؤية هلال رمضان، وأفطروا لرؤية هلال شوال فإن غمّ عليكم أيّ لم يكن من الممكن رؤية الهلال في اليوم التاسع والعشرين من شعبان بسبب تكاثف الغيوم في السماء فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً) [2]. ويعتمدون في الصوم على الحساب الفلكي أو على النجوم، فالرؤية البصرية عندهم معرضه للخطأ, ومن علمائهم من يذهب إلى أن الحديث السابق ذكره خاص بظرف معين وهذا الظرف هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد التوجه في بعض الغزوات بالقرب من شهر رمضان فأجتمع إليه الصحابة فقالوا يا رسول الله كنا نصوم بصومك ونفطر بإفطارك فكيف حالنا في غيبتك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته. والفاطميون عندهم شهر رمضان كامل دائماً لا ينقص أبداً مادامت الشهور تجري. واتخذا الفاطميون يوم عاشوراء يوم حزن تتعطل فيه الأسواق، وهو يوم يقع في العشر من شهر محرم، وهو شهر مبارك ويجله العرب حتى قبل الإسلام وبعده. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أيها الناس سارعوا إلى الخيرات في هذا اليوم فإنه عظم مبارك قد بارك الله فيه على آدم). ومن مظاهر احترام المسلمين لهذا اليوم أنهم كانوا يصومونه، وقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لما هاجر إلى المدينة، رأي اليهود يصومون هذا اليوم فسألهم عن هذا اليوم، فأخبروه بأنه اليوم الذي أغرق الله فيه فرعون وآله ونجى موسى ومن

---

[1] حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص 651.

[2] حبيب بن عبد الله الكرماني: الرسالة اللازمة في صوم شهر رمضان وحينه، تحقيق: محمد الناصر، مجلة كلية الآداب، القاهرة، ط1، 1969م، مج 31، ج/1، 2، ص 3.

معه، فقال عليه الصلاة والسلام: (نحن أحق بموسى منهم)، وقام وأمر الصحابة بصومه [1].

وقد سار الخلفاء الراشدون على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فكانوا يصومون هذا اليوم ويعظمونه. أما الشيعة من أنصار علي كرم الله وجهه يقيمون مأتماً يبكون فيه الحسين، ويظهرون عليه أشد مظاهر الحزن، وكان الحزن يعم الدولة حكومة وشعباً [2]، وكانوا ينحرون الإبل والبقر والغنم في يوم عاشوراء ويوزعونها على الفقراء عند مشهد الحسين الذي يجله المسلمون عامة والشيعة خاصة إلى اليوم. وكانت المواكب والحفلات تبلغ ذروتها في البذخ أيام الأعياد والمواسم الرسمية. والجدير بالذكر هنا أن هذه الأعياد عديدة ومتنوعة، منها أعياد شرعت لغايات دينية وسياسية، فأما الأعياد العامة فهي رأس السنة لهجرية وليلة المولد النبوي الكريم وليلة أول رجب وليلة نصفه وليلة أول شعبان وليلة نصفه وغرة رمضان ويوم الفطر ويوم النحر أو الأضحى [3] . وأما الأعياد المذهبية فهي الاحتفال بمولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومولد ولديه الحسن والحسين، ومولد زوجته السيدة فاطمة الزهراء ابنة النبي صلى الله عليه وسلم ويوم عاشوراء، أوعاشر المحرم، وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي في كربلاء (سنة 61هـ/672م) [4]. واحتفل الفاطميون بليالي الوقود الأربع، وكانت من أبهج الليالي وتصل إلى الناس في ليالي الوقود الأربع [5] أنواع من البر [6]، وأعياد مذهبية أخري مثل غدير خم [7]، وقد احتفل به الفاطميون ولا يزال الشيعة يحتفلون به. ويقول أصحاب هذه النظرية إن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ولي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم دون سواه، وإنه كان يجب أن يخلفه في

---

[1] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية ، ص 653.

[2] المرجع السابق، ص ص 654، 655.

[3] محمد عبدالله عنان: الحاكم بأمر الله أسرار الدعوة الفاطمية، موسسة الخانجي، القاهرة، ط 2، د.ت، ص 351.

[4] المرجع نفسه.

[5] ليالي الوقود الأربع يرجع أصلها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان يطلب إلى أهل مكة أن يوقدوا النار ليلة غرة المحرم ليهتدي الحجاج وقد استمر الحال على ذلك حتى وليّ عبدالله بن رواق، فأمر أهل مكة أن يوقدوا النار في ليلة أول رجب، أنظر: عبدالمنعم ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر ، ص 120.

[6] المقريزي: الخطط، ج/2، مصدر سابق، ص 350.

[7] غدير خم يقع بين مكة والمدينة. أنظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، مرجع سابق، ص ص 251، 252.

زعامة المسلمين، ويرون أن أبا بكر وعمر وعثمان وبني أمية وبني العباس اغتصبوا حق الخلافة من علي وأبنائه، ومرد ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (علي مني بمنزلة هارون من موسى، اللهم والي من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأخذل من خذله). ويروي الشيعة هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون إنه قاله في الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشرة للهجرة وهو العام المعروف بحجة الوداع أيّ العام الذي ودع فيه مكة وحج لآخر مرة [1] وصار ذلك اليوم عيداً عندهم.

لقد كانت مواكب الخلافة الفاطمية وحفلاتها الرسمية والشعبية ومآدبها الشهيرة وبذلها المأثور أيام ومواقف مشهورة أدخلت الفرحة لنفوس الرعية لتميزها بالفخامة والبهاء، وبث روح البهجة الباذخة بين المواطنين، ومحاولة إسعادهم وكسب ولائهم وتأييدهم، فكانت أعياداً جميلة ورائعة خصوصاً تلك التي أقيمت في مصر بعد انتقال الخلافة الفاطمية إليها[2].

3 ـ الملابس

تطورت صناعة النسيج خلال العصر الفاطمي وبلغ نظام الطرز أعلى درجات الرقي والتطور. واشتهرت بلاد المغرب بأنواع خاصة من الثياب الحريرية الكتانية والصوفية [3]، وصنعت في دار الطراز الثياب المختلفة للخليفة والأمراء والوزراء وغيرهم من موظفي الدولة وباختلاف مراتبهم. وصنعت ثياب للخليفة تناسب المناسبة التي يحضرها الخليفة فيرتدي تلك الثياب في الأعياد والاحتفالات، ولكل من هذه الأعياد لباسه الخاص الذي يرتديه لتلك المناسبة [4].

وكان لباس الرجل العادي في إفريقية يتألف من قميص وسروال وجبة صوف يتحزم عليها بإزار ملون، ويضع على رأسه عمامة وتسمى كذلك لفافة ويوضع عليها الدوحلة التي تنزل على القفا، ويلبس في قدميه النعال في الشتاء والخفاف في الصيف، أما الأغنياء والعلماء فكانوا يلبسون الأسماط والشروف والفرو

(1) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص 252.

(2) المرجع السابق ، ص 252 .

(3) زكي محمد حسن: كنوز الفاطميين، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، د.ت، ص 110.

(4) المرجع نفسه.

السامور، ويلبسون القلنسوة عوضاً عن العمامة وتكون صوفاً أو قطناً ويختلف شكلها من قصيرة إلى طويلة[1].

أما المرأة في العصر الفاطمي فقد كانت تلبس رداء قطن أو حرير حسب رتبتها، وتلبس فوقه غلاله تشدها بمئزر، وتتزين بالحلي المختلفة من أساور مرصعة وخلاخيل منقوشة ومعصفرات إلى غير ذلك، فإذا ما خرجت لبست الرداء وضربت على وجهها المعجز وتلبس برجليها خفاً لطيفاً [2]. وتتنوع ملابس النساء كما تتنوع أدوات الزينة وغيرها مما تسعى به المرأة إلى إظهار جمالها وحسنها.

4 ـ المأكل

تنوعت الأطعمة في العصر الفاطمي فكانوا يصنعون أصنافا مختلفة من الخبز والحلوى وغيرها من الأطعمة، كالحم. ويقال إنه في بعض أيام عاشوراء ذبح في القيروان وحدها تسعمائة رأس من البقر غير ما ذبح من الغنم والماعز والإبل [3]. وإلى جانب الأنواع الرئيسية للطعام وجدت أصناف أخري مثل الإسفنج وهو نوع من الحلويات يصنع من السمن والعسل والزعفران بالإضافة إلى أنه خلال العصر الفاطمي وجدت صناعة المربيات والأشربة وكان يربب السمسم بالياسمين والورد والبنفسج.

5 ـ الصحة والنظافة

العناية بالشئون الصحية والنظافة كانت من المظاهر الاجتماعية المعروفة خلال العصر الفاطمي وحيث كانت هناك دور للعلاج. وقد شجع الخلفاء الفاطميون الأطباء وأجزلوا لهم العطاء وكانت هناك عناية ملحوظة بالنظافة تبدو واضحة من عناية الدولة الفاطمية بإقامة المشاريع الخاصة بالمياه وكثرت الحمامات المنتشرة في مختلف أرجاء الدولة.

---

(1) محمد محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الاسلامية، دار المنار القاهرة، ط1، دت 1988، ص 174.

(2) محمد زيتون: المرجع السابق، ص 175.

(3) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص ص 175- 176.

أما المدن الفاطمية فقد تميزت بالاتساع والجمال وتنظيم الأماكن والأسواق والصناعات والتجارة مما ساعد على نظافة المدن. كما اهتم الفاطميون بتنظيم الشوارع والطرقات وزراعة الحدائق والبساتين وبناء النافوات وغيرها من المنشئات الحضارية. [1]

[1] محمد زيتون: المرجع السابق، ص 175.

خلفاء الدولة الفاطمية

(297-440هـ/909-1048م)

رقم	الاسم	هجرية	ميلادية	هجرية	ميلادية	مدة الحكم
1	المهدي أبو محمد عبد الله	297	909	322	934	25 سنة
2	القائم بأمر الله أبوالقاسم نزار	322	934	334	945	12
3	المنصور بن نصرالله أبوالطاهر إسماعيل	334	945	341	952	7
4	المعز لدين الله أبو تميم معد	341	952	365	975	24
5	العزيز بالله أبو منصور نزار	365	975	386	996	21
6	الحاكم بأمر الله أبوعلي منصور	386	996	411	1020	25
7	الظاهر الأعز لدين الله أبو الحسين	411	1020	427	1035	16
8	المستنصر بالله أبو تميم معد	427	1035	487	1094	60

الفصل الثاني
عناصر السكان بإفريقية

المبحث الأول
السكان الاصلية وحياتهم الاجتماعية

أولاً: العرب

ثانياً: البربر

ثالثاً: الأفارقـــة

رابعاً: الســـودان

المبحث الثاني
السكان الوافدين وحياتهم الاجتماعية

اولا: الفينيقيون

ثانيآ: الروم والفرنج

ثالثآ: طوائف اخرى

المبحث الأول

السكان الاصليين وحياتهم الاجتماعية

اولا: العرب

يشكل العرب أكثرية سكان إفريقية بعد البربر، وقد استقروا في هذه البلاد بعد الفتح العربي لها فاستوطنوا، وأصبحوا بمرور الزمن عرباً أفارقة أو عرباً بلديين. كما وفد من المشرق في العصر الأموي جماعات من العرب استقرت فيها، ووفدت جماعات أخري من العرب الشاميين جاءوا إلى إفريقية أثناء الحملات التي سيرها خلفاء بني العباس إليها[1].

واجه العرب صعوبات كبيرة أثناء فتح إفريقية، وقد استغرق استقرار أمرها فترة طويلة حيث تعرضوا لغارات البربر حين ثاروا عدة مرات وارتدوا عن الإسلام[2].

وكانت إفريقية قبل الفتح العربي على شئ من الاستقرار في الوقت الذي أراد فيه (هرقل) أن يتخذ من قرطاجة عاصمة له بدلاً من القسطنطينية التي كانت تعمها الفوضى والاضطرابات، وحاول الوقوف في وجه العرب ومنع تقدمهم. ورغم أن مقاومة الروم للعرب كانت ضعيفة سواء في إفريقية أو غيرها، إلا أن العقبة الأساسية التي كانت تواجه العرب لم تكن من الروم وإنما كانت من البربر، ولولا مقاومة البربر لتم فتحها سريعاً[3].

تمكن العرب من القضاء على الروم ولم يبق أمامهم سوي إخضاع البربر والقضاء على قبائلهم التي تجمعت حول الكاهنة، وبالفعل تمكن القائد العربي (حسان بن النعمان) من الانتصار عليهم[4].

---

(1) صالح مصطفى المزيني: مرجع سابق، ص 183.

(2) غوستاف لوبون: مرجع سابق، ص 253.

(3) المرجع السابق: ص 254.

(4) ل. اسنيو: تاريخ العرب العام، ترجمة: عادل زعيتر، مكتبة عيسى البابي الحلبي، د.ت، ص 156.

خاض العرب في إفريقية خمس معارك هائلة استغرقت حوالي نصف قرن من الزمان أصبح العرب بعدها سادة إفريقية[1].

لقد ملك العرب البلاد الواقعة بين جبل طارق وبرزخ السويس، وقسموا إفريقية إلى حكومتين؛ الأولى هي حكومة المغرب المتمثلة في ولايات الروم القديمة بيراسين وإفريقية القنصلية ونوميدية وموريتانية القيصرية وموريتانية الطنجية، والثانية هي حكومة مصر وبرقة التي يأخذون إليها ما فرضه عمرو بن العاص على شعوب النوبة من الجزية[2]. وكان الفتح الإسلامي في مختلف الارجاء يخضع لإستراتجية قوامها التقرب من سكان البلاد في الداخل، ومحاربة ثالوث الشمال الروم والأفارقة ومغاربة الساحل [3].

وكسب العرب تأييد مغاربة الداخل، فالمؤسسات العربية كانت كفيلة باجتذاب الأنصار للمعسكر الإسلامي[4]. ومر تحرير إفريقية بمرحلتين أساسيتين، المرحلة الأولى كانت مرحلة الاستكشاف (22-50هـ/ 643-670 م)، والثانية كانت مرحلة التحرير المنظمة (50-90هـ/ 670- 709م). بدأت مرحلة الاستكشاف بجهود عمرو بن العاص والى مصر وانتهت بتولية عقبة بن نافع الفهري ولاية إفريقية[5]. وبدأت مرحلة التحرير المنظم منذ تولي عقبة هذه الولاية حتى قيام عصر الولاة في إفريقية[6].

لقد سارت العمليات العسكرية في المناطق الساحلية والمناطق الجنوبية متزامنة مع بعضها، وتمكنت من توطيد السلام العربي ونشر الإسلام بين سكان البلاد[7]. وقد سعت الخلافة الإسلامية إلى تحقيق أهداف مركزية تقوم أساساً على تثبيت أقدام العرب في إفريقية من خلال تأسيس مدينة عربية تكون قاعدة لتجمع القوات العربية وملجأ لها عند الضرورة. وكان هذا العمل في حد ذاته وسيلة

---

[1] غوستاف لوبون: مرجع سابق، ص 255.

[2] غوستاف لوبون: المرجع السابق، ص 259.

[3] محمود أحمد أبوصوة: مقدمة في تاريخ المغرب الاجتماعي والاقتصادي، منشورات للبجا، د. ط، 1997م، ص 115.

[4] المرجع السابق، ص 119.

[5] عبدالواحد ذنون طه : تاريخ المغرب العربي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط 1، 2004م، ص 63.

[6] المرجع السابق، ص 78، 79.

[7] سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال، مرجع سابق، ص 181.

لتحقيق الهدف الأسمى والذي من أجله خرج العرب مكافحين مجاهدين، وهو تحرير هذه البلاد من المستعمرين الروم البيزنطيين ونشر الإسلام[1].

بنى العرب مدينة القيروان عاصمة إفريقية القادمة ليكون قيامها حدثاً [2] هاماً حيث أصبحت النواة لولاية إفريقية كما كانت مدينة الفسطاط من قبلها نواة لولاية مصر العربية، وحققت النتائج التي بنيت من أجلها فأصبحت قاعدة لانطلاق القوات العربية، ومقراً للولاة، ومسكناً للكثير من القبائل العربية، فحذت بعض القبائل البربرية حذو إخوانهم المشارقة فجاوروا المدينة، ودخلوا في دين الإسلام، وتعلموا اللغة العربية، ووقفوا على أصول الشريعة الإسلامية وما يجب على المسلم من واجبات وما له من حقوق[3].

لعبت القيروان دوراً كبيراً في نشر الإسلام وتعريب القبائل البربرية، وكان شيوخ القيروان من أبناء الصحابة خير دعاة للدين الإسلامي، وتمكنوا من نقل أهل المغرب من حال إلى حال، فأصبحوا في صف المشارك في حروب التحرير والفاعل في تقرير السياسة العربية بعد أن كانوا في صف المعادي والمتربص بالسلطة العربية وبالفاتحين العرب، فدخل الكثير من البربر في الدين الإسلامي، واتسعت خطة المسلمين فثبت الإسلام بها[4]. وكان يقوم بأمور أفريقية أمراء بالنيابة عن الخلفاء، وقامت الإمارات العربية بتعريب القبائل البربرية، كما أتت الهجرات لتضيف إلى الدم العربي وتعدل في التكوين الجنسي والعنصري لسكان إفريقية، وأضافت هذه القبائل العربية إلى حضارة إفريقية سمات جديدة[5] وبذلك ذاعت الحضارة العربية، كما ذاع فيها الإسلام فأصبحت ولاية على جانب كبير من النشاط والازدهار بالنسبة للحضارة الإسلامية[6] فنقل العرب البلاد نقلة نوعية في مجال الإدارة والتنظيم، فدونوا الدواوين، وضربت النقود، وحددت علاقة الولاية مع من بقي من الروم والبربر على النصرانية، ففرض عليهم ما فرضه

---

[1] عبدالواحد ذنون: مرجع سابق، ص 79.

[2] غوستاف لوبون: مرجع سابق ص 255.

[3] عبدالواحد ذنون: مرجع سابق، ص 83.

[4] المرجع نفسه.

[5] محمود السيد: تاريخ دول المغرب العربي، مرجع سابق، ص 122.

[6] كلود كاهنا: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة: بدرالدين القاسم، دار الحقيقة، بيروت، ط1، د.ت، ص 188.

الإسلام من جزية وخراج[1]. كما أشرك المسلمون البربر في تحمل مسؤوليات تحرير هذه البلاد.

إن أهداف الدولة الإسلامية تخالف أهداف غيرها من الدول التي ترمي إلى سيادة شعبها على غيره من الشعوب. أما الدولة الإسلامية فتهدف إلى تبليغ رسالة الإسلام، ولم يكن القصد من الدعوة الإسلامية سيادة الشعب العربي على غيره، إنما كان القصد الدعوة إلى وحدانية الله، ونشر العدل والخير بين الناس، كما نادي الإسلام بالحرية لمخالفيه في الديانة وبالإخاء والمساواة وإقامة موازينه على البر والإحسان والإنصاف والعدل[2].

وقد بلغ العرب الفاتحون درجة عظيمة من التسامح لم تكن متوقعة من أناس كانوا يحملون عقيدة جديدة. فالمسلم كان يسعى لنشر الإسلام وهو في أوج حماسه لدينه، ولم يفكر أن يطفئ بالدم فكراً أو رأياً مخالفاً لدينه، وكانوا يخيرون سكان البلد المفتوح بين الإسلام أو البقاء على دينهم ودفع الجزية[3]. ولقد تعاقبت الدولة في إفريقية وجميع الفتوحات كانت تقوم باسم التشريع الديني والرجوع إلى الخط الإسلامي القويم وإدخال الدين الإسلامي في قلوب الأعداء، وتغيير التقاليد الفاسدة[4].

ثانياً: البربر

هم سكان إفريقية الأصليون، وقد ظهر البربر في التاريخ منذ أقدم العصور وهم يشكلون غالبية سكان البلاد.

وقد عرف العرب سكان إفريقية باسم البربر. وتعددت آراء المؤرخين العرب والأوروبيين في تفسير تسمية (البربر) وفي معرفة أصلهم. وقد اختلف الناس قديماً وحديثاً في تفسير كلمة البربر، ولا نعرف إن كانت هذه التسمية قد وجدت قبل الإسلام أم لا، ولكن العرب كانوا على علاقة بالرومان والبيزنطيين فلربما عرفوا هذه التسمية أو هذه الكلمة عنهم وكانت كلمة (البرابرة) أو (البربر) بمعناها الذي

---

(1) عبدالواحد ذنون: مرجع سابق، ص 109.

(2) توماس وارنولد: مرجع سابق، ص 244.

(3) دنيس بولم: الحضارات الإفريقية، ترجمة: علي شاهين، دار الحياة، بيروت، د.ت، ص 47.

(4) المرجع السابق، ص ص 47، 48.

عرفته أثينا (Babaroi) وروما (Barbari) وتعنى الشعوب الجاهلة الهمجية الخارجة عن نطاق الحضارة الرومانية[1]. أما عند اليونان فتعني الأجانب، وأما الرومان فقد أطلقوا هذه التسمية على كل الشعوب الجرمانية التي كانت قد هاجمت إمبراطوريتهم[2].

ويبدو أن السبب في تسمية الرومان للبربر بهذا الاسم- كما يذكر الدكتور سعد زغلول- يرجع لسببين؛ أولهما أن البربر قاوموا الرومان ورفضوا حضارتهم كما سببوا لهم الكثير من المتاعب، وثانيهما أن البلاد قد تعرضت لغزو البرابرة الجرمان من الو ندال في القرن الخامس الميلادي، وهؤلاء جعلوا من المغرب ملكية بربرية (بالمعنى الأوربي) إلى أن تغلبت عليهم القسطنطينية أيام جستنيان[3]. وبعد مجيء العرب أطلقوا هذه التسمية على أهل إفريقية عامة ونقلوها عن الرومان دون أن يقصدوا معنى الكلمة الجارح (الذي تعنيه اللغات اليونانية والرومانية) [4].

تختلف الآراء التي أوردها الكتاب العرب في تفسير كلمة (بربر)، ويمكن تقسيم هذه الآراء إلى قسمين: القسم الأول يفسرها لغوياً - كابن خلدون- ويري أن سبب التسمية يرجع إلى أصواتهم غير المفهومة والتي يغلب عليها الراء والباء فقيل لهم ما أكثر بربرتكم[5]. أما القسم الثاني فيفسرها حسب عادة تقسيم الشعوب وعلى الأسس المتعارف عليها في علم الأنساب حيث اتخذ شعب المغرب اسم أحد آبائه

---

[1] سعد زغلول عبدالحميد: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال،ج/1 منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 1979م، ص 78.

[2] محمد عبدالقادر الخطيب: مرجع سابق، ص18.

[3] سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال، مرجع سابق، ص79.

[4] سعد زغلول المرجع السابق ص 79.

[5] يذكر ابن خلدون (ومن الأخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلون في كافة أخبار التبابعة وأنهم كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى إفريقية، والبربر من بلاد المغرب وأن أفريقش بن صيفي من أعظم ملوكها وكان لعهد موسى عليه السلام أو قبله بقليل غزا إفريقية، وأثخن في البربر وأنه الذي سماهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم وقال: ما هذه البربرة؟ فأخذ هذا الاسم عنه ودعوا به من حينئذ وأنه لما انصرف من المغرب حجز هناك قبائل من حمير وأقاموا بها واختلطوا بأهلها ومنهم صنهاجة وكتامة). ويؤكد ابن خلدون أنه من هذا ذهب كل من الطبري والمسعودي والجرجاني وابن الكلبي إلى أن صنهاجة وكتامة من حمير. أنظر: ابن خلدون: العبر، مصدر سابق، ج/1، ص ص، 11، 12.

- سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال، مرجع سابق، ص 80.

البعيدين وهو (بر)، كما ينسب العرب إلى يعرب، ولم يأت القرن الرابع الهجري حتى كانت انساب البربر قد تم تدوينها باللغة العربية[1].

والجدير بالذكر أن البربر كانوا يرفضون هذه التسمية ويطلقون على أنفسهم لفظة (امازيغ) وتعنى (الأحرار) أو الرجل الحر الخشن باللغة البربرية[2].

أما عن أصولهم فهي لا تزال مجهولة، فمنهم من يرجح أصولهم إلى أوربا، ومنهم من يقول أنهم وفدوا من آسيا في عصور ما قبل التاريخ. ويرجع الرأي الأول إلى أن علماء الانثروبولوجيا (علم دراسة الإنسان) اعتمدوا في ذلك على الصفات الجسمانية فيقولون إن البربر قدموا من أوربا الوسطى ومن اسبانيا وإيطاليا والجنوب الغربي من فرنسا معتمدين في ذلك على ما تتميز به البربر من جمجمة طويلة وشعر أسود وعينين سوداوين[3]، مع العلم بوجود الكنعانيين القادمين من الشرق والذين يتميزون باللون الأسمر.

كما قيل أن أصل البربر من العرب ويؤيد هذا الإدريسي، فيذكر أن ديار البربر كانت في فلسطين، وكان ملكهم جالوت بن ضريس بن جانا وهو أبو زناتة المغرب، وجانا هو ابن لواء بن بر بن قيس بن الياس بن مضر. وعندما قتل داؤد عليه السلام جالوت البربر رحلوا من فلسطين إلى المغرب وتفرقوا هناك فاستقرت مزاتة ومغيلة وضريسة الجبال، وأما لواتة فنزلت ارض برقة كما نزلت طائفة من هوارة بجبال نفوسة إضافة إلى أعداد أخري استقرت بأرض المغرب الأقصى ومنهم قبائل مصمودة[4]. أما الطبري فيذكر أنهم من بلاد كنعان. ويشاطر الإدريسي ابن حوقل في رأيه في أصل البربر فيذكر في كتابه "والبربر جميعهم من ولد جالوت إلا اليسير منهم"[5]. كما يؤيد البكري والمسعودي وابن الأثير هذا الرأي. وفي رواية أخرى أنهم من مصر من أبناء مصرايم بن حام[6] ومن أبناء قبط بن حام. وتذكر بعض الروايات أن أصلهم جميعاً من اليمن وأنهم أبناء النعمان

---

[1] السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المغرب في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 46.

[2] المرجع نفسه ص 46.

[3] عبدالله كنون: مدخل إلى تاريخ المغرب، تطوان، المغرب، ط1، 1958م، ص 9.

[4] الإدريسي: مصدر سابق، ص 222.

[5] ابن حوقل، مصدر سابق، ص 97.

[6] اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، د. ت، د.ط، ص 190.

ابن حمير بن سبأ. وقد حاول مالك بن المرحل والذي كان في خدمة السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني أن يوفق بين هذه الروايات فقال أنهم من أصول عدة حميرية ومضرية وعماليق وكنعانية وقبط وقريشية اجتمعت جميعاً في الشام[1] ويثبت ابن خلدون رأى من قال إن البربر من أبناء كنعان بن حام بن نوح، وأنهم أقارب الفلسطينيين وليسو منهم[2].

صفوة القول إن فكرة هجرة البربر من الشام إلى إفريقية يمكن أن تحمل شيئاً من الحقيقية إذ يمكن القول إنها تعبر عن الهجرات الفينيقية التي استقرت بإفريقية[3].

تقسيم قبائل البربر:

البربر قبائل كثيرة تشعبت بطونها وأفخاذها في البراري والصحاري، ولهم ملوك ورؤساء يطيعونهم ولا يعصون لهم أمراً. ويقسم مؤرخو العرب البربر إلى قسمين[4] يتشابه مع تقسيم العرب.انظر ملحق رقم (8)

فالقسم الأول: هم البرانس (الحضر)

أما القسم الثاني: هم البربر البتر (الرحل)

أ ــ البرانس:

ومن قبائلهم المشهورة: ازداجة ومصمودة وأوربة وعجيسة وكتامة[5] وصنهاجة[6] وهوارة، تضاف إليهم لمطة وهكسورة وبنو زيري وجزولة واوريغة، كما تتفرع

---

(1) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال، مرجع سابق، ص 82.

(2) ابن خلدون: العبر، ج/2، مصدر سابق، ص 108.

(3) سعد زغلول: مرجع سابق، ص82.

(4) حسين مؤنس: مرجع، سابق، ص 6.

(5) كتامة وهي القبيلة التي ظهر بهم عبيدالله المهدي، انظر: ابو إسحاق إبراهيم بن محمد الاصطخري : المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبدالعال الحسيني، مراجعة: محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة، ط1، 1961، ص 34.

(6) صنهاجة ولمطة أخوان لأب واحد وأم واحدة، وهم إخوة لهوار من الأم وأبوه المسور بن المثنى بن كلاع بن أيمن بن سعيد بن حمير، وكان المسور أميراً من العرب ساكناً مع قومه في بلاد الحجاز وضاعت له، إبل فخرج باحثاً عنها حتى وصل إلى بلاد المغرب فمر بجبال طرابلس، فقال لغلامه: "أين نحن؟" فقال له: "نحن بأرض إفريقية" ، فقال له: " لقد تهورنا" والتهور عند العرب هو الحمق فسمي بهذه اللفظة هوار، ونزل المسور مع قبائل زناتة وتزوج منهم (تازكي) أم صنهاج ولمط وولدت له المثنى، وبقي

هذه القبائل الكبيرة إلى قبائل أو فروع صغيرة مثل مليلة، وتنحدر من هوارة وغمارة وتنحدر من مصمودة[1]. انظر ملحق رقم (9)

ب ـ البتر:

ومن قبائلهم: أدارسة ونفوسة وضريسة وبنو لوا الأكبر. وهذه الأصول الكبيرة تنقسم بدورها إلى فروع صغيرة؛ فتنحدر من قبائل لوا قبيلتا نفزاوة ولواتة، ومن لواتة تنحدر قبائل مزاتة ومغاغة ومنها قبيلة سدراتة أخت قبيلة مغراوة (عن طريق الأم). كما تنحدر من نفزاوة قبيلة ولهاصة، وتنحدر من ولهاصة قبيلة تير غاتس، ومنها تنحدر قبيلة ورفجومة. أما قبيلة ضريسة فتنحدر منها تمزيت وبنو يحيى، وفروع بن تمزيت مطماطة وصطفورة ولماية ومطفرة ومغيلة وملزومة ومديونة. وفروع بني يحي هي قبائل زناتة جميعها بالإضافة إلى ورصطف وسمجان، ومن ورصطف تنحدر قبيلة مكناسة، ومن سمجان تنحدر قبيلتا زواغة وزوارة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك فوارق اجتماعية واقتصادية بين البتر والبرانس كانت قد اسفرت عن وجود صراعات ونزاعات بين هاتين الطائفتين حتى فسر على أنه صراع بين البدو والحضر؛ أي بين البتر والبرانس[2]. وقد استغل الغزاة والفاتحون هذا الصراع في توطيد نفوذهم في المغرب.

وأما الأساس الذي تم عليه تقسيم قبائل البربر هو تميزهم بين (سكان الوبر) الخيام و(سكان المدن) (سكان البيوت). وكانوا يقسمون قديماً إلى نوميديين (جزائريين) وموريطانيين (أي مغربيين أو مراكشيين)، ويقسمون حالياً إلى عرب وقبائل غير عربية. وتعيش قبائل البرانس معظم حياتها مستقرة في السهول والجبال الخصبة حيث تعتمد على الزراعة، في الوقت الذي تعيش فيه قبائل البتر

مع أخويه وكثر نسلهم وتسلطوا على الأمم المجاورة فحاربوهم حتى أخرجوهم إلى المناطق المجاورة فنزلوها وبها قبائلهم إلى الآن، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، مصدر سابق، ص 223. وقد حكم المغرب من القبائل البربرية في عهد الإسلام قبيلة أوربة والتي أوت مولاي إدريس وصنهاجة أصل المرابطين ومصمودة أصل الموحدين وزناتة التي ينحدر منها المرينيون.

[1] ابن حوقل: مصدر سابق، ص 97.

- الإدريسي: مصدر سابق، ص 223.

[2] أحمد مختار العبادي: مرجع سابق، ص 17.

حياة متنقلة بين الهضاب والمناطق الصحراوية وشبه صحراوية، وتعتمد في حياتها على الرعي[1].

ويتميز البربر بالكثير من الصفات والخصال البدوية. فهم يشبهونهم في حياتهم ، وفى سكن الخيام، وفى التنقل وعدم الاستقرار، ومن صفاتهم الكرم، وحماية الجار، والدفاع عن أفراد القبيلة، والثبات في الشدائد والصبر وعلو الهمة والشجاعة، والبساطة في العيش، إلى غير ذلك من الصفات [2]. كما تشابه لغتهم اللغة العربية في الكثير من الألفاظ.

ولا يزال العلماء يعثرون على أجناس جديدة لهذا العنصر الأمر الذي يؤدي إلى اختلاف أقوال الكتاب فيه ولا تزال أصولهم مجهولة[3].

ولعل السبب في قلة المعلومات عن البربر يرجع إلى أنهم لم يدونوا تاريخهم الذي ظل مجهولاً آلاف السنين، كما يسيطر عليه الغموض في فصول أو فترات عدة من تاريخ البربر.

حياة البربر الاجتماعية

أ- اللغة:

كما أسلفنا لم يتفق العلماء حول أصول البربر وانتمائهم بشكل دقيق فيما يوافق تقسيمهم أنماطا مختلفة في الحياة وفي الحضارة. ولكن الشيء الذي يثير تساؤل العلماء هو أن اللغة السائدة بين البربر هي كنعانية الأصل فهي تشابه إلى حد كبير اللغات الحامية[4].

ويتفق العلماء على تصنيف اللغة البربرية ضمن مجموعة لغات الشعوب الحامية، إلاّ أنهم يختلفون عن سائر الحاميين بحكم الموقع الجغرافي في شمال

---

[1] ابن حوقل: مصدر سابق، ص 99.

- أحمد مختار العبادي: مرجع سابق، ص ص17، 18.

- السيد عبدالعزيز: تاريخ المغرب في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص ص 47، 48.

[2] ابن خلدون: العبر، ج/2، مصدر سابق، ص ص15، 16.

- غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر وعيسى الحلبي، 1969، ص 251.

[3] عبدالله كنون: مرجع سابق، ص 9.

[4] عمر رضا كحالة: المغرب في تاريخ المغرب والأندلس، د.ن، منشورات كلية الآداب بجامعة القاهرة، ط1، 2000، ص 18.

إفريقية فقد داخلتهم دماء أوربية [1] وفي فترات تاريخية بعيدة، كما تداخلت أيضاً مع شعـــوب أخرى كالوندال[2].

وأثبتت أبحاث بعض اللغويين أن التشابه في اللغات ترجع إلى لغـــة أم قديمـــة، وفي الوقت الحاضر أصبحت اللغة البربرية ممزوجة إلـــى حـــد كبيـــر بالألفـــاظ العربية، والكثير من البربر يتكلمون البربرية و يمزجونها بالعربية.

لقد تأثر البربر بالعرب بشكل كبير ولم يتأثروا بغيرهم مـــن الأمـــم التـــي دام سلطانها في إفريقية كاليونان والرومان، فلم تتفق لغتهم إلا مع اللغـــة العربيـــة[3]، وترتب على ذلك الكثير من التوافق بين الطرفين فعاش البربر حاضرهم العربـــي فاحتكوا بالعرب واعتنقوا الإسلام.

ب- الديانة:

كان البربر قبل الفتح الإسلامي لإفريقية يدينون كغيرهم من الأمـــم بـــديانات مختلفة. ولم تكن لهم ديانة ثابتة فكانوا إما وثنيين أو يهود أو نصارى، ثم اعتنقـــوا المسيحية فترة وتركوها. كما عبد البربر مظاهر الطبيعة وعبدوا آلهة قرطاجة مثل (عرزيل ومستمان) وغيرها من الآلهة[4].

وكان البربر يضحون ببعض الأولاد تقرباً لآلهة الزمن (كيوان) [5]، كـــذلك عبدوا أصناماً من الحجارة. ويذكر البكري أن قبائل البربر في ودان كان لها صنم من الحجارة مبني على ربوة يسمى (كرزة) يقربون له القرابين ويتبركـــون بـــه، ويضيف أنه في جبل بين أغمات والسوس كانت تقدس حيوانـــات كـــالكبش[6] ذي القرون الكبيرة، كما عبدوا حيوانات أخري كالأفعى والقردة.

ومارس البربر السحر والشعوذة وتأثروا بالكهانة والكهنة من أمثال الكاهنة ملكة جبل أوراس والتي قضى عليها حسان بن النعمان. وقد كانت أفعالها تتراوح

---

[1] عمر رضا كحالة:المرجع السابق، ص ص 18،19.

[2] غوستاف لوبون: مرجع سابق، ص 253.

[3] عبدالله كنون: مرجع سابق، ص 10.

[4] غوستاف لوبون: مرجع سابق، ص 247.

- انظر: أبوالعباس: مرجع سابق، ص ص 71، 72

[5] غوستاف لوبون: مرجع سابق، ص 248.

[6] الاصطخري، مصدر سابق، ص 12.

بين الحقيقية والخيال، فأثرت في الناس بقيامها بأعمال تثير الرهبة فكانت عندما تندمج في حالة الإلهام لتتنبأ بالمستقبل، تقف وتنثر شعرها وتدق صدرها، وفي بعض الأحيان كانت ترمى بأحجارها[1].

دان بعض البربر باليهودية والمجوسية حيث عبدوا النار وكانت لهم بيوت من النار. كما دخل الكثير منهم المسيحية أبّان الحكم الروماني لإفريقية, وبعد الفتح العربي دخل الكثير منهم الإسلام. وقد أظهر الخلفاء المسلمون جهداً كبيراً في نشر الإسلام في إفريقية بين البربر، كما فعل الخليفة عمر بن عبدالعزيز والذي بذل نشاطاً كبيراً في ذلك واختار العلماء والفقهاء من العرب ليقرأوا لهم القرآن ويفسروه لهم ويعلموهم كل ما فرضه الدين الإسلامي من واجبات[2].

ج – حياتهم الاجتماعية:

تتشكل القبيلة البربرية من الأسرة التي يتمتع فيها الأب بالسلطة والنفوذ. ويخضع لهذه السلطة جميع أفراد العائلة المنتسبين داخل الكيان الأسري إلى جد أعلى. وعند وفاته تنتقل السلطة لا إلى أكبر أبنائه بل إلى كبير الذكور في العائلة[3].

تعتبر العائلة النواة الأولى في المجتمع البربري، ونتيجة لضروريات وظروف الحياة البدوية عمد البربر إلى تكوين كتلة بشرية أكبر وأوسع من العائلة لتكون هذه الجماعات في مأمن من كل شر وعدوان، وكان على رأس هذه العشائر والقبائل الكبار والشيوخ[4].

وكانت الروابط الاسرية والقبلية بين البربر قوية وكان شيخ القبيلة بمثابة زعيماً لها

سكن البربر في بداية عهدهم الكهوف، ثم اتخذوا لهم مساكن من أكواخ بسيطة بنيت من أغصان الأشجار ومن القصب، وبنوا بيوتاً من الطين والحجارة، وقد

---

(1) ابن عذاري: مصدر سابق، ج/1، ص 37.

(2) أبو العباس، مرجع سابق، ص 71، و كذلك انظر: سير توماس وارنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1957، ص351.

(3) صالح مصطفى المزيني: مرجع سابق، ص 177.

(4) المرجع نفسه ص177.

عرفوا بناء المدن بعد احتكاكهم بالفينيقيين، كما كانت قراهم تضم مجلساً مهمته النظر في مصالح القرية.

استقر الحضر منهم في المدن والقرى، وأما البدو فقد سكنوا الخيام المصنوعة من الشعر والوبر وذلك لانتقالهم من مكان إلى آخر بحثاً عن مراع لحيواناتهم. وكانت مساكن البربر تبنى حسب الطبيعة الجغرافية، فكان سكان الجبال يبنون بيوتهم بالطوب ويسقفونها بالطين، أما أهل الجنوب حيث تقل الأخطار فكانت تبنى بالطوب وتسقف بالأشجار والخشب [1].

أما فيما يخص قوانين البربر فلم يعرف البربر أمر السجون، وكانت العقوبات عندهم فضيحة، ويعزل البربري عن عشيرته إذا أجرم[2].

وكان للبربر عادات وتقاليد تصل إلى درجة العقيدة الدينية (والمثل على ذلك الرضاع الرمزي، وذلك بأن يبل الدقيق بالزيت ويجعل على ثدي المرأة ثم يأتي الرجل فيأكل من ثديها مع أبنائها فيصبح بذلك ابناً لها وأخاً لأبنائها) [3]، وكان البربري يكتفي بزوجة واحدة[4]. وفي بعض القبائل كقبيلة لمطة والتي تقطن مدينة أزكي (وهي اول مراقي الصحراء ومنها الي سلجماسة وتسمي ايضآ مدينة ازقي) إذا بلغت المرأة الأربعين سنة تصدقت بنفسها على من يريدها من الرجال فلا تدفع نفسها ولا تمنع من يريدها. وتسود في أوساط بعض القبائل البربرية عادات غير محمودة كما هي الحال في قبيلة كتامة[5] والتي تبذل أولادها للأضياف النازلين بهم، وكما هي الحال في قبائل غمارة التي انتشرت بينها عادة (الموارية) قبل الإسلام [6].

---

(1) صالح مصطفى المزيني :المرجع السابق، ص 178.

(2) غوستاف لوبون: مرجع سابق، ص 248.

(3) ابن عذاري: مصدر سابق، ج/1، ص 37.

- سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال، مرجع سابق، ص106.

(4) غوستاف لوبون: مرجع سابق، ص 248.

(5) الإدريسي: مصدر سابق، ص 225.

(6) الموارية هي أن يحمل شباب القرية العروس قبل أن يدخل بها زوجها ويحتفظون بها مدة تطول أو تقصر حسب جمالها، ثم يعودون بها إلى زوجها، المصدر السابق، ص 170.

وكان للمرأة البربرية مركز هام في المجتمع البربري وعلى جانب كبير من الأهمية، فقد شاركت مع زوجها في الحروب، وخلد هوميروس ذكرها حين تغنى بالملكة والنسوة المترجلات اللاتي فتحن بلاد (لوبية). وكان من النساء اللاتي جلسن على عرش الملك (الكاهنة)[1] والتي أثرت في البربر بما تمارسه من شعوذة فالتف حولها البربر فكانوا سريعي التأثر بهذه الأشياء. فعندما فتح عقبة إفريقية وشرع في بناء القيروان وكانت مكاناً مليئاً بالسباع والحيات والأشجار دعا الله أن تخرج منها واستجاب الله له مما أذهل البربر وجعل عدداً كبيراً منهم يدخلون في الإسلام[2].

وفيما يختص بالزي البربري، فإن لباس الرجال والنساء كانت أكسية من الصوف وجبات وبرانيس ويربطون على رؤوسهم عمائم صوف مسماة (كرازي)[3]. كما كانوا يرتدون أكسية تسمى (بالسفسارية) [4]. وكانت تجلب من بلاد السوس أكسية رقاق وثياب عالية الجودة.

وكان الرجال يضعون في أرجلهم نعالاً، أما رؤوسهم فكانت محلوقة وفي بعض الأحيان يضعون فوقها أكاليل من الريش. والرجال والنساء يتزينون على السواء فيما يتميز الرجال عن النساء بوضع أقراط في آذانهم والنساء يضعن الخلاخل في أرجلهن ويوشمن وجوههن. وأكثر طعام البربر العسل، وينقعون الزبيب في الماء بعد الدق ويشربونه، ويحضرون العديد من الأطعمة ومنها (أسلوا) يصنعونها من الحنطة ويقلونها قليلاً حتى تعود جريشاً، ثم يمزجون العسل بمثله سمناً ويعجنون به تلك الحنطة على النار ويضعونه في مزاود لهم فيأتي طعاماً شهياً وذلك إذا أخذ منه الإنسان فإنه لا يجوع بقية يومه[5].

---

[1] غوستاف لوبون: مرجع سابق، ص 249.

[2] ابن الآبار: مصدر سابق، ص 463.

- البلاذري: مصدر سابق، ص ص 328، 329.

[3] الإدريسي: مصدر سابق، ص 224.

[4] المصدر السابق، ص 225.

[5] الإدريسي : المصدر نفسه.

د- حياتهم الاقتصادية:

يمارس البربر العديد من الأنشطة الاقتصادية التي تحتل فيها تربية الماشية المرتبة الأولى بجانب أنشطة اقتصادية أخرى كالزراعة والتجارة وغيرها.

أ- الزراعة

مارست العديد من قبائل البربر مهنة الزراعة، فكانت أهل استقرار وذلك لحاجة الشجر إلى عناية ولا يؤتي ثمره إلاّ بعد فترة من الصبر والأناة. وأهم شجرة عرفها المغرب هي شجرة الزيتون والتي تكاد أن تكون الغلة النقدية في المغرب إلى أيام الفتح العربي. ويروي ابن عذارى (أن عبدالله بن سعد بن أبي سرح عندما رأي كثرة الذهب والفضة بإفريقية سنة 27هـ/649 م) قال لأهلها: "من أين لكم هذا ؟" فأخذ الرجل منهم يلتمس شيئاً من الأرض حتى جاء بنواة زيتون وقال من هذا أصبنا الأموال لأن أهل البحر والجزر ليس لهم زيتون فكانوا يمتارونه من هنا) [1].

ومن أهم المدن الزراعية مدينة سلجماسة التي اشتهرت بكثرة خضرتها وقصورها وديارها المتصلة بالنهر الذي يأتيها بالماء من جهة المشرق من الصحراء ويزيد في فصل الصيف كنهر النيل ويزرع بمائه حسبما يزرع فلاحو مصر[2]. وفي الأعوام التي يكثر فيها مياه هذا النهر وتخرج عنه يثبت لهم ما حصدوه في العام السابق من غير بذر(فكان إذا فاض النهر عندهم ثم رجع بذروا في تلك الأرض زرعهم ثم حصدوه عند تناهيه وتركوا جذوره إلى العام القادم فينبت ذلك من غير حاجة إلى بذر زراعة) [3]، وعرف البربر الكثير من المزروعات والغلات مثل القمح والكروم والحنطة والنخيل[4]. كما اشتهرت طرابلس وكان يسكنها بربر من (هوارة) بزراعة أشجار الخوخ والكمثرى. أما

---

[1] ابن عذارى: مصدر سابق، ج/1، ص 87.

- الإدريسي: المصدر السابق، ص ص 225، 226.

- سعد زغلول عبدالحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال، ص ص 100، 101.

[2] الإدريسي: مصدر سابق، ص ص 225، 226

[3] الإدريسي: المصدر السابق، ص 226.

[4] وكانت مدينة برقة (المرج حالياً) واجدابيا واوجلة من أشهر مدن المغرب في زراعة النخيل، أنظر: ابن حوقل: مصدر سابق، ص 71.

مدينتا قابس وسفاقس فقد اشتهرتا بزراعة الزيتون وإنتاج الزيت فهي ذات أرض خصبة وفاكهتها ذات جودة عالية. أما القمح والشعير فقد اشتهرت بزراعته جزائر بني مزغنة إضافة إلى التين[1]. كما عرفوا زراعة أنواع أخري كالجوز والعنب والسفرجل والرمان وقصب السكر، وعرفوا زراعة القطن والذي اشتهرت به مدينة داى[2]. وتجدر الإشارة هنا إلى أنهم قاموا أيضاً بزراعة الحدائق والبساتين في المدن[3].

2- الصناعة

قام البربر بصناعات عدة منها مواد البناء والملابس وغيرها من الصناعات الأخرى كالطعام والشراب والسروج واللجم والزجاج، وقاموا باستخراج وصناعة المعادن. وكانت بلاد السودان تعتمد على تجار مدينة أغمات[4] في جلب النحاس الأحمر لها، كما جلبوا لها الأكسية وثياب الصوف والعمائم وصنوف النظم من الزجاج والأصداف والأحجار والآلات الحديدية. لقد تطور البربر في الصناعة فكانت أبواب منازلهم تدل على مقاديرهم، وذلك أن الرجل منهم إذا ملك أربعة آلاف دينار يمسكها مع نفسه وأربعة آلاف يصرفها في تجارته، أقام على يمين بابه وعلى يساره عرصتين من الأرض إلى أعلى السقف[5]. وبنيانهم بالآجر والطوب، فإذا مر الخاطر بدار ونظر إلى تلك العرص مع الأبواب قائمة، يعرف من عددها كم يبلغ المال عند صاحب هذا الدار[6]. وصنعوا أيضاً الدرق اللمطية والتي سميت بهذا الاسم نسبة إلى مدينة لمطة ولا أبدع منها ولا أصلب منه صنعاً ويقاتل بها أهل المغرب لحصانتها وخفة محملها[7]

---

(1) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 78.

(2) الإدريسي: مصدر سابق، ص ص 227، 230.

(3) المصدر السابق، ص 230.

(4) لقد اشتهرت مدينة أغمات بصناعة النحاس الخالص وهو نحاس لونه أبيض ويدخل في لحام الفضة، انظر: الإدريسي: مصدر سابق، ص 224.

(5) ابن حوقل: مصدر سابق، ص 95.

(6) الإدريسي: مصدر سابق، ص 224.

(7) المصدر سابق، ص 224 .

وللبربر استعداد صناعي يكفي لصناعة ما يحتاجونه من مختلف الأدوات والنسائج والأسلحة والحلي وغيرها، وهم يرسلون إلى الخارج ما يزيد من مصنوعاتهم[1].

3- التجارة

اشتهرت مدن عدة في المغرب العربي بالتجارة فكانت مقصداً للوارد والصادر. وكانت للبربر أسواق كثيرة وتسير قوافلهم محملة بمختلف البضائع إلى بلاد السودان. ويذكر الإدريسي: (وما منهم رجل يسافر عبيده رحالة إلاّ وله في قوافلهم مائة جمل والسبعون والثمانون جملاً كلها موقرة) [2].

كما عرفوا التجارة عبر البحار فكانت لهم مراسي في آسفي و مساست ومرسى القبط وهو أحسنها، فقد تمكن بعض المراكب من الوصول إليه فتخرج منه البضائع كالحنطة والشعير[3].

والخلاصة أن البربر كغيرهم من الأمم مارسوا التجارة، وشيدوا الأسواق العامرة، وباعوا فيها مختلف البضائع من الطعام والشراب والكساء وغيرها، كما زخرفوا الملابس والأواني الفخارية.

وقد حصل بين البربر والعرب تجاوب فكري وروحي نتج عنه انسجام ولو بعد مدة طويلة. وكان القرآن الكريم والدين الإسلامي أكبر عامل على تقوية تلك الروابط.

ثالثاً: الأفارقة

إلى جانب البربر كانت هناك جماعات أخري من أهل البلاد كالأفارقة، وقد سموا بهذه التسمية نسبة إلى إفريقية ، وقداختلطو مع البيزنطيين وتأثروا بالحضارة الرومانية والبيزنطية، وكانوا يشتغلون بالزراعة والصناعة والتجارة للبيزنطيين[4].

---

(1) غوستاف لوبون: مرجع سابق، ص 247.

(2) الإدريسي، مصدر سابق، ص 232.

(3) المصدر السابق، ص 235.

(4) محمد عبدالقادر الخطيب: مرجع سابق، ص 70.

دخل الأفارقة في خدمة الروم وأصبحوا من المولين لهم وتـأثروا بالحـضارة الرومانية، فاعتنقوا الديانة المسيحية، ثم دخلت أعداد كبيـرة مـنهم فـي الـدين الإسلامي[1]، من أجل المحافظة على أراضيهم[2] وهم لا يرجعون إلـى أصـول بعيدة، فهم مزيج من السكان الأصليين من متحضرة البربر ومن بقايا المستعمرين الرومان ومما خلفت قرطاجنة من ناس صهرتهم في حكمها أيام الفينيقيـين[3]. ولا يجمع هذا الخليط أصولاً واحدة، ولا ينحدرون من اصل واحـد، ولا جـد أعلـى تنحدر منه، بل تجمعهم الحياة المشتركة والاسـتقرار علـى الأرض والارتبـاط بالمعيشة سوياً على أرض واحدة، أو بمعنى آخر تجمعهـم حيـاة المدينـة ومـا تتضمنها من مظاهر حضارية كزراعة الحقول والبساتين والصناعات المختلفة إلى آخره من مظاهر اقتصادية وأنشطة مختلفة[4].

وبالرغم من أن كثيراً منهم دخل الدين إلا سلامي إلاّ أنهم ظلوا يتكلمـون لغـة خاصة بهم وكانت مزيجاً من اللاتينية والبربرية. وقد ظلـوا يحتفظـون بميـول انفصالية، كما شارك بعضهم في الحركات الانفصالية مثل (عبد الأعلى بن جريج الإفريقي) [5].

وعن حياتهم الاقتصادية، فقد كانوا زراعاً وتجاراً وأصـحاب مهـن وحـرف مختلفة وما كانوا أرباب حكم ولا أصحاب سلطان. ولهـذا الـسبب لـم يـسلبهم المسلمون شيئاً فكان الأمر عندهم سيان سواء أكانوا تحت حكم الروم أم تحت حكم المسلمين[6] ، فكان من غلب عليه الدين ولياً للروم وعوناً لهم، أما من غلبت عليه حياته نفسها سواء في الزراعة أوالصناعة أوالتجارة فكان لا يبالي كما يبالي الروم أنفسهم عن حياتهم في السلطان والحكم، فكانت مقاومته مرهونة بحياته الزراعيـة أوالتجارية أوالصناعية، فإذا تعرضت حياته هذه للخطر اشتدت مقاومتـه[7]، وإذا

---

[1] محمود شيت: مرجع سابق ص ص 19، 20.

[2] سعد زغلول: مرجع سابق، ص 106.

[3] شكري فيصل: مرجع سابق، ص 180.

[4] المرجع نفسه.

[5] سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال، مرجع سابق، ص 106.

[6] شكري فيصل: مرجع سابق، ص 184.

[7] المرجع السابق ، ص 184.

أحيطت بالضمانات خفت هذه المقاومة. وقد سكن الأفارقـــة الأقـــاليم الـــساحلية، وتأثروا بالحضارات الرومانية واللاتينية، كما عاصروا القرطاجيين القدماء (قـــوم هنيبعل) وعاصروا كذلك اليونان[1].

رابعاً: الـــســـودان

سكن السودان إفريقية، وكان يطلق عليهم اسم الأحباش أو(الإثيوبيين). وقد اطلق هذا الاسم عليهم اليونان القدماء حيث اقتصر هذا الاسم على سكان الأقـــاليم الجنوبية، وعادة ما كان يقصد بها أصحاب البشرة السمراء من سكان البلاد سواء لامتزاجهم بالسودان أو نتيجة لعامل البيئة. وكانت واحات الصحراء همزة وصـــل بين المغرب والسودان، وهي منطقة المزج بين العنصرين الأبيض والأســـود لأن واحات الصحراء تعتبر نقطة الالتقاء بين المغرب والسودان، ولهذا فإن هذا الموقع جعل بلاد المغرب وثيقة الصلة من الناحية الجغرافية ببلاد السودان الغربية [2].

ووصف البكري مدينة غدامس واوجلة وزويلة بأنها أبواب السودان[3]. وعنـــد الفتح العربي لإفريقية كانت الجماعات السودانية مختلطة بأهل البلاد، ودخل العديد منهم في الاسلام[4].

---

(1) عبادة رضا كحالة: مرج سابق، ص ص 18، 19.

(2) محمد شيت: مرجع سابق، ص ص18، 19.

(3) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص 10.

(4) ابن عذارى: مصدر سابق، ج/1، ص 156.

المبحث الثاني

السكـــان الـــوافـــدين

اولاً: الفينيقيون

الفينيقيون كانوا من سكان إفريقية وهم من الأصل الكنعـــاني، أمـــة اشـــتهرت بركوبها البحر وبالتجارة فهي ذات نشاط اقتصادي كبير، وعرفت بلادهـــم قـــديماً (بفينيقيا).

برزت الأمة الفينيقية في التاريخ وهي ذات حضارة عظيمة منذ مئات السنين، وكانت مدنهم عامرة زاهرة وبلغوا شأناً عظيماً في الحضارة والتمدن[1] لقد جـــاء الفينيقيون (الكنعانيون) من الشام إلى إفريقية في القرن الثاني عشر(ق.م) وأســـسوا مراكز تجارة على شواطئ البحر وخصوصاً في المناطق الساحلية حيـــث يـــسهل الوصول إليها مثل مدينة (قرطاجنة) [2] ، وقد كانوا أمة مسالمة.

ويعتبر الفينيقيون أول من استعمل الزجاج، وأول من ركب البحـــر بـــسفنهم التي صنعوها، ولم تكن لهم أي نشاطات حربية، فهم أمة مـــسالمة تعـــيش علـــى التجارة فتاجروا مع سكان إفريقية بالمقايضـة، وتبادلوا معهـــم بـــضائعهم فكـــانوا يأخذون منهم الصوف والجلد والعاج وريش النعام والماشية، ويعطـــونهم الثيـــاب والخمور وأواني الزجاج والفخار. ولقد تأثر سكان إفريقية بالحـــضارة الفينيقيـــة فأخذوا عنهم الفراسة، واستخراج المعادن، وعـــصر الزيتـــون وغيرهـــا. وكـــان الفينيقيون على علاقات ودية مع البربر وغيرهم فهم لم يدخلوا معهـــم فـــي أيـــة حروب أو خلافات سياسية[3] ومن أهم مراكزهم فـــي شـــمال إفريقيـــة بزيـــوم، بطرابلس ، وزجتيان وقرطاجنة بتونس .

وتعتبر هذة المدن ذات مواقع استراتيجية هامة وكانت تقصدها السفن مـــن جميـــع الانحاء .

---

(1) عبدالله كنون: مرجع سابق، ص 11.

(2) المرجع السابق- ص 11، 12

(3) المرجع نفسه ص12.

ثانياً: الروم والفرنج

احتل الروم إفريقية واستمروا بها حتى عام (435م)، وعندما تغلبوا على دولة قرطاجنة، استولوا على مستعمراتها التي كانت تابعة لها ومن ضمنها شمال إفريقية، ولم يتمكنوا من احتلال سواحله إلاّ بصعوبة بالغة وبعد القضاء على قرطاجة بمائة وثمانين سنة. وقد غلبوا على البلاد، ومارسوا مهن وحرف كثيرة كالتجارة والزراعة، كما كانوا الطبقة المستبدة بأمور البلاد سياسياً واقتصادياً[1].

وبالرغم من أن البلاد ظلت خاضعة للرومان لفترة طويلة، إلا أنهم ظلوا جماعة منفصلة عن سكان البلاد وكان الاختلاط بينهم وبين سكان البلاد محدودا لم يتجاوز التحالف أو الجوار في الخدمة العسكرية[2] ، كما ظل الامتزاج بين الطرفين محدوداً.

وكان العرب هم الذين أطلقوا تسمية الروم عليهم، وهم ما كانوا روما بيزنطيين في الأصل، وإنما كانوا من الفرنجة (سكان إيطاليا وفرنسا)، والفرنجة هم الذين تولوا حكم إفريقية، وإن الأكثرية من الجند كانوا من الفرنجة وحشودهم[3]. وقد عامل الرومان سكان البلاد بقسوة وكانوا يعتبرونهم عبيداً لهم وهم سادة البلاد، كما انتهزوا فرصة الخلاف بين البربر (البرانس والبتر) وزادوا شقة الخلاف بينهما فتمكنوا من تثبيت أقدامهم في البلاد، وقد تحالف العرب مع البتر، ويرجع السبب في ذلك لتشابههم معهم في طابع البداوة، في حين أن البرانس اختلفوا عن العرب إذ تأثروا بالحضارة اللاتينية كما دخلت أعداد كبيرة منهم المسيحية، كما كان استقرارهم في المدن الساحلية حيث تواجد المسيحيون في هذه الأجزاء من إفريقية[4]. وبعد الفتح الإسلامي انسحب الروم أمام العرب إلى جزر البحر الأبيض المتوسط، كما لجأت أعداد منهم إلى الدواخل واعتنقوا الإسلام من

---

(1) محمد عبدالقادر الخطيب: مرجع سابق، ص 17.

(2) شكري فيصل: مرجع سابق، ص 180.

– سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال، مرجع سابق، ص 109.

(3) صالح مصطفى المزيني: مرجع سابق، ص 181.

(4) المرجع السابق، ص ص، 181، 182.

أجل المحافظة على أموالهم[1]. كما قاوم الروم الفتح العربي وكانوا كلما تـوفرت لهم إمدادات من الجند والأسطول، حاربوا المسلمين، وإذا عاد إليهم المسلمون استكانوا. ولم تهدأ مقاومة الروم للعرب طيلة سنوات الفتح[2] واستمرت منذ أن وطأ المسلمون إفريقية، و كانت لهم الغلبة والنصر في ولاية حسان بن النعمان وموسى من بعده والذي قضى على الروم في إفريقية. لقد ظل حكم الرومان في إفريقية مدة ستة قرون تقريباً.

وقعت إفريقية فيما بين الحكم الروماني والحكم البيزنطي تحت حكم الو ندال، وهم قبائل جرمانية وأمة وحشية عاثت في هذه البلاد فساداً وخراباً ونهباً وقتلاً وتدميراً، اكتسحوا أوروبا في القرن الرابع الميلادي، ثم استقروا ببلاد أسبانيا والتي تسمى (واندلوسيا) نسبة إليهم، وقد دخلوا في سنة (429م/1037م) إلى إفريقية، وكان دخولهم باتفاق مع الحاكم الروماني (بونيفاس) والذي أعلن العصيان على دولته، ثم استدعي الوندال فلبى الوندال دعوته، ودخلوا البلاد بقيادة ملكهم (جنسيريك). لقد استدعاهم الحاكم الروماني ليساعدوه في الانتصار على خصومه في روما، ولكنهم خذلوه وحاربوه كما حاربوا جيوش أعدائه، وبذلك خسر (بونيفاس) منصبه وفقدت روما إمبراطوريتها في إفريقية والى الأبد[3].

لقد كان دخول الوندال إلى شمال إفريقية سهلاً حيث ساعدهم في ذلك من كانت بيده مقاليد الأمور وهو الحاكم الروماني، كما أن البربر أعانوهم انتقاماً من الرومان ومن حكامهم الطغاة ومن حكمهم المقيت فوقفوا إلى جانب الوندال[4]، ولكنهم ما أن صفا لهم الجو حتى بدأوا في التدمير والخراب، فأحرقوا وهدموا المباني، وارتكبوا أشنع الفظائع فكان عصرهم أسوأ من سابقه.

وقد حكمت هذه القبائل الجرمانية شمال إفريقية إلى شاطئ المحيط الأطلسي، وكذلك أسبانيا وأهم الجزر بالبحر الأبيض المتوسط، وكان لهم جيش قوى

---

(1) سعد زغلول: مرجع سابق، ص 110.
- شكري فيصل: مرجع سابق، ص 183.

(2) شكري فيصل : المرجع السابق ص 183 .

(3) عبدالله كنون: مرجع سابق، ص 17.

(4) محمود شيت: مرجع سابق، ص 20.

وأسطول بحري ضخم. وقد حارب الوندال روما وتمكنوا من الاستيلاء عليها، وعلى الرغم من القضاء على الوندال إلاّ أن الكثير من فلولهم لجأت إلى دواخل البلاد، واستغاثت بقبائل البربر، وقد حدث اختلاط بينهم وبين البربر فنتج عنه وجود الشقرة بينهم وزرقة العيون[1]، ولم يستفد أهل إفريقية من الوندال شيئاً ذا أهمية لأنهم كانوا قوماً متوحشين.

بعد أن دب الضعف والاضطراب في أجزاء الدولة الوندالية وانشقت على نفسها، قامت الشعوب التي استعمرتها وثارت ضدها، وانتهزت الدولة الرومانية الشرقية (البيزنطية) هذه الفرصة، فأرسلت قائدها (بلزار) في أسطول ضخم فحارب الوندال واحتل قرطاجنة واستمر في محاربتهم حتى قضى على وجود الوندال في شمال إفريقية بعد أن دام زهاء (151) عاماً ليبدأ بعد ذلك العهد البيزنطي ولتخضع إفريقية لحكم قياصرة الإمبراطورية الرومانية الشرقية، إلا أن نفوذهم في المغرب كان ضعيفاً ولم يتغلغل احتلالهم إلى الداخل كما كان الشأن في العهد الروماني[2]، وانتشرت المسيحية في عهدهم بخلافاتها ونزاعاتها، واشتد القتال بين الوثنيين والمسيحيين، ولم يتأثر سكان البلاد بحضارتهم ولم يقبلوا كثيراً على المسيحية، وظلت البلاد تعاني من الفوضى[3] والاضطراب، إلى أن أشرق نور الإسلام، فانقشع ظلام الجهل والوثنية من إفريقية وعاد الاطمئنان إلى النفوس وبسط الأمان والسلام على الأرض، وأقبل سكان إفريقية على الإسلام وتعاليمه التي تدخل إلى النفس البشرية الراحة والاستقرار.[4]

---

[1] سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال، مرجع سابق، ص 109.

[2] عبدالله كنون: مرجع سابق، ص 18.

[3] المرجع نفسه.

[4] سعد زغلول: مرجع سابق، ص 109.

ثالثا: طــوائــف أخــــرى

وجد بين السكان في إفريقية عدد غير قليل من معتنقي الأديا الاخرى كا اليهودية والمسيحية ،وقد اطلق على هؤلاء اسم اهل الذمة، وهم من غير المسلمين في كنف الدولة الاسلامية وبينهم الكثير من العرب .

والذمة (التزام) تعني توطين أهل الكتاب في ديار الإســلام وحمــايتهم مقابــل الجزية، ففي قوله تعالى (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)[1]، والجزيــة جعلها غاية تطلب منهم لقاء تلك الحماية وهي نتيجة من نتائج الحــروب وليــست دافعاً من أجلها[2].

وأهل الذمة اصطلاح عرفه الفقه الإسلامي. والذمة في اللغة تعنــي العهــد والضمان والأمان المؤيد عقد الذمة معهم، فعقد الذمة هو عقد يكتسب بموجبه غير المسلم أوالكتابي حق الإقامة الدائمة في ديار الإسلام مع حماية الشريعة الإسلامية في ذلك مقابل ضريبة تسمى الجزية[3]. وقد حدد الإسلام موقفه بشكل واضح مــن أهل الذمة أو أهل الكتاب قال تعالى (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة ســواء بيننــا وبينكم ألاّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون) [4]. وقال تعالي (لا أكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الــوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) [5]. وقال تعالي (فلذلك فأدع واستقم كما أمــرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير)[6]. وقال تعالى (فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن أتبعني فإن أسلموا فقد اهتــدوا وأن

---

(1) سوره التوبة، الآية 29.

(2) القلقشندي: مصدر سابق، ج/3، ص ص 356، 357.

(3) محمد عبدالهادي المطردي: عقد الذمة في التشريع الإسلامي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع طرابلس، 1987م، ص 26.

(4) سورة البقرة، الآية 254.

(5) سورة آل عمران. الآية 63.

(6) سورة الشورى، الآية 13.

تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد)[1]. وقال تعالى(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم وأحد ونحن له مسلمون)[2]. وقد فسر ابن كثير قوله تعالى (الذين ظلموا) بأنهم أهل حرب ومن أمتنع منهم عن أداء الجزية[3]. ويقر القرآن الكريم بأن اليهود والنصارى هم أهل كتاب.

وقد جاء في الحديث الشريف: (يسعى بذمتهم أدناهم) بذمتهم بمعنى الأمان. وسبب تسميتهم بهذا الاسم يرجع إلى قول الرسول صلىالله عليه وسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش أوصاه بتقوى الله وفيه (وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك، تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيك فلا تعطيهم ذمة الله وذمة نبيك ولكن أعطيهم ذمتك). وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحترم أهل الذمة ويتعامل معهم، وأوصى بعدم إيذائهم وإعطائهم الامان والمحافظة على حقوقهم.

كانت مسامحة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لليهود والنصارى عظيمة لم تتواجد في الديانات التي سبقت الإسلام كاليهودية والنصرانية[4].

كما جمع الإسلام والمسلمون بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أصحاب الديانات الأخرى مع حملهم للسيف من أجل نشر الدين الإسلامي، ولكنهم تركوا من لم يرغبوا فيه أحراراً في التمسك بتعاليمهم الدينية[5]. وسار الخلفاء الراشدون[6] على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم في معاملتهم لأهل الكتاب، فقد

---

[1] سورة آل عمران، الأية 20.

[2] سورة العنكبوت، الاية 46.

[3] ابن كثير: تفسير القران الكريم ، تقديم يوسف عبدالرحمن المرعشلي، دار المعرفة بيروت، ط 2، 2004م، ص 1211.

[4] غوستاف لوبون: مرجع سابق، ص 128.

[5] المرجع نفسه.

[6] ومن الروايات التي سجلها التاريخ ويصعب حصرها عن عدل الحكام والقضاء المسلمين، وعدم تفريقهم بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب؛ (جاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه صبي قبطي يشكو إليه من اعتداء ابن عمرو بن العاص عليه بالضرب، فأصر عمر على أن يقتص الصبي القبطي من ابن عمرو قائلاً له: اضرب ابن الأكرمين، ثم وجه تعنيفه إلى القائد المسلم بعبارة خالدة ترددها الأجيال بكل فخر واعتزاز وهي (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً). كما أرسلت امرأة قبطية تدعى (فرتونة) شكوى إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بأن عماله في مصر هدموا منزلها من أجل بناء مسجد وعندما استفسر الخليفة من عمرو بن العاص عن خبرها قاله له: أردنا أن نوسع مسجداً وأعطيناها تعويضاً عن مسكنها ورد عمرو لكن المرأة لم تقبل ؟ فرد عمر نعم فغضب عمر وقال: كيف تبنون مسجداً على حساب حق الآخرين وأمر بإعادة الأرض إلى (فرتونة) وبناء بيتها من

عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول الهجري، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة، ونستطيع القول والحكم بأن كل القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار وإرادة حرة[1]. لقد وجد العرب أنفسهم أمام تشابك في المعتقدات في البلاد التي افتتحوها كالمعتقدات الروحية والعبادات التي ترجع إلى زمن غابر كآلهة القرطاج[2].

ونجد المسيحية الارثوذكسية أو الهرطوقية واليهودية التلمودية أو غير التلمودية لها أتباعها، ولم يقض الإسلام قط على اليهودية لأن الخضوع الدنيوي لسلطة المسيحية كان قد أنزل اليهودية إلى وضعية أقلية منذ زمن طويل[3]، إن الإسلام قد كفل الحرية الدينية لأهل الكتاب، وتركهم أحراراً في عقيدتهم وعبادتهم وإقامة كافة شعائرهم الدينية، فللمسيحية الحق في بناء كنائس جديدة، ولهم الحق في دق نواقيسهم إيذاناً بصلاتهم وإخراج صلبانهم في يوم عيدها[4]. هذه الحرية الدينية لم يعرف لها نظير ولم يحدث أن انفرد بالسلطة ومنح مخالفيه في العقيدة كل أسباب الازدهار مثلما فعل الإسلام، كما ضمن الإسلام لأهل الذمة كافة الحقوق في العمل والتجارة والقيام بجميع أنواع النشاط الاقتصادي سواء بالتعاقد مع الغير أو بالعمل لحسابهم الخاص، ولهم الحق كذلك في مزاولة ما يختارون من المهن الحرة ومباشرة ما يريدونها من الحرف شأنهم في ذلك شأن المسلمين[5].

انتشر اليهود في كافة أرجاء العالم العربي والإسلامي حيث تحول الكثير من المزارعين إلى اليهودية قبل الدخول في الإسلام، كما اعتنقت اليهودية طائفة من السكان في المدينة. ومن القبائل التي اعتنقت اليهودية قبيلة جروة وقبائل نفوسة

بيت مال المسلمين. أنظر: ادوار غالي: معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، مكتبة غريب، القاهرة، ط 1، 1993م، ص ص111،110.

(1) سير توماس ارنولد: مرجع سابق، ص 51.

(2) فليب فارج ويوسف كرباج: المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي ترجمة: بشير الشيلي سيناء، القاهرة، 1994م، ط 1، ص 58.

(3) المرجع نفسه.

(4) إدوارد غالي: مرجع سابق، ص 43.

(5) المرجع السابق، ص 100.

وقبائل مديونة وبنو فزارة. كما اشهرت مدينة قابس وجادو الواقعة بالقرب من جبل نفوسة بكثرة اليهود بينهما[1].

أما المسيحية فقد انتشرت في الأجزاء الساحلية والتي كانت تحت الحكم البيزنطي، والجدير بالذكر أن انتشار هذه الديانات كان سطحياً وضعيفاً في نفوسهم. ولم يجد الفاتحون العرب صعوبة في اجتذابهم إلى الإسلام[2]. لقد كانت الأفكار اليهودية دخلت منذ وقت مبكر مع الفينيقيين، ثم مع المهاجرين اليهود أبان الاضطهاد الروماني، وقد وصل اليهود حتى جبال أطلس و اندمجوا في حياة السكان ألاقتصادية والثقافية والدينية[3]. وتزعم اليهود النشاط التجاري وكانت لهم أحياء خاصة استقروا فيها[4]. أما المسيحية فقد دخلت إلى المغرب عن طريق مصر وبدأ تنظيم الكنيسة الإفريقية في منتصف القرن الثالث الميلادي على يدي القديس سيبرمان[5].

كما استمر اليهود والنصارى في المدن الإسلامية بعد الفتح الإسلامي بممارسة التجارة الخارجية[6]. وكذلك الحرف المرتبطة بالعقاقير والذهب والفضة وتكاد أن تكون بكاملها في أيدي اليهود، وكانوا يعملون لحسابهم كما يعملون لحساب المسلمين[7].

إن العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة كانت علاقة متينة، وكان التعامل والتفاعل بين الإسلام وبين أصحاب الأديان السماوية الأخرى في مختلف فترات التاريخ الإسلامي. وبعد ظهور الدول الإسلامية المستقلة في المغرب، ظهرت

---

[1] محمود السيد: تاريخ اليهود، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1، 2007 م، ص 70.

- فليب فارج ويوسف كرباج: مرجع سابق، ص 80.

[2] عبدالواحد دنون : مرجع سابق، ص 29.

[3] عطا أبوزيد: اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، دار النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 2005م، ص ص 40، 41.

[4] سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال، مرجع سابق، ص 117.

- أنظر: ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة: السيد محمود عبد العزيز ومحمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1995،، ص 39.

[5] سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال، مرجع سابق، ص 117.

[6] للنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم وهي من الأمنة، وتجار النصارى أيضاً يؤدون في بلاد المسلمين ضريبة على سلعهم. أنظر: أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير: رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د. ط، د.ت، ص 535.

[7] محمود السيد: تاريخ لليهود، مرجع سابق، ص72.

سلطة مستقلة تعددت في مراكز التجمعات الدينية لليهود وبوجه خاص في القيروان[1].

في عهد الدولة الفاطمية استطاع أهل الذمة تقلد العديد من المناصب بسبب سياسة الخلفاء الفاطميين الأول، فشغلوا أعلى المناصب بما فيها الوزارة، وقد وصف الشاعر (الحسن بن خاقان) تولي أحد اليهود هذا المنصب قائلاً:

يهود هذا الزمن قد بلغوا	غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهم	ومنهم المستشار والملك[2]

أما الشاعر الحسن بن بشير الدمشقي فيصف الحالة التي ازدادت فيها مكانتهم في بلاط العزيز بالله وقد زاد الخليفة في إكرام النصارى، قال الشاعر:

تنصر، فالتنصر دين حق	عليه زماننا هذا يدل
وقل بثلاثة عزوا وجلوا	وعطل ما سواهم فهو عطل

فيعقوب الوزير أب وهذا العزيز ابن روح القدس فضل[3]

كان لأهل الذمة رئيس يمثلهم في قصر الخلافة ولدى الحكومة. وفي القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي) اعترف أيضاً بالمجوس كأهل ذمة[4].

كان لليهود في بلاط العزيز ديوان يشرف عليه اليهودي (يعقوب بن كلس)، وهذا الديوان يشبه ديوان (مجلس الوزراء اليوم)، كما كانت في بلاط العزيز قاعة خاصة يجتمع فيها كبار الدعاة من أهل الطوائف الأخرى.

وكثيراً ما كان الخلفاء الفاطميون يحضرون المناقشات مع اهل الذمة والطوائف الاخري التي تدور حول الله والنبوة ويوم القيامة[5]. والغاية التي كان يسعى من ورائها الخلفاء الفاطميون بهذه السياسة هي العمل بكل جد من أجل كسب تأييد الناس واعتناق مذهبهم الفاطمي وجعله سائداً في كافة أنحاء البلاد[6].

---

[1] محمود السيد: مرجع سابق، ص72.

[2] محمد عبدالمجيد: دور اليهود في الحضارة الإسلامية، الرقة، د.م، 2000م، ط1 ص258.

[3] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية ، ص215.

- آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد بن عبد الهادي ريدة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1984م، ص 95.

[4] المرجع السابق، ص60.

[5] محمد عبدالمجيد: مرجع سابق، ص 259.

[6] حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص202.

كما أن العلاقة بين الفاطميين وأهل الذمة وصلت إلى حد المصاهرة وصلة النسب، فقد تزوج الخليفة الفاطمي العزيز بالله بنصرانية وعين أخويها بطريقين للكنيسة الإغريقية والأرثوذكسية، وجعل أحدهما في الإسكندرية والأخر في بيت المقدس، كما عين (عيسى بن نسطور) وزيراً، وعين (منشا) اليهودي وزيراً على الشام، وقد أظهر كلاهما محاباة لبني ملتهم فقاموا بإقصاء المسلمين عن أغلب المناصب وعينوا بني ملتهم بدلاً منهم، فنتج عن ذلك تولد شعور الكراهية والسخط لدى المسلمين، وبلغ الغضب والسخط ذروته، فكتب أحدهم شكوى وأعطاها لامرأة وطلب منها أن تقف في طريق العزيز الفاطمي وتقدمها إليه، وكان فيها: (بالذي أعز النصارى بعيسى بن نسطور واليهود بمنشا بن إبراهيم الضرار وأذل المسلمين بك إلا نظرت في أمري) [1]. وعلى الرغم مما أظهره الكتاميون من الكراهية لليهود والنصارى، قلد ابن نسطور ديوان الخاصة ولكنه قتل بعد ذلك بعدة أشهر [2].

كما كان للخلفاء الفاطميين أطباء من اليهود، ولم يغير هؤلاء الأطباء دينهم بل بقوا عليه وقد عظم شأن اليهود في بلاط المعزلدين الله الفاطمي.

أما النصارى فقد نالوا حظاً كبيراً في عهد العزيز بالله وزاد في إكرامهم [3]. وقد استخدم اليهود اللغة العربية في البلاد العربية في حياتهم اليومية فيما ظلت اللغة العبرية هي المستخدمة في المعابد [4]. ويجدر بالذكر أن الأديرة النائية قد حظيت برعاية الفاطميين وزياراتهم، فقد كان الخليفة كلما خرج للصيد بالقرب من دير منح رهبانه المال [5].

الحاكم بأمر الله(393هـ/1013م) والذي بويع بالخلافة وهو صغير لم يتجاوز عمره العشر سنوات، نشط في بناء المساجد واهتم بتشجيع المذهب الفاطمي، كما عمد إلى مراقبة (أهل الذمة)، ويبدو أنه عمد إلى ذلك من أجل إظهار ما في

---

(1) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص204.

(2) المرجع السابق، ص ص204، 203

(3) آدم متز: مرجع سابق، ص ص94، 95.

(4) محمود السيد: تاريخ اليهود، مرجع سابق، ص75.

(5) عبدالمنعم ماجد: مرجع سابق، ص 353

الإسلام من عزة أو ربما قصد من ذلك تحويل أهل الذمة إلى الإسلام[1]، أو ساءه ما رآه من محاباة غير المسلمين[2]. كما كان لروح الغضب والسخط والحقد والعداء التي سادت جمهور المسلمين وأثارت حفيظة كبار رجال الدولة وشعور الكراهية التي ساورت النفوس ضد النصارى أثرها الكبير في مقتل فهد بن إبراهيم الذي كان معاوناً للحسين جوهر معاون برجوان في إدارة شئون الدولة والنيابة عنه إذا غاب، وظل إلى أن قتل بسبب سياسة المحاباة لأهل الذمة[3]. طبق الحاكم بأمر الله مع أهل الذمة سياسة القسوة والعنف، فأجبرهم على لبس السواد، وركوب الحمير، ووضع طوق حول أعناقهم، كما دمر عدداً من الكنائس ومنها كنيسة القيامة[4]. وفي سنتي (400-401 هـ/1012-1013م) شمل الاضطهاد المسلمين، بل تعداهم إلى بعض ذوي المناصب عبدالمنعم ماجد: مرجع سابق ب العليا من الفاطميين، وامتد حتى شمل جميع السكان على اختلاف طبقاتهم. ثم اجتمع اليهود والنصارى وقرروا مقابلة الحاكم فقابلوه، وأعطاهم الحرية في القول وقالوا له إن سلوكه معهم يغاير ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده، وسألوه كيف يبرر هذه السياسة التي تخالف العهد والميثاق الذي أعطاه لهم المسلمون، فأمرهم بالانصراف وطلب منهم الرجوع إليه في الليلة التالية، فقدموا إليه فاخبرهم الحاكم بأمر الله قائلاً أن هذا السلوك الذي كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم كان الغرض منه الترغيب في الإسلام والدخول فيه، والآن مضت على الإسلام أربعة قرون ومبادئه تحت أنظار الجميع، وفي مقدورهم أن يفحصوها، ثم قال لهم: (ليس لكم عندي إلاّ خيار واحد من اثنين؛ إما اعتناق الإسلام بعد كل هذا التأخير، وإما العقوبة العاجلة إذا أبيتم الدخول فيه). ولم يتمكن المندوبون بالتفوه بأي كلمة أو الاحتجاج والرفض، فانصرفوا في صمت[5].

---

[1] عبدالمنعم ماجد: مرجع سابق ص 27.

[2] حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص 208.

[3] حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص ص 208، 209.

[4] التوني نتج: العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام، ترجمة راشد البراوي، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط1، 1974، ص 223.

[5] حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص ص 208، 209.

دام اضطهاد الحاكم بأمر الله لأهل الذمة حوالي تسع سنوات(398-407هـ/1010-1019م)، ثم تمتعوا بحريتهم الدينية في عهد الخلفاء من بعده، كما أخذ شعور العداء عند المسلمين تجاه اليهود والنصارى ومن يخالفهم في الدين يضعف شيئاً فشيئاً، وما كان له أن يظهر إلا في فترات قصيرة وخاصة عندما يتقلد ذمي منصباً من مناصب الدولة كمنصب الوزارة، فإن انتقالها يعني تقوية نفوذهم واستئثارهم بكثير من المزايا والمناصب في الدولة[1].

صفوة القول إن الفاطميين عاملوا أهل الذمة معاملة حسنة تنطوي على الاحترام، كما منحوهم كامل حقوقهم، وحرص على توفير جميع وسائل الأمن لهم وإمدادهم بالمعونة، وتسهيل مطالبهم، وإبعاد الأذى والظلم عنهم، مما يدل على عدل وسماحة الدين الإسلامي الذي أنزله الله على هذه الأرض حتى يعم الأمن والسلام عليها.

---

[1] حسن ابرهيم حسن : المرجع السابق، ص 210.

الفصل الثالث
الحياة الاقتصادية بإفريقية زمن الفاطميين

المبحث الأول
الزراعة والثروة الحيوانية

أولاً: الزراعة

ثانياً: الثروة الحيوانية والسمكية

المبحث الثاني
الصناعة والتجارة

أولا: الموارد المعدنية

ثانياً: أهم الحرف والصناعات

ثالثاً: التجـــــــــــارة

المبحث الأول

الزراعة والثروة الحيوانية

أولاً: الزراعة

نظراً لما للزراعة من أهمية في حياة الشعوب، فقد أولى الفاطميون اهتماماً كبيراً بها، ولاقت من جانب حكام الأسرة الفاطمية التشجيع فكانت لديهم الرغبة في زيادة إنتاج المحاصيل الزراعية من أجل تقوية اقتصادهم وزيادة ثرواتهم. و أنشأ عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية (297-322هـ/ 909 - 934 م) قناة للماء من قرية منانش في تونس حتى وصلت إلى مدينة المهدية لكي تخزن في الصهاريج الخاصة بها وذلك للاستفادة منها في مختلف جوانب الحياة من زراعة وصناعة وغيرها، وزودت المدن بمصانع للماء[1]. وقد كان بمدينة قرطاجنة صهريج كبير حوله ألف وسبعمائة حنية. وكان يجري إلى هذا المصنع الماء المجلوب من عين جبار إلى قرطاجنة في قناة عظيمة ومن عين جبار كان عبدالله الشيعي يشرب الماء، كما أهتم خلفاؤه من بعده بتنمية الزراعة وما تتطلبه من اهتمامات؛ مثل شق الترع، وإقامة الصهاريج ومشاريع الري، وزيادة إنتاج محاصيل الزراعية وتنمية الثروة الحيوانية[2].

أ – مشاريع الري:

واجهت الدولة الفاطمية مشكلة الجفاف، فقامت بإنشاء مشاريع للري من أجل ازدهار اقتصادها وسد النقص في المياه، وأقامت هذه المشاريع للتحكم في مياه الأمطار والتوسع في مساحة الأرض المزروعة لزيادة الإنتاج في مختلف أنحاء البلاد، وبنت السدود، فتمت السيطرة على مياه الفيضانات بتخزين الفائض منها على شكل برك خلف هذه السدود الصخرية، كما زودت المدن (بالمواجل) الصهاريج لحفظ الماء للسقي والشراب، وجلب الماء لها من العيون وسفوح الجبال والأودية وذلك من خلال القنوات. وقد سار الخلفاء الفاطميون على نهج من

---

(1) المصنعة مكان كالحوض يجمع فيه ماء المطر ، ينظر المقريزي: إتعاظ الحنفاء، مصدر سابق، ص 102.

(2) البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، ص 44.

– حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ص 567، 568.

سبقوهم في الاهتمام بتزويد المدن بهذه الصهاريج[1] . وتعتبر صهاريج مدينة المهدية والتي أنشاها عبيدالله المهدي ويبلغ عددها ثلاثمائة وستين ماجلا من المواجل العظام من أشهر الصهاريج التي كانت تزود المدينة بمياه الري[2]. والجدير بالذكر أنه في عهد المعز لدين الله الفاطمي أمر بعمل صهاريج أو مواجل في الصحاري بين سرت والفيوم [3] وذلك عندما عزم على الرحيل إلى مصر والانتقال بالدولة الفاطمية إليها[4]. وفي مدينة القيروان كانت توجد خمسة عشر ماجلاً سقاية لأهلها تتجمع فيها مياه الأمطار والسيول في فصل الشتاء. كما كان بمدينة سوسة ماجل كبير تتجمع فيه المياه بواسطة قناة مدت إليه وقد أقيم في جانب مدخله وينزل بواسطته إلى أسفله، وقد استفاد السكان كثيراً من مائة في أوقات الجفاف وشح المياه[5].

كما كان يوجد ثلاثمائة وستون من جباب (آبار) الماء في الطريق الممتد من برقة إلى لإفريقية في مكان يسمي وادي موسوس[6] ، هذا إضافة إلى ماعدا ما كانت في سرت واجدبيا وطرابلس[7]. وبجانب الصهاريج، نالت القنوات وقناطر المياه نالت نصيباً وافراً من اهتمام الفاطميين، ومن أهم تلك المشاريع القنوات التي بنيت في عهد المعز (341-365هـ/935-977 م) في مدينة المنصورة والتي كانت في غاية الدقة والاتقان، فكان يصلها الماء من عيون في مكان يعرف (بعين

---

(1) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ص 567 ، 568 .

(2) المرجع نفسه.

(3) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر: تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، ط1، د. ت، ص 140.

(4) يذكر المقريزي أن المعز عندما عزم على الرحيل إلى مصر، وقبل رحيله استقدم جعفر بن علي بن حمدون وطلب منه أن يتولى إمارة إفريقية نيابة عنه، لكن جعفر اشترط عليه أن يمنحه شروطاً تتيح له الاستقلال الداخلي وقال له: (تترك معي أحد أولادك أو أعوانك يجلس في القصر وأنا أدبر ولا تسألني عن شيء من الأموال لأن ما أجبيه يكون بزكاة ما أنفقه وإذا أردت أمراً فعلته من غير أن انتظر ورود أمرك فيه لبعد ما بين مصر والمغرب، ويكون تقليد القضاء والخراج إلي)، فغضب المعز لذلك وقال (يا جعفر عزلتني عن ملكي والأموال دوني، قم فقد أخطأت حظك وأصبت رشدك، ثم أقصاه عنه واستقدم بلكين بن زيري بن مناد وعرض عليه ولاية إفريقية، ولكن بلكين قال له (يا مولانا أنت وآباؤك الأئمة من ولد الرسول صلى الله عليه وسلم ما صفت لكم إفريقية فكيف تصفو لي وأنا صنهاجي بربري قتلتني يا مولانا بغير سيف ولا رمح)، وما زال به المعز حتى قبل أن يتولى إفريقية ماعدا صقلية التي كانت يتولاها بنو أبي الحسين الكلبي، وطرابلس التي كان يتولاها عبد الله بن يخلف الكتامي، أنظر: المقريزي: اتعاض الحنفاء ، ص 142.

(5) حسن حسني عبدا لوهاب: مرجع سابق، ص 64.

(6) البكري: مصدر سابق، ص 5.

(7) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، 1909، ص 224.

أيوب)، وهي تقع خارج المدينة وتبعد عنها بأكثر من ثلاثة وسبعين ألف ذراع وتتخلل الطريق الذي تنساب منه مرتفعات ومنخفضات وصخور. ولم يهمل الفاطميون صيانة القنوات والصهاريج القديمة، فقاموا بإصلاح ما أفسده الدهر من قناطر قديمة مثل (حنايا أو قناطر قرطاج)، وقد سميت بالحنايا لأنها منحنية كالقوس واعتمدت بعض المناطق على مياه الأمطار كأحد أنظمة الري المستخدمة في إفريقية. واستخدم كذلك الري عن طريق السواقي كتلك التي بنيت في مدينة توزر وهي من الحجارة وكانت مقسمة تقسيماً منظماً لا يزيد بعضها عن بعض شيئاً، وكانت سعة الساقية شبرين في الارتفاع. كما أستخدم (القادوس) في تحديد كميات المياه المطلوبة للري بكل حقل على حدة[1]. واعتمد الأهالي على الآبار والعيون المتوفرة لديهم في الري مثل أهالي جزيرة (شريك) وكان اعتمادهم عليها كبيراً في سقي حقولهم[2].

وتجدر الإشارة إلى أن مشاريع الري لم تكن من صنع الفاطميين وحدهم، وإنما يعود معظمها إلى العصور السابقة لهم، إلا أن الفضل يرجع إليهم في صيانة ما وجدوه منها وإضافة مشاريع جديدة ساهمت في الازدهار الاقتصادي لدولتهم.

ب – أهم المنتجات الزراعية:

تعتبر الزراعة أحدي أعمدة الاقتصاد الفاطمي التي اعتنى بها الفاطميون لما تمثله من أهمية في الوضع الاقتصادي، وقد تنوعت المحاصيل الزراعية تنوعاً كبيراً. ومن أهم هذه المحاصيل والمنتجات الزراعية الشعير والقمح والزيتون وغيرها من المحاصيل التي لاقت عناية فائقة. ولم يكن الإنتاج الزراعي قاصراً على سد حاجة الاستهلاك الداخلي، بل فاق ذلك بكثير مما سمح بتصديره إلى خارج إفريقية. ومن ثم امتازت افريقية بمنتجاتها الزراعية من كافة المحاصيل الزراعية والتي يأتي على رأسها محصولا القمح والشعير الذين تركزت زراعتهما في مساحات ومناطق كثيرة.

---

(1) البكري: مصدر سابق، ص، ص 48، 49.

(2) المصدر السابق، ص 39.

وبرزت عدة عوامل هامة كان لها الفضل الأكبر في زيادة الإنتاج الزراعي منها: تأمين المصادر الدائمة للري كالأنهار والعيون والآبار، بالإضافة إلى عناية الحكام واهتمام الأهالي بأمور الزراعة رغبة منهم في زيادة محاصيلهم أملاً في زيادة دخلهم، بجانب الاهتمام بإقامة الجسور والقناطر وحفر الآبار في مختلف مدن وقري إفريقية في ظل استتباب أمني بين ربوع الإقليم.

1- القمح والشعير

إن القمح هو المحصول الرئيسي والعالمي الذي يعول عليه الإنسان في حياته الغذائية ثم يأتي من بعده الشعير فيحتل المرتبة الثانية من حيث الأهمية، كما مثل في بعض مناطق إفريقية المرتبة الأولى قبل القمح في الغذاء لبعض السكان. كثرت زراعتهما في أماكن متفرقة من بلاد المغرب ومثلت المناطق الشرقية الإفريقية أهمية خاصة في إنتاج القمح[1] بكميات كبيرة أثناء الحكم الفاطمي وذلك عما كانت عليه في عصور سابقة وتعتبر مدينة الأنصاريين[2] من أهم مناطق زراعة أجود وأحسن أنواع القمح في إفريقية. كما كان محصولا القمح والشعير من أكثر المحاصيل زراعة وإنتاجاً بمدينة بجاية[3] واحتلا النصيب الأوفر من الإنتاج في مدينة باغاية[4] التي تعتبر بلاد زرع وخصب، كما وتعتبر مدن اجر[5] من المناطق غزيرة الإنتاج لهذين المحصولين. وكانت مدينة طنجة وإنتاجها من القمح والشعير أمراً عظيماً. واشتهرت المنطقة المتصلة بنواحي الاربس ومدينة تمديت[6]، ومدينة طبنة[7] بكثرة إنتاجها. كما كانت مدينة المسيلة ذات إنتاج غزير، ولم تتخلف القرى عن المدن في الإنتاج الزراعي بل كانت هي المكان الطبيعي

---

(1) جورج مارسيه: مرجع سابق، ص 205.

(2) مدينة الأنصاريين: مدينة هامة تشتهر بخصوبة أرضها وغزارة إنتاجها سميت بذلك لنزول قوم من الأنصار من ولد جابر بن عبدالله، بها. ينظر البكري: مصدر سابق، ص 47.

(3) الإدريسي: مصدر سابق، ص ص 260، 261.

(4) ابن حوقل: مصدر سابق، ص 85.

(5) البكري: مصدر سابق، ص ص 54، 55.

(6) المصدر نفسه ، ص ص 53، 77.

(7) ابن حوقل: مصدر سابق، ص 86.

للزراعة لطبيعتها، فكانت قــري أراكــوا ونمــر دوان ودكمــة وفيــرة الإنتــاج الزراعي[1].

كما حظيت مختلف مدن إفريقية بإنتاج وفير من أجود أنواع القمح ، فكــان يقيم بأرضها مائة سنة من غير أن يصيبه فساد بما يدل على نقائه[2]. وتعتبر مدينة باجة من أعظم مدن افريقية إنتاجاً للغلات لاسيما القمح، ويذكر ابن حوقــل إنهــا كثيرة الحنطة والشعير ولم تكن تساويها مدينة أخرى في إنتاجها، إذ ليس هناك في جميع أرض المغرب ما يضاهيها في كثرة وجودة ونقاء حبوبها[3] , وقــد غطــت محاصيلها الوفيرة احتياجات أهلها واحتياجات غيرها من المدن، فكــان يقــصدها جميع التجار في تلك البلاد ويبتاعون منها لكثرة طعامها ورخص ثمنه. ولم تكــن للحنطة بها قيمة عندما يكثر الإنتاج في بعض المواسم حتى أن حمل البعيــر مــن الحنطة كان يباع بدرهمين فقط[4]. ثم تأتي برشك التي اشتهرت بزراعــة القمــح والشعير وكان إنتاجها وفيراً. كما تميزت قلعة بن حماد بوفرة الإنتــاج ورخــص ثمنه، هذا بالإضافة إلى عدد كبير من المدن الأخرى التي اشتهرت بجودة وغزارة إنتاجها لمحصولي القمح والشعير مثل مدينة بونة ومدينة مرسى الــدجاج[5]. أمــا مدينة شروس[6] فتميزت هي الأخرى بإنتاجها الوفير من الشعير الذي كان يمثــل أكثر زراعتها ويحتل صدار إنتاجها من الحبوب التي يعتمد عليها الأهالي كطعــام أساسي (فكانوا يستخدمونه في صناعة الخبز، وكان خبز الشعير أطيب طعماً مــن خبز الحنطة و به لذة لا توجد في خبز من أخباز الأرض لأنه ينفرد بلذة ليست في خبز إلا 'ذا كان سميدا أو حواري قد تأنق صانعه وتفنن في إتقان خبزه حتى حاز على إعجاب وتقدير من تذوق طعمه) [7].

---

[1] ابن حوقل: المصدر السابق، ص ص 86، 87.

[2] الإدريسي: مصدر سابق، ص 266.

[3] ابن حوقل: مصدر سابق، ص 86.

[4] البكري: مصدر سابق، ص 56.

[5] ابن حوقل: مصدر سابق، ص 77.

[6] مدينة شروس: عاصمة قرى جبل نفوسه كبيرة أهلة وأهلها أباضية، ليس بها أزيد من ثلاثمائة قرية، وتبعد عن طرابلس بخمسة أيام، وتتميز بكثرة مياهها وزرعها وفاكهتها، ومثلها مدينة جادو وجبل نفوسة الموطن الأصلي للأباضية، ولم يدخل ساكنوها تحت إمرة أحد من عهد خليفة علي ابن أبي طالب ولم يسكنها غير الخوارج، أنظر: البكري: مصدر سابق، ص 9.

[7] ابن حوقل: مصدر سابق، ص، ص 92، 93.

تركزت زراعة الشعير في إفريقية بالقرب من مدينة برقة، وكذلك بالقرب من طرابلس في قرية ابن منكود، كما زرع في جبل نفوسه حيث كان الناس يكثرون من زراعته، أما مدينة باديس فأنتجت الشعير الذي كانوا يعولون عليه كثيراً ويقومون بزراعته مرتين في العام الواحد[1].

2 – الذرة

الذرة محصولاً غذائياً يأتي في المرتبة الثالثة بعد القمح والشعير، وقد زرعت في أماكن قليلة. ومن الأماكن التي اهتمت بزراعته مدينة ودان ومدينة زويلة. والذرة كانت تستخدم كذلك كعلف للحيوانات كما كانت تدخل في صناعة الخبز وبعض الأطعمة.

3- البقول

ومن المحاصيل الزراعية، الغذائية محصول البقول وهي كثيرة الأنواع و سهلة الزراعة خاصة في ظل الظروف المناخية الملائمة التي امتازت بها مناطق مختلفة في إفريقية. ومن هذه المحاصيل محصول الفول والعدس والدخن والجلبان والبسلا[2] . وقد ساهمت هذه البقول في سد حاجات السكان الغذائية. وتميزت بعض المدن بمحاصيلها الوفيرة من هذه البقول مثل مدينة باجة التي اشتهرت بزراعة الفول والحمص والعدس وغيرها من البقول. كما اشتهرت مدينة جلولاء وهي بالقرب من القيروان بإنتاج غزير من البقول تسد حاجات غيرها من المدن المجاورة مثل مدينة القيروان[3]. بالإضافة إلى هذه المدن اشتهرت مدينة تونس هي الأخرى بكثرة غلاتها من البقول[4] ، ثم تأتي مدينة سبيبة وهي على الطريق من إفريقية إلى تاهرت لتشتهر بزراعة الكمون والكروية إضافة للبقول[5]. كما اشتهرت مدن أخرى في إفريقية بخصوبة الأرض ووفرة الزرع مثل مدينة بونة ومدينة كرتة التي كان تحمل منها الغلال إلى غيرها من المدن[6] .

---

(1) ابن حوقل: المصدر نفسه.

(2) البكري: مصدر سابق، ص 74.

(3) المصدر السابق، ص 56.

(4) المصدر نفسه.

(5) ابن حوقل: مصدر سابق، ص 84.

(6) المصدر السابق، ص ص 77، 78، 81، 84.

4- قصب السكر

قصب السكر من المحاصيل التي اشتهرت بعض مدن إفريقية بزراعته، فقد زرع في جلولاء إلا أنه لم تصلح زراعته في مدينة توزر[1]، وكثرت زراعته في مدينة قابس فكان بها قصب كثير[2]. كما أن بلاد السوس كانت من أكثر منـــاطق إفريقية أنتاجاً للقصب. وقد وجد في كثير من مدنها وقراها وكـــان أهـــم منـــاطق زراعته في بلاد السوس مدينة تارودنت ويذكر الإدريسي (وقصب الـــسكر الـــذي ليس على قرار الأرض مثله طولاً وعرضاً وحلاوةً وكثرة مـــاء ويعمـــل بـــبلاد السوس من السكر المنسوب إليها ما يعم أكثـــر الأرض وهـــو يـــساوي الـــسكر اليماني).

5- القطن

انتشرت زراعة القطن بسرعة لما له من أهمية خاصة في صناعة النـــسيج وكان من غلات مدن قرطاجنة وطبنة والمسيلة والبصرة[3].

6- الزيتون

من أهم حاصلات إفريقية ومن أهم عوامـــل ثرائهـــا وتقـــدمها محـــصول الزيتون. ولقد حرص أهل البلاد وحكامها على غرس هذه الشجرة والعناية بهـــا، فيما ساعد توفر الظروف المناخية الملائمة على كثرة انتشارها في مختلف أنحـــاء إفريقية فكثرت زراعتها، واحتلت أشجار الزيتون مـــساحات شاســـعة. ووجـــدت صناعة عصر الزيتون في مدن كثيرة مثل قابس وصفاقس[4]، وانتشرت زراعـــة الزيتون في مناطق أخرى مثل جبل نفوسة التي كان لها من الزيت والزيتون مـــا ليس مثله لمن جاورها من المدن. ومن أهم مدن إفريقية في إنتاج الزيتون مدينـــة صفاقس ولها إنتاج وفير من هذا المحصول لموقعها في وسط غابة زيتـــون مـــن زيتها تمون أهل إفريقية ومصر وصقلية وبلاد الروم وربما بيع الزيت منها بسعر

---

(1) الإدريسي: مصدر سابق، ص 227.
(2) أبو الفداء: مصدر سابق، ص 141.
(3) ابن حوقل: مصدر سابق، ص 81.
(4) المصدر السابق، ص ص 72، 73.

الأربعين ربعاً قرطبية بمثقال واحد[1] . وفي ما يلي القبلة من القيروان يقال له الساحل من القرى المتصلة انتشرت زراعة الزيتون، كما يوجد منزل يقال له مجقة بالقرب من مدينة تونس له غلة عظيمة من الزيتون، وكما كثر الزيتون في بسكرة كورة وبها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة[2].

7- **الكتان**

الكتان من المحاصيل الزراعية التي استخدمت في صنع الملابس وقد نالت تلك الصناعة اهتماماً كبيراً لما لها من أهمية في الحياة. وكان يزرع بكثرة في الأحواز القريبة من مدينة سوسة[3] وفي مدن سبيبة وبونة وطبنة[4] . وزرع نبات الكتان في مدينة تاهرت في وادي سلف كما كانت مدينة متيجة من أكثر المناطق إنتاجاً للكتان وقد صدرت فائض إنتاجها إلى المدن المجاورة لها

8- **الفاكهة والثمار**

حرص الفاطميون أشد الحرص على العناية بزراعة الفاكهة ورعايتها والإكثار منها، فهي تعتبر من المحاصيل ذات القيمة الغذائية العالية والمذاق اللذيذ. وقام الحكام الفاطميون بزراعتها في مناطق خاصة وحول قصورهم، وخير مثال بستان وادي القصارين القريب من المنصورية حيث زرعت به الأصناف والأنواع المختلفة من الأشجار والرياحين حتى غدا من أجمل البساتين في إفريقية، وكان ذلك من عمل المعز لدين الله (341-365هـ/935-977 م) [5] ولم يكن خلفاؤهم من بني زيري أقل اهتماماً بذلك[6]. وكثرت زراعات الفاكهة والأشجار والثمار المختلفة وتنوعت تنوعاً كثيراً داخل إقليم إفريقية ومما ساعد على ذلك أيضاً وقوع افريقية داخل ما يعرف بإقليم البحر المتوسط والإقليم الصحراوي فتميزت فاكهته

---

(1) البكري: مصدر سابق، ص 9.

(2) ابن حوقل: مصدر سابق، ص73.

- البكري: مصدر سابق، ص45، 52.

(3) ابن حوقل: مصدر سابق، ص84.

(4) المصدر السابق، ص ص85-77.

(5) حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف :عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية ، ص 208.

(6) ابن أبي دينار : مصدر سابق، ص76.

وثماره بتنوعها مثل حب العزيز الذي اشتهرت به مدينة فاس[1]. كما تميزت البساتين والتي تبلغ مساحتها أربعة أميال بكثرة أشجار التوت بها[2]. واشتهرت مدينة رقادة بتنوع فاكهتها ومحاصيلها البستانية حيث كانت من أكثر بلاد إفريقية من حيث عدد البساتين والفاكهة[3] فهي كثيرة الأشجار والفاكهة من عنب وتين وبرتقال وتفاح وغيره.

واشتهرت بزراعة الفاكهة مدن أخري مثل مدينة جلولاء فكان يخرج منها الكثير من القوافل تحمل الفاكهة متوجهة إلى القيروان وذلك يرجع إلى كثرة جناتها وبساتينها[4]، ومثل مدينة تونس التي تميزت هي الأخرى بكثرة ثمارها وفاكهتها[5].

وكانت مدينة ناحية كثيرة الإنتاج هي الأخرى بمحصول التين العظيم الذي كان يصدر خارجها لكثرته[6]، وغرست الأشجار المختلفة في بادية صبرة[7] وجبل نفوسة[8]، وأحاطت مدينة قفصه كثير من أشجار الفاكهة كان أكثرها شجر التين[9]. ووجدت أشجار التين في القيروان، واشتهرت مدينة تونس بإنتاج نوع من التين يسمى (الخارمي) وهو أسود وكبير رقيق القشرة كثير العسل لا يكاد يوجد به بذر[10].

واشتهرت مدينة بني مزغنا بإنتاج التين بكميات غزيرة وكان يصدر منها إلى مدن أخري[11]. ووجدت أشجار الفاكهة والثمار في مدينة طراق وفي جزيرة جربة التي وجدت بها بساتين للعنب وغيره من الفواكه، واشتهرت بشكل خاص

---

(1) البكري: مصدر سابق، ص65.

(2) المصدر السابق، ص17.

(3) القزويني زكريا بن محمد بن محمود - آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت، ط 1، دت، ص 199 .

(4) البكري: مصدر سابق، ص32.

(5) الإدريسي: مصدر سابق، ص285.

(6) ابن حوقل: مصدر سابق، ص89.

(7) المقدسي: مصدر سابق، ص224.

(8) ابن حوقل: مصدر سابق، ص92.

(9) البكري: مصدر سابق، ص41.

(10) المصدر نفسه.

(11) ابن حوقل: مصدر سابق، ص 78.

(بإنتاج التفاح ذي الجودة العالية حيث تميز بالصفاء والجفاف وطيب المذاق والرائحة الزكية العطرة. وكذلك كانت اشتهرت مدن متيجة و مسكيانة و باغاى بكثرة أصناف الفاكهة والثمار المزروعة بها) [1].

وتأتي مدينة قسنطنية كإحدي المدن الهامة التي عني أهلها بزراعة مختلف الأنواع من أشجار مثل اللوز، والكروم في مساحات شاسعة وكبيرة منها مدينة القل، ميناء قسنطينة الهام على البحر المتوسط حيث كثرت بها أشجار العنب والتفاح. ولم يكتف أهالي أفريقية بزراعة المحاصيل البستانية في السهول والوديان والأرض المنبسطة، بل قاموا بزراعة الجبال المرتفعة ونوعوا غرسها حتى أتت بنصيب وافر وهام من أنواع الفاكهة، فهذا جبل بني زلدوى ينتج أنواعاً شتي مثل التفاح والأعناب والرمان والسفرجل وهي أنواع ذات جودة عالية [2]، وبالمثل شاركت مدينة بونه بأنواع مختلفة من زراعة الفاكهة أشهرها محصول العناب وعرفت به عن مثيلاتها من المدن حتى أطلق عليها بلد العناب كما استطاع فلاحو مدينة جيجبل الرقي بإنتاجهم من محصولي العنب حتى فاق حاجتهم فأخذو في تصديره إلى مدينة بجاية، في حين اشتهرت المنطقة من الشمال إلى الجنوب بإنتاج التمر خصوصاً في بلاد الجريد والتي سميت بهذا الاسم نسبة لإنتاجها الغزير من التمر لكثرة نخيلها.

لقد أخذت الفاكهة نصيباً وافراً من العناية والاهتمام فاحتلت مركزاً زراعياً هاماً بين المدن المختلفة في إفريقية مثل مدينتي نفطه وتقيوس فكانت الأنواع الكثيرة من الفاكهة تملأ غابتها مثل الاترج والترنجين والمخيطا [3].

كما اشتهرت مدينة الحامة بزراعة العنب ويعتبر من المحاصيل التي لها استخدامات عديدة إلى جانب أكله طازجاً. كما أنه يستخدم كعصير حيث يتم عصره لعمل الشراب فكان من أطيب أنواع الأشربة بالإضافة إلى عمل الزبيب[4].

---

[1] ابن حوقل: المصدر السابق. ص 84.

[2] المصدر السابق، ص ص 91، 92.

– الإدريسي:المصدر السابق، ص 266.

[3] المصدر السابق، ص ص، 277، 278.

– البكري: المصدر السابق، ص49.

[4] ابن حوقل: المصدر السابق، ص ص91، 92.

واشتهرت مدينة نفزواة أيضاً بكثرة فاكهتها، أما مدينة توزر فكانت تعد أكثر المدن إنتاجًا للبلح في تلك المنطقة حيث تكثر بها البساتين التي حوت بـداخلها الأنـواع العديدة من الفاكهة والتي أشهرها الاترج الذي لا يعلم في بلد آخر مثله من حيـث حلاوته إلى جانب فاكهة الترنجين والمخيطا [1] . وتميزت مدينة نقاوس بثمارهـا الجبلية وعرفت بأنها بلد الجوز وبها فواكه كثيرة ومياه وفيرة[2] وكانت من أكثـر البلاد إنتاجاً للجوز والذي كان يتم تصديره إلى أكثر البلاد خاصة إلى مدينتي قلعة بني حماد وبجاية. كما كان محصولا العنب والسفرجل المعتق كبير الحجم والـذي يشبه القرع الصغير ويتميز بالطراوة: من أهم محاصيل مدينة برشك التي تميزت بجودة زراعتها، وكان بها أيضاً الكروم والتين اللذين يجدان طريقهما إلى خـارج المدينة [3]. واشتهرت مدينة قلشاية وهي على مسيرة اثني عشر ميلاً من القيروان بكثرة البساتين ومن أكثر فاكهتها التين الأخضر الذي كان يجد طريقه إلى مدينـة القيروان القريبة[4].

واشتهر رستاق (إقليم) قمودة بكثرة أشجار الفاكهـة مـن التـين واللـوز والزيتون، وكان رستاق تبسا وقبيشة حيث تكثر بهمـا أشـجار الفاكهـة [5] . ولا ننسى إقليم قمونية وكانت عاصمته مدينة مذكور من أكثر المدن التي تزرع حولها أصناف الفاكهة لاسيما التين وهو من أجود الأنواع، كما يحمل منها الزبيب إلـى أسواق القيروان فيكون أغلى الأنواع سعراً وأكثرها طلباً، وتلتف حولهـا أشـجار التين السابق ذكرها كالغابة حتى من كثرتها تحجب الرؤية للقـادمين إليهـا فـلا يستطيعون رؤيتها إلا عند الاقتراب منها[6]. وامتازت مدينة مسيلة بزراعة الفاكهة وكثرة بساتينها هي الأخرى، فكانت مملوة بأشجار الكـروم والـسفرجل، وكـان

---

(1) الادريسي: مصدر سابق، ص ص257، 258.

(2) المقدسي: مصدر سابق، ص227.

(3) المصدر نفسه.

(4) البكري: مصدر سابق، ص 22.

(5) المقدسي: مصدر سابق، ص227.

(6) البكري: مصدر سابق، ص75.

إنتاجها يزيد عن حاجة سكانها حتى بيع قنطار العنب فيها بدرهم، فكان يصدر الفائض منها إلى غيرها[1].

وتأتي مدينة تاهرت كإحدى المدن الهامة في إنتاج الفاكهة أشهرها السفرجل الفارسي الذي يفوق في طعمه ورائحته الأنواع الأخرى[2]. وفي مدينة الغرير كان العنب يباع القنطار منه بدرهم[3]. وانتشرت البساتين والجنان في مدينة زويلة وكانت محتوية بداخلها ما لذ وطاب من أصناف الفاكهة والثمار[4].

كان إنتاج إفريقية من الفاكهة إنتاجا وفيراً حتى قيل من كثرتها لا تسأل عن كثرة البساتين بها. وكان بها الكثير من المدن الهامة وذات النصيب الوافر من الفاكهة والثمار المختلفة الأنواع وحسنة المذاق والطعم مثل مدينة تونس التي اشتهرت باللوز الفريك والرمان الاترج الجليل والسفرجل والعناب الرفيع في قدر الجوز، وكانت من أطيب مدن إفريقية ثمراً وأنفسها فاكهة[5] . واشتهرت مدينة سطيف وبينها وبين قسنطينة أربع مراحل بتنوع فاكهتها لاسيما الجوز الطيب الذي يحمل معها إلى غيرها من المدن، وكذلك الكمثري والخوخ والزعرور والمشمش وأنوع من التوت مثل التوت الأبيض والتوت الأسود (الفرصاد) والقراصيا والليمون النارنج والليم والصمغ[6] ، ومن الفواكه الأخرى البطيخ الأصفر(الشمام) وهو كثير الأنواع أما الأخضر فقليل ويسمى الدلاع[7].

---

(1) البكري: المصدر السابق، ص60.

(2) القلقشندي: مصدر سابق ج/5 ، ص 111.

(3) البكري: مصدر سابق، ص 60.

(4) التجاني: مصدر سابق، ص 324.

(5) المقدسي: مصدر سابق، ص 226 .

– القزويني: مصدر سابق، ص 173.

(6) الصمغ: وهي فاكهة فوق قدر البندقة لونها بين الحمرة والصفرة، وطعمها بين الحموضة، وهو شبيه بطعم السفرجل، ولا توجد إلا في فصل الشتاء وتقطف خضراء من الشجرة وتدفن مثل الموز ثم تؤكل. أنظر: أبو الفداء: مصدر سابق، ص 141.

– القلقشندي: مصدر سابق ج/5، ص 112.

(7) الإدريسي: مصدر سابق، ص 269.

9-الفستق

عرف سكان إفريقية الفستق وكان يزرع في مدينة نبصة والتي كانت تمثل المنطقة الرئيسية في إنتاجه بكميات ضخمة مما سمح لها بتصديره إلى مدن افريقية، بل تعداها إلى خارج حدودها[1].

10- الخضروات

أما الخضروات من الحاصلات الهامة التي قام الفلاحون بزراعتها لسد حاجاتهم الغذائية، ومن أشهرها الخيار ولفت القثا واللوبية والباذنجان والقرنبيط والكرنب والخس والملوخيا والقرع والقلقاس وغير ذلك من أنواع الخضروات[2].

11-الأشجار

انتشرت الغابات في نواحي إفريقية حيث زرعت بها أصناف مختلفة من الأشجار، فغطت معظم حاجاتها من الأخشاب مثل وادي الفجاء وهو بالقرب من مدينة طرابلس وكانت تكثر به أشجار الأثل والطرفاء وهو من الوديان الخطرة المسلك[3].

وكثرت بمدينة باجة أشجار الرند وكانت تنمو على ضفتي نهر مغيلة الواقع بينها وبين مدينة بونة[4] . كما وجدت غابة عظيمة من أشجار الزان على الطريق من مدينة بونة إلى القيروان. ويعد خشب الزان من أحسن أنواع الأخشاب وكان يجلب منها إلى غيرها من المناطق بإفريقية[5] . وحفت مدينة قابس من نواحيها غابات كثيرة استخدمت أخشابها لأغراض مختلفة[6]. ومن بين المدن الأخرى التي اشتهرت بغاباتها مدينة تاهرت حيث تملأ غيطانها الأشجار وتمد المدن المجاورة بالأخشاب لاستخدامها في البناء وغيره[7]. كما استخدمت أخشاب الزيتون والنخيل إما سقوفاً للمنازل أو كوقود للتدفئة.

---

[1] البكري: المصدر السابق، ص 47.

[2] القلقشندي:المصدر السابق ج/5، ص ص 113، 114.

[3] التجاني:المصدر السابق، ص121.

[4] ابو الفداء: المصدر السابق، ص 141.

[5] البكري:المصدر السابق، ص 54.

[6] الإدريسي: المصدر السابق، ص 279.

[7] المقدسي: المصدر السابق، ص، 216.

12- النباتات الطبية والعطرية

نالت زراعة النباتات العطرية والطبية عناية واهتماما كبيرين من قبل سكان إفريقية لما لها من فوائد صحية، فعرفوا صناعتها وفائدتها فقاموا بزراعتها في مساحات واسعة. وكانت أشهر مدن إفريقية في زراعة هذه النباتات مدينة جلولاء حيث كثرت بها أنواع مختلفة منها الزنبق والورد و البنفسج[1] . كما أحسن أهالي مدينة تاهرت العناية بهذه النباتات فزرعت بها بساتين ضخمة[2] . وكان بمدينة أبجاية جبل يسمى مسيون نمت في أكنافه الكثير من النباتات المنتفع بها في الطب مثل شجر الحضض والبرباريس والقصطون والفستين.

والتفت حول مدينة تاهرت البساتين المليئة بأصناف الرياحين وأما مدينتا آية والربس فكانتا من أكثر المدن اهتماماً وعناية بزراعة النباتات الطبية فكانتا تتنافسان في كثرة زراعتها وجودتها. أما سردانية بالقرب من القيروان فكانت عروس المنتزهات، وهي من أجمل المنتزهات بافريقية، وقد غرست بها أصناف عديدة من النباتات العطرية من الياسمين والزنبق والبنفسج والورد والنارنج وكان بها ألف صنف من هذه الأنواع[3] . وانتشرت زراعة الكمون والكرويا بمدينة سبيبة[4]. وأجمل القلقشندى أصناف الرياحين بافريقية فقال: (إن بها الاس والورد ومعظمة أبيض الياسمين والنرجس والترنجاني والمنثور والمرز نجوس والبنفسج والسوس والزعفران) [5] ومن المدن التي اشتهرت بزراعة الرياحين مدينة قفصة فقد ملأت بساتينها أنواع شتى مثل الأس والياسمين والنارنج و النرجس والسوس والبنفسج، إضافة إلى الورد الذي كان عطره أذكى وأجمل أنواع العطور بأفريقية. ويذكر التجاني غابة بالقرب من طرابلس بها أصناف كثيرة من النباتات العطرية

---

(1) القلقشندي: مصدر سابق ج/5، ص 111.

(2) المقدسي: مصدر سابق، ص، 228.

- الإدريسي: مصدر سابق، ص 259.

(3) المقدسي: مصدر سابق، ص 228.

(4) ابن حوقل: مصدر سابق، ص 84.

(5) القلقشندي: مصدر سابق ج/5، ص 113.

مثل النرجس رقيق الورق لم أر رائحة أقوى منه فوحاً، ولا أعطر روحاً، و كذلك في مدينة قرطاجنة وبها أصناف كثيرة من الرياحين [1].

وهكذا حظيت الزراعة بمختلف أنواعها بالاهتمام الأكبر والرعاية من جانب الفاطميين فازدهرت الزراعة وأصبحت تدر على الدولة أموالاً كثيرة.

ثانياً: الثروة الحيوانية والسمكية

كانت وفرة المراعى الخصبة في إقليم إفريقية سبباً في نمو الثروة الحيوانية وانتشار حرفة الرعي التي عمل بها أهل البدو. وكانت هذه المراعي تضم حيوانات متنوعة وكثيرة العدد من الإبل والبقر والغنم والماعز والخيل والبغال والحمير، أما الجاموس فلم يكن موجوداً عندهم[2].

1- الأبقار:

تميزت المناطق الشمالية ذات المراعي الدائمة الخضرة بتربية الأبقار، وقد استخدم المزارعون الثيران في أعمال الحرث[3]، وأشار البكري إلى وفرة الأبقار في مدينة القيروان[4]. كما كان لمدينة بونة إقليم واسع وبادية أكثر سوائمها البقر[5]، وكذلك مدينة طبنة والمسلية وتاهرت[6]، كما ربيت الأبقار في مرسى الدجاج والتي اشتهرت بكثرة خيراتها[7].

2- الأغنام:

أما الأغنام والتي هي أكثر ملائمة للبيئة من الأبقار نجدها أكثر انتشاراً في إفريقية، وقد اشتهرت مدينه برقة بتربية الأغنام، وكان من المعروف أن أكثر

---

(1) القلقشندي: مصدر سابق، ج / 5 ـ ص 111 .

(2) البكري: مصدر سابق، ص40.

- التجاني: مصدر سابق، ص 247.

(3) البكري: مصدر سابق، ص 85.

(4) المصدر السابق، ص 55.

(5) ابن حوقل: مصدر سابق، ص 77.

(6) المصدر السابق، ص 69.

(7) الإدريسي: مصدر سابق، ص 259.

ذبائح أهل مصر والإسكندرية منها (لكثرة شحمها ولذة لحمها) [1]. كما اشـــتهرت مدينة بونة بتجارة الغنم لكثرته[2].

وانتشرت تربية الأغنام في جزائر بني مزغنا، وأكثر أموالهم وأرباحهم من المواشي والأبقار والأغنام، وكذلك انتشرت تربيـــة الأغنـــام فـــي مدينـــة طبنـــة وتاهرت[3]. أما مدينة تدلس ففيها الغنم والبقر التي يباع بأثمان يسيرة وتخرج من أرضها إلى أجزاء كثيرة.

3-الماعز:

أما الماعز فقد كان حظها في الانتشار قليلاً إذا ما قورن ببقية الماشية فـــي إفريقية، ولذلك لم يحظ إلا بإشارات طفيفة من قبل المؤرخين، وكانت مدينة سرت قد اشتهرت بتربية الماعز[4].

4-الإبل:

الإبل وسيلة هامة من وسائل المواصلات في الصحراء، بجانب أنها تعتبـــر كالأغنام من المصادر الرئيسية للحصول على اللحوم عند جماعات البدو والحضر على السواء. وقد عرفت إفريقية الجمال في القرن الخامس الميلادي عند ما جـــئ بها من آسيا وبها استطاعوا التغلب على ظروف الحياة القاســـية فـــي الـــصحراء والسيطرة على طرق التجارة فيها. وكان رجال الصحراء في الإقليم الـــذي يلـــي الساحل من أكثر الناس اهتماماً بتربية الجمال و اقتنائها لأنه أكثر تحملاً لجفـــاف الصحراء وجدبها. ويذكر البكري أن أغلب قبائل البربر يظعنون في الشتاء إلـــى الرحيل حيث لا مطر ولا ثلج يشكلان خوفاً على إبلهم[5].

5-الخيل:

تعتبر الخيل من حيوانات الترف عند العرب، وبرز استعماله في الحروب. تشتهر بعض مدن إفريقية بتربيتها ولاسيما مدينة برقة ذات المراعـــي الخـــصبة،

---

(1) البكري: المغرب في ذكر أفريقية والمغرب ، ص5.

(2) ابن حوقل: صورة الارض ، ص 76.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق ، ص ص 254، 259.

(4) البكري: مصدر سابق، ص 6.

(5) المصدر السابق، ص5.

وكانت تصدر الخيول إلى مدينة الإسكندرية[1]. كما وجدت الخيول أيضاً في مدينة بونة التي اشتهرت بتجارة الدواب وقل بها من تفوته الخيل السائمة للنتاج[2].

6- البغال والحمير:

البغال والحمير من حيوانات الحمل وقد كثر استخدامها في إفريقية لقدرتها على التحمل والسير في المناطق الجبلية الوعرة، وقد وجدت البغال والبراذين الفراهية بكثرة في مدينة تاهرت[3]. كما كان تجار مدينة وجدة يغدون ويروحون على حمير.

7- الطيور الدجنة:

اهتم السكان بتربية الطيور للحصول على لحومها وبيضها ومنها الدجاج والإوز والحمام[4]. وكانت هناك طيور أخرى كالكركي الذي يعرف بالغرنوق وهو صيد الملوك بمصر والشام. كما يوجد بغربي بونة طائر يسمى الكيكل الذي كان يصنع من جلوده الفراء و يباع بأثمان غالية[5].

8-الأسماك:

اشتغلت طائفة من سكان إفريقية بحرفة صيد الأسماك وقد ساعدهم في ذلك طول سواحلها والبحيرات الداخلية أو المجاري المائية. وقد زودتهم هذه السواحل والمسطحات المائية الواسعة بكميات كبيرة من الأسماك. وكانت هذه الحرفة تنتشر في مدينة صفاقس[6] . ويستخرج السمك من سواحل مدينة تونس ويصطاد منها ما يعظم خطره، ويكثر قدره من الأسماك، وأكثر صيد السكان بالزروب المنصوبة لهم في الماء[7]، وكان يوجد بها أجناس كثيرة من الحوت الذي لا يكون يقل مثيله في غيرها. وكانت هذه الأجناس تجري في البحر مع الشهور حيث يوجد في كل شهر مالا يوجد في البحر إلا بدخول هذا الشهر في العام المقبل، وبه لذة طعم

---

(1) أبو الفداء: مصدر سابق، ص 132.

(2) ابن حوقل: مصدر سابق، ص 77.

(3) المصدر السابق، ص، 86.

(4) القلقشندي: مصدر سابق ج/5، ص 177.

(5) البكري: مصدر سابق، ص 58.

(6) الإدريسي: مصدر سابق، ص 289.

(7) المصدر السابق، ص ص 281، 282.

وطيب مذاق، ومن هذه الأجناس، الأكتوبري والأشبارس والمنكوس والعبـــانق[1]. وكانت توجد بين مدينتي طبرقة وباجة بحيرة عظيمة بها أنواع كثيرة من الحـــوت أشهرها البوري[2] ، ويستخرج منه حوت واحد وزنه عشرة أرطال، وكان يحمـــل إلى عبيدالله المهدي بحفظه في العسل حتى يصل إليه طرياً. كما كان يوجد بغربي مدينة بونة بركة بها سمك كثير[3].

[1] ابن حوقل: مصدر سابق، ص 41.

[2] البكري: مصدر سابق، ص، 57.

[3] المصدر السابق، ص 58.

المبحث الثاني

الصناعة والتجارة

ازدهرت الصناعة في إفريقية خلال العصر الفاطمي وبلغت فيها أقصى درجات التقدم، وتنوعت الصناعات والحرف واستخدمت صناعات جديدة، ولم يكن هذا التقدم وليد صدفة ولكنه كان ثمار جهود شاقة واهتمام كبير.

أولاً: الموارد المعدنية:

توفرت الموارد المعدنية داخل إقليم افريقية مما ساعد على قيام مختلف الصناعات به، وانتشرت في أكثر من منطقة مختلف المواد الخام اللازمة للصناعة وبكميات لابأس بها، مثل خام الحديد والفضة والرصاص والنحاس والذهب والزئبق والزنك إلى جانب الأحجار الكريمة كاللؤلؤ واللازورد[1] والمرجان بكميات كانت تسد حاجة إفريقية و تقوم بتصدير الفائض منها إلى غيرها من البلدان التي تفتقر إلى تلك المعادن والأحجار الكريمة.

1 – النحاس:

وجد النحاس واللازورد بكميات وفيرة في جبل نفوسة حيث قامت المصانع باستخراجه وتصديره إلى داخل إفريقية وخارجها[2]. كما وجد النحاس الخالص في جبل درن وهو نحاس يميل لونه إلى البياض ويتحمل التزويج[3]. ويدخل معدن النحاس في الكثير من الصناعات مثل الأواني وصناعة الأدوات الزراعية.

2 – الحديد:

موجود بكميات وفيرة وفي أكثر من منطقة بإفريقية مما ساهم بفاعلية في النهضة الصناعية في ذلك الوقت بالإقليم. ومن أشهر مناطق استخراجه مدينة مجانة حيث انتشرت بها مناجم استخراج الحديد والفضة بالإضافة إلى الأحجار

---

(1) اللازورد حجر يستخدم في الدباغة بعد طحنه وما دام طحينا فإنه يقرب إلى لون النيل وربما مال إلى السواد، وإذا سحق أشرق لونه وجاء منه صبغ مونق لا يدانيه شئ من أشباهه أنظر: أبو الريحان البيروني: كتاب الجماهر في معرفة الجواهر، مكتبة المثنى، القاهرة، د.ت، ص 195.

(2) ابن حوقل: مصدر سابق، ص 77.

(3) الإدريسي: مصدر سابق، ص 241.

التي تستخدمها المطاحن بجميع مناطق إفريقية [1]. وفي بعض المناطق وجد الحديد على مسافات قريبه من باطن الأرض مما أدي إلى سهولة استخراجه واستخدامه وقلة التكاليف كما هو الحال في المناجم الموجودة بمدينة بونة حيث وجد الحديد بظاهر أرضها[2]. وتعتبر مدينة الاربس من المدن الهامة في استخراج المعادن. كما وجد بجانب معدن الحديد معدن الزئبق في الجبال القريبة من مدينة ارزوا وبكميات كبيرة[3].

3 – الذهب:

وجد معدن الذهب في جزيرة جربة أعظم الجزر في تونس، وهي قريبة من قابس ويبلغ طولها نحو ستين ميلاً من الغرب إلى الشرق، وتمتاز بخصوبة أرضها وكثرة زرعها[4] ، كما وجد في مدينة سلجماسة[5].

4 – الكبريت:

كانت إفريقية زمن الفاطميين غنية بمعدن الكبريت وتقع مناطق استخراجه في أقصى الشرق حيث مدينة طلميثة[6].

5 – المرجان:

قال الشاعر:

واستمرت أحداقنا فتبادرت	في جريها بدم ودمع سابق
كالدر والمرجان ينظم دائماً	فيالعقدين قلائد ومخانق
كأن أشجاره قد ألبست حللاً	خضرا وقد كللت درراً ومرجاناً
ومكلل بالدر والمرجان	كالورد بين شقائق النعمان[7]

من أهم المعادن التي حظيت بها إفريقية وجعلته محط أنظار العالم في تلك الفترة معدن المرجان الذي يتم استخراجه بكميات ضخمة من مدينة مرسي الخرز

---

[1] ابن حوقل: مصدر سابق، ص 86.

[2] المقدسي: مصدر سابق، ص 226.

[3] البكري: مصدر سابق، ص 70.

[4] التجاني: مصدر سابق، ص 156.

[5] الاصطخري: مصدر سابق، ص 34.

[6] ابو الفداء: مصدر سابق، ص 149.

[7] أبو الريحان البيروني: مصدر سابق، ص 137، 138.

التي تعتبر من أهم مناطق استخراج المرجان في العالم في العصور الوسطى، ويعتبر من أفضل أنواع المرجان في العالم[1]. كما وجد المرجان في مدينة طبرق.

ولقد عرف هذا المعدن باسم القرن وهي جبال موجودة تحت مياه البحر ويتم استخراجها عن طريق الغوص تحت الماء حيث يجتمع الغواصون بأعداد كبيرة بقواربهم ومعهم صلبان مصنوعة من الخشب ملفوف عليها كتان محلول، ويتم ربط الصليب الخشبي في جبلين ويتم إلقاؤها في الماء، ثم يقوم العمال بعملية دوران القارب فيعلق المرجان بالصليب الخشبي، وعند ذلك يتم سحبه بما علق به من المرجان ولكل على حسب ما يخرج، ومنهم من يكون نصيبه نحو عشرة آلاف درهم، ومنهم من لا يصيب سوى عشرة دراهم، ويباع رخيصاً داخل الأسواق، ولين له إشراق قبل عملية جليه، ويصدر بكميات كبيرة إلى أسواق العالم المختلفة شرقاً وغرباً[2].

ومن مناطق استخراج المرجان الأخرى بأفريقية مدينة تونس، ولكنها لا ترقى في الأهمية والكمية والنوعية عن منطقة مرس الخرز السابق ذكرها فمرجان بونة أقل كمية من مرجان مرس الخرز[3].

والمرجان من المعادن التي يقبل الحكام والأغنياء على اقتنائها، وكان للخلفاء عامة وفى إفريقية في زمن الفاطميين خاصةً جزء خاص من هذا المعدن يزين قصورهم ومنازلهم لاسيما تلك الأنواع النادرة منه.

إن وجود تلك المعادن وبهذه الكميات كان له الأثر الأكبر في نشأة العديد من الصناعات مما ساعد على التقدم الاقتصادي خلال الحكم الفاطمي لإفريقية وجعلها مركزاً صناعياً هاماً.

---

(1) المقدسي: مصدر سابق، ص، 226.
- الاصطخري: مصدر سابق، ص 34.
(2) المقدسي: مصدر سابق، ص 339.
- الإدريسي: مصدر سابق، ص 291.
(3) ابن حوقل: مصدر سابق، ص 76.

ثانياً:- أهم الحرف والصناعات

انتشرت الحرف والصناعات في مختلف أنحاء إفريقية ومن أهم تلك الحرف ما يلي:

1- استخراج المرجان:

احتلت إفريقية خلال العصور الوسطي مركزاً مرموقاً في استخراج وتهذيب المرجان، واعتبرت واحدة من المناطق المركزية العالمية في استخراج وبيع المرجان، كما استفادت الإسكندرية من استيراد المرجان منها حيث كان يباع بثلاثة أضعاف ثمنه.

2- حرفتا الحدادة والنحاسة:

لوجود معدني الحديد والنحاس، أتقن السكان عمليات الحدادة والنحاسة، فتخصصت بعض الأسر في هاتين الحرفتين حتى صار لقب الحداد أو النحاس من الألقاب التي يشتهر بها عدد من الأشخاص مما يدل على اشتغالهم بهذه الحرفة [1].

وصنع الحرفي الأدوات النحاسية المختلفة مثل الأباريق وأدوات الطهي والصواني المستخدمة في صنع الحلوى وغير ذلك من الصناعات [2]. كما تم صنع السلاسل والألجمة النحاسية المستخدمة في ركوب الدواب، وقد اشتهرت مدينة داي بصناعة لجام الفضة وهو إذا طرق جاد ولم يتشرح كما يتشرح غيره من أنواع النحاس. وكان على الحرفي مراعاة الأمانة والجودة في كل ما يتصل بحرفته. وانتشرت حرفة الحدادة وازدهرت ازدهاراً كبيراً بفضل وفرة خام الحديد وتنوع ما كانوا يصنعونه تنوعاً يدل على المهارة والتطور في هذه الحرفة، فصنعوا المسامير والسلاسل والأبواب الضخمة التي تم وضعها على أبواب المدن [3] مثل أبواب مدينة المهدية [4] التي يصفهما ابن حوقل بقوله (وهي مدينة استحدثها المهدي، كثيرة التجارة، حسنة الصور والعمارة ،منيعة، ولها صور من الحجارة، ولها بابان وليس لهما فيما رأيته في الأرض شبيه ولا نظير). كما

---

(1) الخشني، أبوعبدالله محمد بن حارث بن أسد: مصدر سابق، ص ص 201، 233.

(2) جورج مارسيه: مصدر سابق، ص 92.

(3) الإدريسي: مصدر سابق، ص 241.

(4) ابن حوقل: مصدر سابق، ص 73.

صنعت السلاسل العملاقة التي تستخدم كحواجز توضع في مداخل المواني لحمايتها من هجوم الأساطيل المعادية. وكان للحديد شأن عظيم في الصناعات الحربية وأدوات القتال من رماح وسيوف وخوذ وحراب وسهام وغيرها، كان لكل صنعه منها سوق قائم بذاته، مثل سوق الرماحين بمدينة القيروان[1].

وحدد المحتسب الشروط الخاصة الواجبة الإتباع لطوائف الصناع المختلفة خاصة الحدادين، منها ضرورة تجويد صناعتهم وعدم غشها [2].

كما ازدهرت حرفة صناعة المصابيح والأباريق الجفان والجرار و الأقداح والمواقد والاطسات، وكانت المواقد تصنع في أشكال مختلفة منها ما هو على هيئة أشكال حيوانية نقش عليها في بعض الأحيان رسومات بديعة [3].

وأنجز أصحاب الصناعات المعدنية الكثير من العدد والآلات التي استخدمت في صناعات كبيرة أخرى مثل العدد التي كانت تستخدم في صنع السفن والصهاريج وغيرها، بالإضافة إلى صناعة الأدوات البسيطة كالأدوات الزراعية ولآلات القاطعة مثل المخارط والمكاشط وأدوات تقطيع الخشب والمطارق والأدوات المنزلية وغيرها من المصنوعات الأخرى.

3 -حرفة الصباغة:

مارس السكان حرفة الصباغة فصبغوا الثياب بمختلف الألوان، وكانت النباتات هي المستخدمة في عملية الصباغة مثل نبات النيلة، كما استخدم نبات الحنة في الصباغة، وكانت تزرع بكثرة في مدينة تقيوس وقفصة[4]، واستخدم الشب في الصباغة وكان يكثر إنتاجه في مدينة سرت وقد عرف بالشب السرتي وجد بكميات وافرة في هذه المدينة حيث كان يتم تصديره إلى خارجها [5].

---

[1] المقدسي: مصدر سابق، ص 225.

[2] المصدر السابق، ص 230.

[3] ول ديورانت: قصة الحضارة الإسلامية، ترجمة محمد بدران، القاهرة، 1964م، ج 2، ص 248.

[4] الإدريسي: مصدر سابق، ص 277.

[5] ابن حوقل: مصدر سابق، ص، 71.

لقد مثل نبات النيلة المادة الأساسية المستخدمة للـون الأزرق والقرمـزي، وهو نبات يتم جلبه من الجنوب، فكان يأتي من مدينة سباب الواقعة على الطريـق بين مدينتي نفوسة وزويلة [1] وقد خضع المشتغلون بحرفـة الـصباغة لمراقبـة المحتسب. كما مثل الزعفران احد النباتات المستخدمة في الصباغة وهـو خـاص باللون الأصفر والزعفران العربي المسمى بالورس نبات يشبه السمسم وموطنـة اليمن [2].

وقد تم كذلك استيراد مواد أخرى للصباغة لم تكن متوفرة في إفريقية مـن مناطق أخرى مثل أرمينيا حيث كان يستورد منها نوع يطلق عليـه القرمـسي[3]. وكانت لهم سوق خاصة في مدينة القيروان يسمى سوق الصباغين .

اشتغلت الكثير من الأسر بحرفة الصباغة، ومثلـت هـذه الحرفـة أحـد الصناعات الهامة واعتاد الصبغون في بعض المدن اتخـاذ مكانـاً خاصـاً بهـم يجتمعون به ويزاولون فيه حرفتهم، حيث يتم صنع الثيـاب والأقمـشة بألوانهـا المتعددة، وعادة ما يكون هذا المكان على أحد الأنهار الجاريـة أو التـي تتميـز بوجود ماء جار حتى يقوموا بتنظيف أدواتهم والـتخلص مـن بقايـا الأصـباغ والألوان، ويقوموا في الوقت نفسه بنشر الثياب الملونة لتجف، فينـشا عـن ذلـك منظر بديع يجذب القلوب والأنظار إليه فكأنه الحديقة، أو فيه من الورود الجميلـة ما يسر النظر، وكان هذا عادة حرفي توزر حيث عرف مكانهم باسم باب المنشر والذي اتخذه الأهالي منتزهاً لهم [4].

4 - حرفة الصناعات الجلدية:

عرف سكان إفريقية حرفة الصناعات الجلدية التي مارسوها بفضل تـوفر الجلود الحيوانية بكميات كبيرة داخل افريقية؛ من جلود الأبقار و الأغنام والمـاعز والإبل، إلى جانب جلود الحيوانات البرية. وكان من الاستخدامات الهامة للجلـود صناعة الرقاق الخاص بالكتابة مثل المصاحف، و كانـت تـدبغ بطـرق معينـة

---

(1) البكري: مصدر سابق، ص 10.

(2) ادم متز: مرجع سابق، ص 264.

(3) المقدسي: مصدر سابق، ص 225.

(4) التجاني: مصدر سابق، ص 158.

وصناعة خاصة تتميز بالجودة والدقة والليونة، وتشبه في شكلها وملمسها الحرير السنوسي [1]، وتوجد بجامع القيروان مجموعة من المصاحف مكتوبة على مثل هذه الرقاق.

واستطاع حرفيو صناعة الجلود صناعة الأحذية، وكان لهم سوق خاص بهم يعرف(بدرب الحذائين) بمدينة القيروان [2] . وشكلت حرفة صناعه الجلود بالقيروان أحسن و أتقن الحرف الصناعية، وصنع من الجلود أيضا السروج، وقد تفنن صناعها في اخفاء نقوش جعلت منها موضع إعجاب الكثيرين سواء داخل إفريقية أو خارجها، وحليت هذه السروج بأسلاك الذهب والفضة والخرز ونقشت عليها رسومات دقيقة. وتميزت مدينة قفصة بالصناعات الجلدية المتطورة حيث صنعت بها أنواع من الأحذية تميزت بالليونة الشديدة وكانت تصنع من جلد حيوان الأورى[3]. واستخدمت الجلود وفي صناعة أدوات القتال مثل الأغماد للسيوف. وبلغت الصناعات الجلدية شأناً كبيراً وبشكل خاص في مدينة قابس التي اشتهرت بدباغة الجلود، وكانت يستخدم نبات القرظ في عملية دبغ الجلود، وتعم منتجاتها أكثر بلاد إفريقية، ويتميز بالرائحة الطيبة والملمس الناعم والتي تشبه صنعته حال الأديم الجرشي[4]. وفي أقصى الجنوب من بلاد الجريد وجدت صناعات جلدية متقدمة. كما ارتقت دباغة الجلود بمدينة غدامس وكانت من الأنواع التي يفضلها التجار[5] ولا يفوقها نوع آخر في إفريقية بل شبهت لنعومتها بثياب الخز، وكان الصناع بها يقومون باستيراد أنواع من شجر التاكوت بوادي درعة يشبه الطرفاء حيث كانوا يدبغون به الجلود [6].

أما المدن التي لم ترتق بها صناعة الجلود فكانت تقوم بتصديرها إلى داخل إفريقية أو خارجها مثل برقة التي كانت تصدر الجلود لمصر[7].

---

[1] عثمان الكعاك: الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط، معهد الدراسات العربية، القاهرة، د. ط، 1965، ص ص77، 78.

[2] المقدسي: مصدر سابق، ص 226.

[3] القلقشندي: مصدر سابق ج/5، ص 107.

[4] ابن حوقل: مصدر سابق، ص 72.

[5] ابوالفداء: مصدر سابق، ص 47.

[6] القزويني: مصدر سابق، ص 147.

[7] ابن حوقل: مصدر سابق، ص 5.

لاقت حرفه صناعة السروج في إفريقية على عهد الفاطميين نجاحاً عظيماً بفضل اهتمام أصحاب الحكم من الولاة والخلفاء به. وقد دخلت في صناعتها المعادن النفيسة كالذهب والفضة والأحجار الكريمة، وفي إحدى زيارات المنصور الزيري لمدينة رقادة أمر صناعها بعمل سرج خاص له مكلل بالدرر والياقوت[1]. كما كانت تدخل في صناعتها أسلاك الذهب[2]. والجدير بالذكر أن السروج كانت من البنود الأساسية التي يتبادلها الحكام في هداياهم لبعضهم البعض، فقد أعطى المعز بن باديس إلى ابن عمه ثلاثين فرساً بسروج من الذهب، كما أهدي ابن علي والي بغاية إلى المعز بن باديس سنة (348هـ/960 م) ثلاثمائة وخمسين برذونا بالسروج المحلاة بالذهب[3]. كما حرص الحكام على الخروج بالسروج في الأعياد والمناسبات باعتبارها من أهم مظاهر الزينة[4] . وكانت السروج تصنع كذلك من الجلود الحيوانية وتزينها خطوط الذهب الخز، وتزين بالرسومات، وتعددت الألوان التي تصنع منها السروج مثل الأخضر والأزرق ومنها ما يعمل من الدبل ومنها ما يعمل سيوراً من الجلد البلغاري الأسود، وكانت السروج بالإضافة للخيول توضع أيضاً على البراذين. ومن الصناعات المكملة لصناعة السروج صناعة اللجم الخاصة بالخيول، وكانت تصنع من الفضة الجراة بالمينا وبالفضة المطلية بالذهب ،وكان لها سوق خاص بها، ولهذه الصناعة حرفيون مكملون لها مثل الطلانين وصناع الكفت الخاصة برسم اللجم. وكان للسروج سوق خاص بها على صنفين هما سوق السراجين أوالسروجية وسوق البرادعية، وهي من الصناعات التي لا يقوم شخص واحد بصنعها وإنما يقوم بها مجموعة أشخاص مثل الخشاب الذي يقوم بصناعة الهيكل الخشبي للسرج، والطراز والزركش وهو الذي يقوم بتطريز وزركشة السرج، وهناك الشكاز أو سوق الشكازين بتونس وهو الذي يلبس الجلد للهيكل الخشبي [5].

---

(1) ابن عذاري: مصدر سابق ج/1، ص 240.

(2) ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص 82.

(3) المصدر السابق، ص ص 81، 82.

(4) المصدر السابق، ص 76.

(5) القلقشندي: مصدر سابق ج/5، ص 473.

5 – حرف الصناعات الخشبية:

تمثل الأخشاب المادة الأساسية في هذه الحرفة، وهي حرفة ضرورية لحياة الإنسان بدوياً كان أم حضرياً، وهي من أمهات الصنائع، ويطلق لفظ النجار على كل من يقوم بهذه الحرفة، وهو شخص يتميز بالذكاء والكفاءة والمقدرة على حسن استخدام الأخشاب لإخراجها في أبهى صورة ممكنة، وإتقانها وبأشكال هندسية مختلفة مؤنقة. ويشتد الطلب عليها كلما تقدمت الحضارة، وجاء الترف، وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنف[1]. وكغيرها من الصناعات كان لابد لها من مقومات تساعد على نموها وازدهارها. ولقد حظي إقليم افريقية بثروة طبيعية هائلة تمثلت في الغابات المنتشرة في أرجاء إفريقية، ففي الطريق الواصل بين القيروان وبونة وجدت (غابة) كثيرة وعظيمة من أشجار الرند والذي كان يجلب منها إلى باقي إفريقية [2]، ووجد شجر الرند بكثرة على ضفاف نهر مغلية[3].

كما اشتهرت مدينة تاهرت بغناها من الثروة الطبيعية من الأخشاب[4] . ومن الأسباب التي شجعت على ازدهار هذه الصناعة التقدم الحضاري الذي وصل إليه إقليم إفريقية أثناء الحكم الفاطمي ثم بني زيرى خاصة في عهد المعز بن باديس الصنهاجي الذي مدن عصره أعلى درجات السلم الحضاري في أبهى صورة، وكان ملكه أعظم ملك عرف للبربر وأشرفه[5] , وقد وصل التقدم الحضاري في عهده إلى درجة عالية من الرقي والتقدم في مختلف المظاهر الحضارية. إن حرفة صناعة الخشب من الحرف ذات التخصصات المتعددة فإلى جانب النجارة كانت هناك تخصصات لا تقل أهمية عنها؛ منها الخراطة والدهان وغيرها. ولم تقتصر هذه الصناعة على ما كان بإفريقية من أخشاب، بل قاموا بجلب ما نقص من الأنواع الجيدة مثل خشب الساج أو العود الهندي [6].

---

(1) ابن خلدون: المقدمة، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط 1، 1996 م، ص ص 261، 262.

(2) البكري: مصدر سابق، ص 54.

(3) ابو الفداء: مصدر سابق، ص 141.

(4) المقدسي: مصدر سابق، ص 228.

(5) ابن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، ص 80.

(6) ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص ص 80، 81.

كما قاموا باستيراد الأخشاب بكثرة من جزيرة صقلية ولم يتم استخدام الأخشاب بأنواعها المختلفة كما هي عند الصناعة، بل قام النجارون بإضفاء نوع من اللمسات الجمالية ومنها الزينة اللازمة والرونق الحسن، ولجأ الحرفيون إلى أساليب متعددة منها التخطيط كما في الأبواب والمنافذ وأسلوب الخرط إلى غير ذلك من الطرق الهندسية بنسب مقدرة ومحدودة [1]. ومثلت الأخشاب ماده صناعية هامه سهلة الاستخدام والاستعمال والتكوين، فكانت مادة طيعة في يد الحرفي ليصوغ منها أشكالاً كثيرة منها الأبواب والنوافذ والستر الخشبية والشرفات والسقوف والمناضد، وجميع الأدوات المستخدمة داخل المنازل والقصور إلى جانب المنابر والمحاريب [2]، وتوابيت الموتى. وكانت تستخدم أجود أنواع الأخشاب في صناعتها، وكانت أخشاب مستوردة مثل خشب الساج الهندي الذي استخدم في صناعة توابيت الحكام وذويهم [3] ، واستخدم في تزيين هذه التوابيت المعادن النفيسة كالذهب [4]، كما استخدم خشب الأبنوس وهو من الأخشاب الممتازة في الصناعات التي يقبل عليها الحكام وأسرهم [5] . ومثل الخشب احدي المواد التي تظهر فيها مهارة الفنان من أشكال وصور فنية.

6 – صناعة الأبسطه والسجاجيد:

نشأت هذه الحرفة في مدن وقرى إفريقية، وكانت من المناطق التي اشتهرت بهذه الصناعة منذ القدم، وقد صنعت بها مائة وعشرون من البسط أثناء الحكم العباسي [6]. وتقدمت صناعة السجاد بإفريقية تقدماً ملحوظاً خلال العصر الفاطمي، واستخدم في تزيينها الحرير وأسلاك الذهب والفضة (الزركشة) وزينت بالجواهر، فكان ولا يزال من آيات الروعة. وبلغ حب الفاطميين وإعجاب حكامهم أن أخذو معهم السجاجيد كتذكار عند انتقالهم إلى مصر، كما استخدم نبات الحلفاء

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 80.

(2) ول ديورانت: مصدر سابق ج/2، ص 248.

(3) ابن عذاري: مصدر سابق ج/1، ص 270.

(4) ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص 18.

(5) المقريزي: الخطط، مصدر سابق ج/3، ص 170.

(6) ابن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، ص 127.

في صناعه الحصر، وكانت إحدى الحرف التي يتكسب منها النـــاس رزقهــم[1] ، ويقبل على شرائها الطبقة البسيطة من الشعب. واستعملت البسط والسجاجيد الغالية الثمن والراقية الصنع في كساء أرضيات المساجد وقصور الحكـــام مثــل قــصر الخليفة المعز لدين الله الذي كانت تكسو أرضـــيته مفروشـــات اللبـــود، وقــصر المنصور الصنهاجي (373-386هـ /985-998 م) الذي كانت تمـــلأ أرضـــيات حجراته البسط .

7- حرفة صناعة الطوب اللبن:

استخدمت هذه الحرفة في أعمال البناء [2].

8 - حرفة طحن الحبوب:

ويطلق اسم (الدقاقين) من يزاولون هذه الحرفة، حيث يقومون بتنقية الغلال من الشوائب العالقة بها من الحجارة الصغيرة والتراب واستبعادها ثـــم غربلتهـــا، وهي من الحرف التي تخضع بشدة لمراقبة المحتسب لمنعهم من غش الدقيق كمـــا كان عليهم إرسال كمية محددة إلى المخابز[3].

9 - حرفة صناعة الصدفيات:

وهي تحويل شكل الصدفيات التقليدي إلى قطع ترابيع ومكعبـــات ونجـــوم يرصع به خشب الأثاث وآلات الموسيقى ومناضد اللعب. ويستخدم فـــي ترصـــيع المربعات والمرايا والتباقيب والمنافذ والخزائن وسفر الطعـــام والكراســـي التـــي يوضع فوقها الإبريق والأبان (الطست والمقاعد) وكانت المرايا الصدفية البيـــضاء من أهم الأشياء التي تحرص عليها العرائس في جهازها[4]. ولا زالـــت إفريقيـــة محط عناية هذه الصناعة.

---

[1] ابن عذارى: مصدر سابق ج/1، ص 183.

[2] حسن إبراهيم حسن، وطه شرف: عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية ، ص 208.

[3] ابن عذارى: مصدر سابق ج/1، ص 270، 272.

[4] عثمان الكعاك: مرجع سابق، ص 82، 83.

10 - صناعة النسيج والطراز:

بدأت هذه الصناعة في أواخر الدولة الأموية و بلغت أوجها أثناء حكم الفاطميين[1] الذين أولوها أعظم اهتمام حتى يكون لهم طراز وشعار متميز عن العباسيين، وبذا عملوا على إنتاج الأقمشة المخالفة لطراز العباسيين، وأخذوا كل ما يخالف العباسيين من ألوان فصار شعارهم البياض وهو شعار العلويين وكانت ألويتهم بيضاء عليها أحياناً أهلة من ذهب في كل منها صور سبع من الديباج الأحمر [2]. انظر ملحق رقم (10)

ومثلت دور الطراز أهم أماكن إنتاج النسيج. وكانت صناعة النسيج تنقسم إلى قسمين: الأول طراز الخاصة التي كانت تكلف لصنع المنسوجات الخاصة للخليفة وأنواع الأقمشة التي يقوم بخلعها وإهدائها إلى كبار رجال الدولة وأفرادها وحاشيته، أما القسم الثاني فهو طراز العامة التي كانت خاصة بإنتاج منسوجات الشعب. وصارت المصانع الأهلية جانباً إلى جانب مع نظم الطراز الحكومية وإن كانت هذه المصانع مثقلة بالضرائب الشديدة التي تفرضها عليها الحكومة، ولم يكتف الأمراء بدور الطراز التي تقيمها الدولة، بل كانت لهم معاملهم الخاصة في داخل قصورهم والتي تقوم بصنع وتطريز ثيابهم الخاصة بهم بزينات مختلفة مثل الصور والزهور والكتابات الكوفية. ولقد بلغت هذه الصناعات بافريقية درجة عالية جعلتها تفوق ما كان يصنع في دور الطراز بصقلية. والطراز من شارات الخلافة وعلامة من علامات أبهة الملك والسلطان وقد اختلفت فيه الدول فلكل منها مذهبها الخاص في رسم الأسماء أو العلامات الخاصة بهم في ثيابهم المعدة لهم من الحرير أو الديباج بالرسم كتابة تخط في نسج الثوب الحاماً وسدي بخيط الذهب أو ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة[3] من غير المذهب على ما يحكمه الصناع في تقدير ذلك، فتصير الثياب المملوكية معلمة بذلك الطراز ويقصد التنويه بملابس السلطان ومن دونه أو بمن يختصه السلطان [4]، وكان السائر في

---

[1] جورج مارسيه: مرجع سابق، ج 2، ص 208.

[2] آدم متز: الحضارة الإسلامية، مرجع سابق ص 238.

[3] ابن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، ص 283.

[4] المصدر نفسه.

أنحاء المملكة الإسلامية يستطيع بكل سهولة ويسر معرفة البلد الذي يسير فيه من خلال مشاهدته للصناعات النسيجية بها وما على حيطان الغرف من أنواع الستور[1]. ونظراً لما لهذه الصناعة من أهمية، كان لابد لها من وجود شخص قائم بذاته يختص بها ويقوم بالإشراف على دور الطراز وهذا الشخص إما من الخواص أومن الموالي الثقات، إذ كان عليه الإشراف والمتابعة لكل ما يخص هذه الصناعة الهامة مثل النظر في أمور صناعة آلات الحياكة، وإجراء الأرزاق عليهم، وتسهيل عملهم وآلاتهم والاشراف على أعمالهم[2] ويعتبر هذا الشخص من الموظفين الهامين داخل الدولة ومن الذين تتجه إليهم الأنظار وتتملقهم العيون، وكان عليه إعطاء الأمر لتلك الدور بصناعة آلاف القطع خاصة عند إقامة الحفلات كالزواج، ويرجع الفضل في تعريب الطراز إلى الخليفة الأموي عبدالملك ابن مروان (65-86 هـ /677-698 م) [3] . لقد لاقت الصناعات النسيجية أهمية كبري لدى الفاطميين، وهي احدي علامات الرخاء والتشريف والإقرار في المناصب الحكومية وذلك عندما يقوم الخليفة بإهداء قطع منها إلى أحد رجال الدولة [4]، لذلك حرص الفاطميون أشد الحرص على إعطاء هذه الصناعة العناية الخاصة إذ مثلت منسوجاتهم احدي وسائل الدعاية الخاصة بهم، ومن ثم أصبحت العناية بها من الأمور التي يتوارثها الخلفاء الفاطميون، وكانت لها دار خاصة تسمى (دار الكسوة) ويتم توزيع تلك الكسوات في مناسبات مختلفة على الناس[5].

لقد تبوأت إفريقية مكانه مرموقة وبرزت منها عدة مراكز في صناعة النسيج والثياب أثناء الحكم الفاطمي، ومن بين تلك المدن مدينة سوسة التي تنوعت بها المنتجات ما بين ملابس وعمائم، وهي إحدى الصناعات الشعبية التي يمتهنها الكثير من الناس، لذلك كانت سوسة تتميز بكثرة الأقمشة وجودة الثياب بها، وكانت جميع الثياب الرفيعة من طرازها، وكانت ثيابها معروفة ومرموقة للجميع

---

(1) جورجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج/1، دار الهلال، القاهرة، ط1، 1958، ص 146.

(2) آدم متز: مرجع سابق، ص 350.

(3) جورجي زيدان: مرجع سابق ج/1، ص ص 46، 48.

(4) ابن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، ص 184.

(5) محمد محمد إدريس: دراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية، دار الثقافة، القاهرة، ط1، 1984م، ص ص 31، 33.

ولا يوجد لها شبيهه، وقد حرص التجار على جلب صناعتها وشرائها مثل ثياب وعمائم المنصور التي كانت تباع الواحدة منها بمائة دينار، وكان التجار يحملونها إلى جميع البلاد شرقاً وغرباً ويباع بها الغزل المثقال بدرهمين[1]. لقد مثلت دور الطراز بسوسة أحدى أهم الدور في إفريقية، وكانت على درجة عالية من الرقي والتقدم وكان عمالها على درجة عالية من حسن الصنعة [2]، ولم تقتصر دور الطراز على المدن الكبرى في إفريقية واحتلت لوحدها مركز الصدارة، بل نافستها بعض المدن الصغيرة في هذه الصناعة وحازت صناعتها النسيجية على الاحترام من قبل المشتريين لها، بل صار ما تقوم به يحمل اسمها ويجد طريقه للتصدير للخارج مثل الكساء الطراقي الذي تنتجه دور الطراز بمدينة طراق الواقعة في نطاق مدينة قفصة [3]. وارتقت صناعة النسيج في مدينة صفاقس وتبوأت مكانة عالية على المستوي الدولي ونافست صناعاتها غيرها من المدن الشهيرة والعريقة عالمياً مثل مدينة الإسكندرية بل وتفوقت عليها، وكانت مدينة تونس هي الأخرى من المدن ذائعة الصيت في صناعة النسيج، وقد اشتهرت بنوع خاص لها يتم صناعته من الكتان أو من الصوف والكتان معاً ويطلق عليه أسم (القماش الإفريقي) وضاهى في الحسن ما صنع في بغداد، وأقبل الناس على شرائه وكان من جل كساوي أهل المغرب [4].

وكانت الأقمشة المصنوعة في مدينة صفاقس من الصوف تسمى الملف وله سوق يسمى سوق (الملافين) ويسمى صانعه (بالملاف)[5].

وفى مدينة طرابلس كان يصنع على عهد الفاطميين نسج ذي ألوان مختلفة فكان بها الكثير من الصوف المرتفع وطبقات من الأكسية الفاخرة والدوق[6]. واشتهرت مدينة سوسة بصناعة العمائم، وعرفت مدينة قفصة هي الأخرى بصناعة الأردية والعمائم الصوفية حيث تميزت بالدقة المتناهية، أما مدينة قابس

---

(1) البكري: مصدر سابق، ص 36.

(2) جورج مارسيه: مرجع سابق، ص، 207.

(3) المرجع السابق، ص 47.

(4) القلقشندي: مصدر سابق ج/5، ص 102.

(5) عثمان الكعاك: مرجع سابق، ص 73.

(6) ابن حوقل: مصدر سابق، ص 71.

فقد برزت بصناعاتها الحريرية والصوفية فكانت الأقمشة الحريرية بها مضرب الأمثال في الجودة والمتانة والجمال والحسن، واحتكرت هذه الصناعة على مستوي إقليم افريقية وكان حريرها أحسن الأنواع وأرقه [1]، كما امتازت بصناعاتها الصوفية وكان بها جهاز كثير من الصوف[2]، وكان الحرير مفضلاً على غيره في عمل الجبب المبطنة ذات الصنعة الراقية وبلغ صانعو الحرير درجة عالية من حيث الصنعة والإتقان. ومما يجدر ذكره أن صناعة النسيج لم تقتصر على المدن الساحلية بل وجدت طريقها إلى الجنوب أيضاً حيث بلاد الجريد، فانتشرت بمدنه دور الطراز ونشطت هناك صناعة الثياب والأقمشة المميزة. ومن المدن التي اشتهرت في تلك المنطقة مدينة صغيرة تدعي (طرة) حيث كانت صناعاتها على درجة من الإتقان والتميز [3]. برزت في أخر حدود الجريد مدينة درجين التي اتخذت من دور الطراز بمدينة سلجماسة مثلاً يحتذي به فكانت تقوم بإنتاج الأنسجة من الأكسية المتنوعة المشابهة لما تقوم بإنتاجه دور الطراز في مدينة سجلماسة [4]. كما حذت مدن أخري مثل مدينة القلعة على الإعجاب في صناعة الأقمشة [5]، فكان يصنع بها أنواع من الأكسية لا مثيل لها في الجودة والدقة، وكان ثمن الكساء المصنوع بمدينة القلعة يباع بما يزيد على ثلاثين دينار ونافس مدينة بجاية أيضا بصناعتها النسجية المتميزة على غيرها من مدن افريقية خاصة فيما يتعلق بالعمائم المحلاة بالذهب والتي تشبه في حسن صنعها التيجان ويقبل على شرائها الملوك والسلاطين، وكان ثمن الواحدة منه يتراوح مابين خمسمائة إلى ستمائة دينار [6].

وهكذا لاقت دور الطراز عناية كبيرة من جانب الخلفاء الفاطميين فكانوا يقومون بتطريز أقمشتهم والبنود الخاصة بهم بآيات القرآن الكريم والعبارات

---

[1] الادريسي: مصدر سابق، ص 278.

[2] ابن حوقل: مصدر سابق، ص 72.

[3] القلقشندي: مصدر سابق ج/5، ص 108.

[4] زكي محمد حسن: مرجع سابق، ص ص 117، 119.

[5] ابن عذاري: مصدر سابق ج/1، ص 151.

[6] المصدر نفسه.

الدينية التي تظهر الشعائر الخاصة بالمذهب الشيعي[1]. وكانت الزخـــارف التـــي سادت الأقمشة الفاطمية تتألف من أشرطة من الكتابة توازيها أشرطة أخرى فـــي أشكال سداسية أو معينية أو بيضاوية وفي وسط كل شكل رسم طائر أو حيوان أو أكثر في أوضاع متقابلة أو متوازية، ثم زينت قوائم الحروف بفروع نباتية دقيقـــة، وكانت الكتابة أحيانا مجرد مقاطع مكررة للغرض الزخرفـــي [2]. وشـــاع كـــذلك استخدام معدني الذهب والفضة في التطريز مثل البنـــود فقـــد أرســـل (الخليفـــة) الظاهر(411–427 هـ /1023–1039م) سنه (414 هـ/1026م) إلى المعـــز بـــن باديس (400–453هـ/1018–1065م) خليفتهم ووالى افريقية هدية اشتملت علـــى منجوقين منسوجين بالذهب على خضب فضة ما دخل افريقية مثلها قط وعـــشرين بنداً مذهباً[3].

ومثل تغير الطراز أحدى علامات الخروج على الدولة والسلطة والمعـــاداة لها مثلما فعل المعز بن باديس سنة (440هـ/1048 م) [4] حيث قام بتغيير الطـــراز الفاطمي بالطراز العباسي[5].

انتشرت صناعة النسيج ودور الطراز في جميع نواحي إفريقية وكانت لكل مدينة منها طرازها الخاص بها يحمل اسمها وتعرف به من بين المدن مثل مدينـــة سوسة التي اشتهرت بصناعة نوع من الثياب يستخرج من نباتات بحريـــه تـــشبه البصل وتنمو في مياهها ويتم استخراجه وتعريضه لأشعة الـــشمس حتـــى يجـــف وتتفتح بعد ذلك مثل القطن، ويستخرجون ما بها من بذور ويغزل بعد جمعـــه ثـــم يمشط ويعمل منه الحرير، وتنسج منه الثياب، ويطلقون عليه صوف السمك[6]، لقد

---

(1) حسن الباشا: فنون التصوير الإسلامي في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م، ص 64.

(2) ابن عذارى: مصدر سابق ج/1 ص 271.

(3) المصدر نفسه.

(4) يذكر ابن عذارى أن المعز قام بقطع الخطبة للخليفة المستنصر، وحرق بنوده الخضراء، ودعا على منابر الخطبة في إفريقية للعباس بن عبدالمطلب، كما قام باضطهاد الشيعة والإسماعيلية والدعوة للمذهب المالكي. أنظر: ابن عذارى: مصدر سابق ج/1، ص 388.

(5) المصدر السابق، ص 280.

(6) القلقشندي: مصدر سابق ج/5، ص 104.

أبدعت دور الطراز في أنواع الصناعات المنسوجة من الحرير والصوف والكتان وغيرها، ومما لا شك فيه فقد كان للنساء دور بارز في صناعة الغزل والنسيج.

11- صناعة الأشربة والمربات..

صناعة الأشربة من الصناعات التي امتهنها سكان إفريقية والتي انتشرت داخل إفريقية. وقامت هذه الصناعات على المواد الأولية الزراعية المتوفرة مثل الفاكهة المتنوعة من الكروم والتين والتفاح الخ، ومن مناطق صناعته مدينة مرسى الخرز حيث يتم بها صناعة العديد من المشروبات التي لاقت رواجاً كبيراً داخل تلك المدينة لمركزها العالمي التجاري، وكثر بها التجار من مختلف الأقطار، وفي مدينة مرسى الخرز الكثير من الأشربة، وينبذون نبيذ العسل فيشربونه من يومه ويعمل من الصراع مالا يعمله نبيذ الذرة وغيرة من الأشربة[1] كما كان العسل يكثر في مدينة برشك.

12 - صناعة الزيوت والسمن..

انتشرت هذه الصناعة في قرى ومدن افريقية لتوفر الثروة الحيوانية المتنوعة والضخمة كالأبقار والأغنام والماعز والإبل إلى جانب النباتات الزيتية الذي احتل الزيتون المكان الأول فيها، فكانت تتم زراعته في مساحات شاسعة وبمناطق عدة وكان بكل قرية معصرة للزيتون[2].

ومن أشهر المدن في هذه الصناعة مدينة صفاقس التي تعتمد عليها إفريقية في سد حاجتها من هذه الصناعة إلى جانب تصدير كميات كبيرة منها إلى مصر والمغرب وصقلية والشام[3]، وبلغ من كثرته أن الدينار كان يشتري مابين ستين إلى مائة قفيز من الزيت حسب كمية المحصول المنتج[4]، كما كانت مدينة طرناسة عاصمة إقليم قيشا كثيرة الزيتون[5]، وكان هناك نوع من الزيت يستخرج من زهر البنفسج ويطلق عليه زيت زهر البنفسج اشتهرت به مدينة قفصة، وكانوا

---

(1) ابن حوقل: مصدر سابق، ص 77.

(2) جورج مارسيه: مرجع سابق، ص، 89.

(3) البكري: مصدر سابق، ص 20.

(4) ابن حوقل: مصدر سابق، ص 73.

(5) المقدسي: مصدر سابق، ص 227.

يقومون بتصديره إلى غيرها من المدن[1]. ووجدت صناعة السمن من ألبان الحيوانات خاصة في المدن التي تشهر بثروتها الحيوانية الكبيرة مثل مدينة بونة والتي كان البقر أكثر حيواناتها[2].

كما اشتهرت مدينة قابس بصناعاتها الزيتية حيث كان يجهز منها لغيرها من المدن. كما تعتبر مدينة تاهرت إحدى المراكز الهامة في صناعة السمن لكثرة ماشيتهم، وكان السمن يكثر عندهم. واستخدمت الحيتان في استخراج الزيوت والشحوم في المدن الساحلية التي تشتهر بكثرة الصيد مثل تونس وبنزرت وبونة، وكان الناس ولازالوا يستخدمونه في كثير من الأطعمة[3]. قامت تونس بتصدير كميات من الشحوم إلى غيرها من المدن مثل القيروان، وكان يطلق على أحد أبراجها اسم الدهان[4]، ولم تقتصر المحلات على بيع السمن والزيت بل باعت سلع أخرى ويخضع أصحاب هذه الحرف لمراقبة المحتسب.

13 - صناعة الحلوى:

والحلوى متعددة الأنواع والأشكال ولا يمكن ضبطها ولاضبط أعيار أخلاطها المتعددة مثل اللوز والسمسم وغيره. ولقد انتشرت هذه الصناعة في إفريقية لتوفر عناصر تحضيرها، ومن وصناعتها مثل العسل المستخرج من النحل والعسل الأسود المستخرج من القصب والتي تنتشر زراعته بقسطلية[5] وسلجماسة[6]. وكان العسل متوفراً بكثرة في مدينة بونة، وتميزت مدينة جلولاء في صناعة الحلوى وكانت طيبة المذاق لكثرة عسلها. كما تمت صناعة الحلوى في مدينة قفصة من عصارة البلح[7].

---

[1] القلقشندي مصدر سابق ج/5، ص 107.

[2] ابن حوقل: مصدر سابق، ص 77.

[3] المصدر السابق، ص 78.

[4] المصدر السابق، ص 75.

[5] جورج مارسيه: مرجع سابق، ص، 206.

[6] ابن حوقل: مصدر سابق، ص 92.

[7] المصدر السابق، ص ص77، 90.

- البكري: مصدر سابق، ص 32.

14 - صناعة العطور:

توفرت عناصر قيام هذه الصناعة في إفريقية فلاقت نجاحاً كبيراً بفضل ما توفر فيها من النباتات والزراعات العطرية بكثرة داخل إفريقية، وتعددت أصنافها لتهافت الأغنياء والحكام على شراء هذا المنتج مما أدي إلى رواجهـــا، وصـــنعت أنواع كثيرة من العطور مثل المسك والكافور.

وقامت مصانع للعطور في مدن إفريقية المختلفة مثل مصانع العطور فـــي مدينة قفصة، وكان أفضل أنواع العطور بها عطر الورد الذي كان ماؤه أذكي ماء يكون للورد. وكانت المدن التي لا تكتفي من النباتات العطرية تـــستورد كميـــات كبيرة منه مما جاورها من مدن اشتهرت زراعتها فكانت تونس تستورد الريـــاحين من مدن آية والاربس ورقادة[1].

15 - صناعة الزجاج والخزف والفسيفساء: [2]

نشأت صناعة الزجاج والخزف وتطورت داخل إقلـــيم إفريقيـــة و يرجـــع الفضل في قيامها إلى المشرق الإسلامي، كما ساعد توفر المادة الخام على نموهـــا وازدهارها في مدينة القيروان[3] فكان بها حي أو سوق خـــاص لأصـــحاب تلـــك الصناعة[4] حيث صنع به التحف ذات الألوان المختلفة. ولم تقتصر هذه الصناعة على مدينة القيروان فقط بل وجدت طريقها إلى بلاد الجريد خاصة مدينة (طـــرا) حيث نشأت بها الصناعات الزجاجية المتقدمـــة ومـــن بينهـــا صـــناعة الزجـــاج الصافي[5]، كما مثلت مدينة تونس المراكز التجارية الهامة في صـــناعة الخـــزف والزجاج معاً، ومن أكثر صناعتها أنية الماء الخزفية التي عرفت باســـم الريحيـــة وهي شديدة البياض، غاية في الدقة يكاد الناظر إليها أن يري ما بداخلها و لم يكن لها نظير في جميع الأقطار. وصنعت في مدينة تونس أدوات فخارية اســـتخدمت

---

[1] البكري: المصدر السابق، ص 52، 53.

[2] الفسيفساء هي قطع صغيرة مكعبة الشكل تتخذ من المرمر والرخام والحجارة أحياناً من الزجاج الملون، وترسم على مادة رخوة، كالجبس المبلل مثلاً ، فتركب منها يد الصانع الماهر صوراً محكمة للأدميين والحيوان الضاري مله والداجن والنباتات والأزهار، وبعد جفافها تحول إلى ألواح وتغطي بها أرضيات البيوت والقصور . انظر: حسن حسني عبدالوهاب: مرجع سابق، ص 376.

[3] ول ديورانت: مصدر سابق ج 2، ص 250.

[4] جورج مرجع سابق، ص، 92.

[5] القلقشندي: مصدر سابق ج/5، ص 108.

في حفظ التمور وغيره، وقام الصناع بتهذيب وتقطيع القطع الكبيرة الخشنة من الزجاج والقطع الغير المكتملة والمستوية بأدوات صنعت لهذا الغرض وهي ساخنة ونظموها في أشكال متعددة ومتنوعة داخل نماذج معدة لذلك ثم تسويتها داخل إطارات صنعت من الرصاص ومقواة بالحديد. وكان لظهور العطارين وانفصال الصيادلة الفضل في كثرة صناعة القوارير، وظهور الشمسيات أو القمريات، وهي كوي في الجدران وطنبور القباب مسدود بالجص المفرغ المشغول المرصع بفصوص الزجاج المختلفة الألوان والأشكال والأحجام التي تتصور منها صور هندسية ونباتية وحيوانية لا تدخل تحت الحصر. وامتاز الزجاج في إفريقية بالزخرفة المنقوشة والمحتشات وهي سلوك من زجاج تلف على الآنية، وتستخدم فيها زخارف هندسية متنوعة، واستعملت أيضاً الفسيفساء أو فصوص الزجاج في الشمسيات والثريات، وتبليط أرضية البيوت والشوارع بطبقة زجاجية مزخرفة مثل (أرضية المنصورية). ويعتبر الخزف أهم الفنون التطبيقية الإسلامية ذات القيمة الكبيرة لأنه يمتاز بالرخص والكثرة، وسهولة الاستخدام، وسرعة التلف وعدم صياغته مره أخري، ولا يمكن الاستغناء عنه بمجرد تلفه، وغير ذلك من الاستخدامات الأخرى[1].

ووصلت هذه الصناعة درجة عالية من الجودة يرجع الفضل فيها إلى المسلمين حيث أدخلوا أنواعاً جديدة من الخزف المطلي والخزف ذي البريق المعدني الذي لم يكن يصنع بافريقية قبل دخول المسلمين لها[2]. وبلغ الخزف ذو البريق المعدني في عصر الفاطميين مستوي عالياً من الجودة في الصناعة والأسلوب الفني[3].

ويعود الفضل في تطوير هذه الصناعة عند المسلمين إلى التعاليم الإسلامية التي حرمت استخدام أواني الطعام والشراب التي تصنع من المعادن النفيسة مثل الذهب والفضة مما جعل المسلمين يلجأون إلى عناصر أخري غير محرمة

---

(1) جورج مارسيه: مرجع سابق، ص ص 92، 93.

(2) المرجع السابق، ص ص، 93، 94.

(3) حسن الباشا: مرجع سابق، ص 58.

ومتواجدة في نفس الوقت بكثرة فكان لجوؤهم إلى الخزف ذي البريـق المعـدني مكانها، وأبدع المسلمون في ذلك إبداعاً عظيماً تدل علـى ذلـك البقايـا الأثريـة الموجودة منها. وكانت النقوش المستخدمة يتم رسمها بأكسيد معدني على طبقة من الطين المزجج ثم يعرض الإناء بعد ذلك إلى نار ثابتة مدخنة مكتومة تقوم بتحويل الطبقة إلى طبقة معدنية رقيقة، وتكسب الطلاء بريقاً متعدد الألوان، وبهذه الطريقة أخرج الصناع أواني ذات ألوان متعددة؛ منها الخضراء والذهبية والبنية والداكنـة والصفراء والحمراء وتتدرج بها الألوان تدرجاً متناسقاً[1].

واستخدم في نقش الفخار الحفر فكان يتم نقشه وزخرفته زخارف مجـسمة تسمى (الباربوتيس) والطبع بالختم أو بالقوالب وهي إحدى الصناعات التي تتعـدد بها التخصصات والحرفيون ولكل منهم عمل يكمل عمل الآخر بصورة منسقة[2]

انقسمت الصناعات الخزفية في العصر الفاطمي إلى قسمين: النـوع الأول كان يمثل حياة البلاط والحاشية والأثرياء وما تمثله حياتهم من رقـص وعـزف وشرب وغيرها من مظاهر الترف، أما النوع الثاني فيمثل الطبقة العامة للـشعب بكل ما تضمنته حياتهم، وكانت الصور والزخـارف علـى الخـزف ذو البريـق المعدني تمثل زخارف هندسية ونباتية وكتابات عربية إلى جانب صور للكائنـات الحية[3].

ومن أهم المناطق التي اشتهرت بصناعة الخزف ذي البريق المعدني فـي إفريقية جزيرة جربة ومدينة القيروان التي تميزت صناعاتها الزجاجية والخزفيـة بالدقة والجودة، واستخدم بلاط مصنوع من الخزف ذي البريق المعدني في تزيين محراب مسجد القيروان، وكان الغرض من اللجـوء إلـى اسـتخدام الـصناعات الزجاجية الملونة هو الرغبة في إحداث نوع من التطور وإشاعة جو من الجمـال. ولم يقتصر الأمر في صناعة الفخار على نوع واحد بل تعـددت الأنـواع مثـل القاشاني والفسيفساء الخزفية وهي تختلف عن بعضها البعض من حيـث الطينـة

---

[1] ول ديورانت: مصدر سابق ج 2، ص ص 249، 250.

[2] حسن الباشا: مرجع سابق، ص ص، 59، 60.

[3] دائرة المعارف الإسلامية، مصدر سابق ج/15، ص 4650

المستعملة ومن حيث التشكيل. وتعتمد الفسيفساء الخزفية على تركيب عدد من القطع المختلفة الأشكال والصغيرة الحجم مقطعة على أنواع كبيرة من الخزف المدهون ثم يتم تجميعها معاً مع مراعاة تناسق الألوان طبقاً لنظام محدد حتى يتم الوصول إلى صور معينة أو تكوين زخرفة خاصة ثم يثبت بعد ذلك عن طريق بلاط يصب عليها من الخلف[1].

16 - صناعة واستخراج الملح:

وهي من الصناعات الشهيرة ويتم استخراجه من الملاحات الكثيرة في مدينة تونس التي صدرت إنتاجها لغيرها من المدن[2]، وتعتبر ملاحاتها من أكبر الملاحات وتبلغ مساحتها 24 ميلاً [3]. ومن بين المدن الأخرى التي اشتهرت بصناعة استخراج الملح مدينة بسكرة حيث كان يستخرج من جبل موجود بها، ويعد من أجود أنواع الملح في إفريقية، وكانت قطع الملح المستخرجة منه كقطع الصخر وهو من الأنواع التي كان الخليفة عبيد الله المهدي (297-332هـ/909-934 م) يفضلها فأستعملها وبنوه في أطعمتهم[4]. وكانت مصانع استخراج الملح منتشرة بالمنستير حيث كانت السفن تقوم بشحنه وتصديره إلى مختلف البلاد[5].

وتعتبر بلاد السودان من أهم المناطق التي كانت تستورد الملح من إفريقية لقلته بها. وكان من أغلى السلع حيث كان حمل الجمل يباع بما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار[6].

17 - صناعة السفن:

حظيت دور صناعة السفن باهتمام كبير من جانب الفاطميين لما لهذه الصناعة من أهمية لقوة الدولة. بدأت هذه الصناعة في عهد بني أمية حيث أمر عبدالملك بن مروان (65-86 هـ /277-298 م) إلى أخيه عبدالعزيز والي

---

[1] ارشيبالد، لويس: القوة البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط، ترجمة :محمد عيسي، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط 1، 1996 م ، ص ص 253، 254.

[2] دائرة المعارف الإسلامية، مصدر سابق ج/15، ص 4650

[3] ارشيبالد، لويس: مرجع سابق، ص 330

[4] البكري: مصدر سابق، ص 52.

[5] المصدر نفسه.

[6] ابن حوقل: مصدر سابق، ص 98.

مصر[1] بإمداد حسان بن النعمان والي إفريقية بألف أسرة قبطية من مصر لإنشاء دار لصناعة السفن في تونس، وهي أول دار يعتمد عليها المسلمون في صناعة السفن[2]).

ويرجع السبب في اختيار الخليفة عبدالملك للصناع من مصر لأنها تعتبر من البلاد الساحلية التي تمرن أهلها على ركوب البحر منذ القدم، إلى جانب أن مصر حتى عام (49 هـ/661م) كانت المكان الوحيد الذي توجد به دار لصناعة السفن في الدولة الإسلامية[3]. وكان الهدف من إنشاء دار لصناعة السفن أن تكون قوة وعدة للمسلمين، وأن صناعة المراكب تمكن المسلمين من محاربة الروم في البحر والبر معاً ويستطيعون الإغارة بها على ساحل الروم[4] . وقد دل إنشاء هذه الدار على نفاذ بصيرته وخبرته السياسة وحتى يتمكن من مواجهة الأمم التي لها باع طويل في الحروب البحرية مثل الروم والقوط والفرنجة، وكان ساحل إفريقية دائم التعرض لغارتهم[5].

ثم انتشرت بعد ذلك دور صناعة السفن في جميع أنحاء إفريقية الساحلية، ومن أهم هذه الدور في العصر الفاطمي تلك التي أنشأها عبيدالله المهدي في مدينة المهدية وكان يأمر الصناع بما يعملون (فأمر أن ينقر دار صناعه في الجبل) وهي من أكبر دور الصناعة في إفريقية وتتسع لأكثر من مائة شيني (مركب) بالإضافة إلى مخزنين أو قبوين كبيرين لحفظ الآلات والعدد الخاصة بالسفن حتى لا تتعرض للتلف من جراء تعرضها لأشعة الشمس والمطر[6]. كما كان بمدينة مرسى الخزر دار لصناعة المراكب، وأقيمت دار أخري بمدينة سوسة لصناعة السفن[7] وكان لبعض المدن في إفريقية دوران لصناعة السفن مثل مدينة بجاية[8].

---

(1) ابن عذاري: مصدر سابق ج/1، ص 31.

(2) البكري: مصدر سابق، ص 38.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

(5) المصدر نفسه.

(6) المقريزي: إتعاظ الحنفاء، مصدر سابق، ص ص 101، 102.

(7) البكري: مصدر سابق، ص ص 34، 55.

(8) الإدريسي: مصدر سابق، ص 260.

وقد أولى الفاطميون هذه الدور عناية كبيرة فأقيمت بها المخازن الخاصة لتخزين ما تحتاج إليه، بالإضافة إلى تعيين الأشخاص الخاصين بشراء كل ما يلزم من معدات للأسطول، إلى جانب تعيين شخص قائم بذاته يطلق عليه متولي خزائن البحر. وكان قائد الأسطول زمن الفاطميين من أعلى الموظفين في الدولة وتحت حكمه كثير من الأموال ويسمى (الملند) [1]. وكان الخلفاء الفاطميون يعاقبون أية مخالفات من جانب قادة الأساطيل بالحزم والشدة تصل أحياناً للقتل [2].

وكان للقائمين على الخزائن مكانتهم الخاصة في الدولة حتى عند وفاتهم، فعندما مات خازن البحر أحمد بن محمد بن الطلاس، أمر له الخليفة الفاطمي بكفن مما يكفن به شيوخ الأولياء. لم تقتصر دور صناعة السفن على إنشاء السفن الحربية فقط بل قامت بصناعة السفن التجارية والقوارب الصغيرة التي تستخدم في عمليات الصيد واستخراج المرجان[3] وصناعة العدد والآلات والمعدات التي يحتاجها الأسطول والجيش مثل الخوذ المحلاة بالذهب والسيوف والرماح والنبل وغير ذلك. وكان العمال مهره في صناعتهم بهذه الدور.

وأنتجت دور صناعة السفن أنواعاً عديدة منها مثل الشواني وهي سفينة حربية من أضخم قطع الأسطول وأقدم السفن البحرية، وبها أبراج عظيمة ومزودة بالعدد والآلات الحربية وأسلحة النفط، وسفن الحراريق أو الحراقات التي تعتبر أقل حجماً من سفينة الشواني الحربية وكان منها نوع مدني يستخدمه الأمراء ورجال الدولة أثناء الاحتفالات الرسمية، وسفن أخري تسمى الطرادات أوالطرائد وهي سفن حربية صغيرة الحجم سريعة تتخصص بحمل الجنود، وهي نوع من الشواني وتشبه في شكلها رأس الغراب، وسفن القراقير وهي خاصة بالإمدادات والتزويد ومنها؛ العشاريات والفلانك والحمالات وهي أيضاً من سفن الإمداد وسفن الشلنديات وهي مسطحة تستخدم لحمل الجنود والأسلحة، وإلى جانب السفن

---

[1] ابن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، ص ص 176، 177.

[2] المصدر نفسه.

[3] القلقشندي: مصدر سابق ج/3، ص 473.

الصغيرة هذه هناك عدد لابأس به من أنواع السفن التي تستخدم لحمل المؤن والجنود ومنها الكشير والشذوات والسميريات[1].

ثالثاً: التجارة

1- طرق التجارة الخارجية

كان للموقع الجغرافي لإفريقية أهمية إستراتيجية سمحت له بالتقدم الاقتصادي والتفتح التجاري والحضاري الكبيرين، ومن المعروف أن الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط يتصل بأوسع منطقة جغرافية تشرف على الصحراء، فبعد الواجهة البحرية تبدأ منطقة الهضاب الفاصلة بين الساحل والصحراء وقد كان لهذا الموقع الجغرافي أثره البالغ في حيوية ونشاط المسالك التجارية جنوباً وشمالاً وشرقاً وغرباً في ازدهار تجارة الرقيق[2] بصفة خاصة[3].

إن مشاهدة رسم بياني للمسالك التجارية المغربية خلال القرنيين (الثالث والرابع) الهجريين وفي العصر الفاطمي بالتحديد، يجعلنا نقف على أن إفريقية تضم عدة مراكز تجارية أهمها القيروان وما أسس حولها من مدن جديدة مثل القصر القديم ورقاده ومدن الموانى التجارية الواقعة على الشواطئ الشرقية والشمالية لإفريقية، ومن أشهرها صفاقس وسوسة وبنزرت وطبرقة وعنابة. وعني الفاطميون بطرق المواصلات البرية التي تسلكها القوافل التي تسير بالتجارة من بلد لآخر، فكانت هناك طرق للقوافل تربط بين إفريقية ومصر وبلاد الشام والعراق شرقاً، وسلكت القوافل طريقاً كان يسمى درب الأربعين عن طريق أسيوط تحمل التجارة إلى بلاد السودان[4].

---

[1] المقريزي: إتعاظ الحنفاء، مصدر سابق، ص 102.

- عطية مصطفى مشرفة: نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين (358-567هـ/968-1171م) ص ص 183، 184.

[2] لقد كانت تجارة العبيد وشراؤهم من التجارات الرابحة زمن الفاطميين، وقد تم جلب الرقيق من مختلف أنحاء العالم، فقد جلبوا من أوربا وكان يطلق على هؤلاء العبيد اسم (اسكليب) صقالبة وهم من الشعوب السلافية في أوربا الشرقية والوسطى، وكان يتم استخدامهم في الأعمال المنزلية وغيرها. وتبوأ كثير منهم المراكز المرموقة في الدولة وصارت لهم مكانة هامة في عهد الخلافة الفاطمية، وكان منهم جوهر الصقلي الذي كان قائداً لجيش الفاطميين في عصر المعز لدين الله الفاطمي. أنظر: ابن عذاري: مصدر سابق ج/1، ص 183.

[3] حبيب الجنحاني: المجتمع العربي الإسلامي، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1978، ص 77.

[4] حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص 596.

ومن مظاهر عناية الفاطميين بوسائل الموصلات البرية عنايتهم بالبريد، حيث كان يسلك نفس الطريق البرية التي تسلكها التجارة[1]. وقد ساعدت الطرق التجارية الداخلية والخارجية على ازدهار النشاط التجاري حيث كانت هناك صادرات و واردات تدخل إلى الدولة وخاصة تجارة القيروان التي وصفها المقدسي بأنها (خزانة القيروان) [2].

2- طرق التجارة الداخلية

تعددت الطرق الداخلية التي تربط بين أجزاء إفريقية وبين المدينة والأخرى مثل طريق صفاقس المهدية وهو على مرحلتين[3] ومنه إلى رقادة القيروان [4]، وبين المهدية والقيروان مرحلتان ومنها إلى المنستير ثلاثون ميلاً[5].

لقد ربطت إفريقية شبكة من الطرق البرية وهي متصلة بشكل أو بآخر مما يخدم التجارة في الدولة الفاطمية[6] كالطريق الذي يربط بين سوسة ورباط قصر شقانق، وكل هذه الطرق متصلة إذ كان لعبدالله الفاطمي اهتمام كبير وأثر بالغ في العمل على توفير الأمان على هذه الطرق بوضع الحمايات العسكرية والحصون عليها، كما خرجت من مدينة المنصورية شبكة من الطرق غطت البلاد، فإلى المناطق الساحلية خرج طريق إلى بونة وطريق آخر إلى تونس بطول مائة ميل وطريق من سوسة إلى المنصورية بطول ستة وثلاثين ميلاً، وطريق إلى المهدية بطول ستين ميلاً، كما خرج طريق آخر إلى مدينة صفاقس يمر على طرفي وقصر رباح[7]، وتخرج من الجنوب طرق أخرى منها طريق إلى مدينة قفصة في ثلاثة أيام، وطريق إلى نفزاوة ويقطع في ستة أيام، وهذا الطريق يمتد إلى قسطيلة ومنها إلى غدامس[8]. ومن طرق التجارة الداخلية التي ربطت بين أجزاء إفريقية،

---

(1) حبيب الجنحاني: المجتمع العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص 78.

(2) المقدسي: المصدر السابق، ص 226.

(3) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 73.

(4) الإدريسي: المصدر السابق، ص 182.

(5) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 73.

(6) الإدريسي: المصدر السابق، ص 303.

(7) المصدر نفسه ص 303.

(8) البكري: المصدر السابق، ص ص47، 48.

طريق يخرج من المنصورية إلى طرابلس مروراً بالقيروان وقابس، وطريق من طرابلس يتجه إلى سرت وبينهم عشرة أميال ومنها إلى أجدابيا ست مراحل، ثم إلى برقة أيضاً ست مراحل[1] . وهناك طرق أخري ربطت بين مدن المغرب الأوسط والأقصى أهمها الطرق التي تمتد من مدينة فاس ويتفق مسارها مع السفوح الشمالية لجبال أطلس إلى تازا وتلمسان ومنها إلى تهرت ثم إلى مدينة مسيلة الواقعة شرقي جبلي أدنة ثم يتجه غرباً مع السفوح الشمالية لجبال أوراس إلى موقع يسمي مسكيانة، ومن هذه الطريق يخرج طريقان، الفرع الأول يمر بمدينة تبسا، ويسلك هذا الطريق في فصل الشتاء، والثاني إلى الشمال من هذا الطريق ويسلك في فصل الصيف ويمر بمدينة مجانة ومنها إلى المنصورية[2]، ومن وهران إلى المنصورية يستطع أن يمر هذا الطريق ابتداء من تاهرت، وقد يسلك طريقاً آخر لا يمر بتاهرت بل يتجه إلى الجنوب الشرقي بين الجبال فيمر على بسكرة ويأخذ في نفس الاتجاه في المنخفضات الواقعة جنوب جبال أوراس ومدينة توزر ثم يتجه إلى الشمال الشرقي[3].

3 ـ التجارة الخارجية

كانت العلاقات التجارية الخارجية في العصر الفاطمي علاقات وثيقة استمرت حتى بعد انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر. اهتمت الدولة الفاطمية بالتجارة الخارجية ووفرت التسهيلات لها، فكانت السفن تخرج محملة بجميع أنواع السلع والبضائع من الفاكهة وغيرها وزيت الزيتون[4]، وارتبطت بعلاقات تجارية مع الدول المجاورة لها، فكانت القوافل تحمل إلى الشام والأندلس الفاكهة وغيرها من البضائع كخامات الحرير والأصواف، كما كان يصدر إلى مصر النسيج الطراقي والبلور، ويستورد من الأندلس قماش (البوتلمون) وهو قماش يتغير لونه بتغير ساعات النهار. ومما كان يستورد من مصر التوابل والعطور والبخور حيث تأتي من أسواق الشرق إلى مصر عن طريق ميناء عيذاب ثم تنتقل إلى مدينة

---

[1] البكري ، مصدر سابق ، ص 6.

[2] المصدر السابق، ص ص 141، 146.

[3] المصدر نفسه .

[4] المصدر السابق، ص 47.

الفسطاط ومنها إلى الإسكندرية ومنها ينقلها تجار إفريقية إلى بلادهم عن طريق القوافل البرية ثم إلى أوربا عن طريق البحر[1]. كما كانت القوافل تحمل منتجات بلاد السودان وغانا والسنغال والنيجر إلى واحات مصر[2].

مما سبق ذكره نصل إلى حقيقة أن السلع المتبادلة بين أجزاء إفريقية لم تكن من إنتاجها فقط وإنما كانت هناك أنواع أخري كالبضائع الآتية من الشرق كالذهب والفضة من السودان حيث كان يعاد تصديرها إلى الأندلس وصقلية لما عرف عن أهل إفريقية من وساطة تجارية، فارتبطت الدولة الفاطمية بعلاقات تجارية واسعة مع بلاد السودان عادت على الدولة الفاطمية بالخير والثراء، فكانت القوافل تخرج من أراضي الدولة الفاطمية محملة بمختلف البضائع والمنتوجات لتنطلق إلى الجنوب ومعها الأدلاّء حتى تصل إلى المراكز التجارية السودانية والتي كانت من أهمها التكرور وكومبي وتمبكتو وكانم وتادمكة وكوكة, وبهذه الرحلات المنتظمة من الشمال إلى الجنوب يتدفق على الدولة الفاطمية دخل مربح من الذهب والعبيد ملأ خزائن الدولة الفاطمية وأمراءها وتجارها بالمال الوفير. وكان الذهب في مقدمة السلع المستوردة من جنوب الصحراء واشتهرت به غانا, وعلى الرغم من أن غانا لم تسيطر على المنابع الرئيسية للذهب في هذه المنطقة إلا أنها تحكمت في الطرق المؤدية إليها فضلاً عن أن بلادها ضمت بعض المناجم[3]. وقد قام ملوك غانا وتجارها بدور الوسيط بين مناجم الذهب في الجنوب وبين المغرب في الشمال, وكان الذهب المستورد من بلاد غانا وجنوبها يستخدم جزء منه في صناعة العملة حيث يذهب به إلى دور الغرب في المهدية والمنصورية ويضرب دنانير يتصرفون بها في إتمام العمليات التجارية ويصدر الباقي منه إلى بلدان البحر المتوسط. ولم يقتصر التبادل التجاري على الذهب فقط، بل كان يصدر لبلاد السودان النحاس الأحمر وثياب الصوف والعمائم والسروج والمسابح وأدوات الزينة والفواكه المجففة ومن بينها التمر وصدروا اللبود

---

(1) لرشيلك، لويس: مرجع سابق، ص 252.

(2) حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص 616.

(3) البكري: مصدر سابق، ص177.

المغربية والبغال والمرجان والعنبر والعسل والزيت والحرير[1] . أما ما يستورد من بلاد السودان إضافة إلى الذهب، فقد شمل العاج وريش النعام وخشب الأبنوس والصمغ وجلود الحيوانات[2].

ونشطت التجارة في إفريقية مع بلاد السودان على أيام الفاطميين. وكان بين الحكام الفاطميين وخلفائهم من جهة وبين ملوك السودان من جهة أخرى علاقة طيبة بدليل وصول هدية في سنة (382هـ/992 م) من بلاد السودان إلى والي إفريقية من قبل الفاطميين أبي مناد باديس أبي الفتح المنصور فيها زرافة[3]. ووصلت أيضاً للمعز في سنة (423 هـ /1013م) هدية جليلة من ملوك السودان وكانت تتضمن رقيقاً كثيراً وزرافات وأنواع من الحيوانات[4].

كما نشطت العلاقات التجارية مع بلاد الأندلس، ورغم الصراع المذهبي بين الخلافة الفاطمية والخلافة الأموية في الأندلس إلا أن ذلك لم ينعكس على النشاط التجاري، وكان السفر بينهما سهلاً وميسراً، وقد لعب التجار اليهود دوراً هاماً وملحوظاً في التعامل التجاري بين حاضرتي الخلافة الفاطمية والأندلس، وقد ساعدهم على ذلك اتصالهم الوثيق بأقرانهم في مختلف الجهات، وخبرتهم في الشئون المالية والتجارية ولا سيما في إفريقية كانت بها جالية يهودية كبيرة. ومما يؤكد هذا النشاط التجاري كثرة وفود السفن الأندلسية على موانئ الخلافة الفاطمية وبوجه خاص على ميناء مدينة تونس وميناء قرية طبرقة التي اشتهرت بكثرة ورود التجار الأندلسيين إليها[5] .

ومن أهم ما تحمله السفن الأندلسية إلى إفريقية الأسلحة والحرير الخام بالإضافة إلى منتوجات أخرى متنوعة مثل الجواري الأندلسية. أما أهم ما تصدره الموانئ الفاطمية إلى بلاد الأندلس فكان يتضمن الصمغ الذي يصمغ به الديباج الأندلسي والفواكه وغيرها[6].

---

[1] الاصطخري: مصدر سابق، ص 37.

[2] البكري: مصدر سابق، ص 179.

[3] ابن عذاري: مصدر سابق، ج/1، ص 246.

[4] المصدر السابق، ص 275.

[5] الاصطخري: مصدر سابق، ص 38.

[6] البكري: مصدر سابق، ص 157.

ووصلت التجارة الخارجية زمن الفاطميين إلى صقلية وجنوب إيطاليا، وقد كان التجار يحملون بضائعهم إلى صقلية من موانئ الدولــة الفاطميــة كالمهديــة وغيرها متوجهين إلى صقلية محملين بالسلع المختلفة وعند عودتهم تحمل ســفنهم بالسلع المختلفة كالأخشاب اللازمة لصناعة السفن. كما أن العداء الــسياسي بــين الخلافة الفاطمية والدولة البيزنطية لم يمنع وجود علاقات تجارية وقد اتخذ التجار الفاطميون من جزيرة صقلية جسراً يعبرون منه إلى جنــوب إيطاليــا فــارتبطوا بعلاقات تجارية مع مدينة بيزا التي كانت أولى المدن الإيطالية في امــتلاك قــوة بحرية والتي كان لها تجارة رائجة مع إفريقية. كما أن مدينة البندقية نجحت فــي إنشاء علاقات تجارية واسعة النطاق مع المسلمين في إفريقية والشام [1].

كما أقيمت علاقات تجارية مع بلاد المشرق والهند والصين وكان يــرد علــى موانيها كثير من تجار بلاد الشام محملين بسلع المشرق ومن نفس هــذه المــواني كانت تبحر الأساطيل التجارية الفاطمية محملة بالسلع إلى مواني الــشام، ورغــم العداء القائم بين الفاطميين والعباسيين إلا أننا نجد إشارات إلى وجــود علاقــات تجارية بين المشرق والمغرب وتمثلت تجارة الهند والصين في التوابل والعطــور والبخور وهي من أهم وردات الخلافة الفاطمية من هــذه المنــاطق بينمــا كــان المرجان من أهم السلع التي تصدرها إفريقية.

4- الأسواق

اعتنت الدولة الفاطمية بالنشاط التجاري باعتبــاره مــورداً ثريــاً للدولــة. وتوفرت بها العملة النقدية الذهبية ذات الشأن التي ساهمت في تقدم التجارة والتي أدت بدورها إلى رفع المستوى المعيشي للرعية[2]. وتنوعت السلع داخل أسواق ، واشتهر كل نوع منها بعرض معروضات معينة، وقام نوع من التبــادل التجــاري للسلع بين المدن والقرى فكانت مدن إفريقية تعتمد على القرى لسد احتياجاتها مــن المواد الغذائية والمواد الأولية، بينما كانت المدن تمد القرى بمختلف الصناعات[3]،

---

(1) الإدريسي: مصدر سابق، ص 281.

(2) حبيب الجنحاني: دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الغرب بيروت، ط 2، 1986م، ص 83.

(3) وسام محمد أحمد سالم: المراكز التجارية في مصر في العصر الفاطمي، (رسالة ماجستير)، جامعة المنوفية، مصر، 2006. ص 80.

وكانت الأسواق منسقاً تنسيقاً بديعاً، فقد كانت الدكاكين صفاً متصلاً يقابلـه مثلـه ويفصل بينهما ممر مسقوف بالآجر وأمام صف الدكاكين مصطبة صغيرة يجلـس عليها المشترون[1] .

وقد قام الفاطميون بتنظيم العملية التجارية حيث قسمت الأسواق إلى قسمين أحدهما للصناعات اليدوية والآخر لبيع المنتجات الأجنبية. كما كانـت الـدكاكين المخصصة للتصنيع أكثر اتساعاً من دكاكين البيـع المعـدة لعـرض المنتجـات المستوردة لأن عدد العاملين في المجال الصناعي كان أكثر منه في التجـاري[2]، والعمل بهذه الأسواق يستمر إلى فترات طويلة فلا يذهبون إلا بعد حلول المـساء. وتضاء الأسواق مساءاً بالمصابيح ولا يبقى فيها سوى الحراس[3]، وكانت تضرب الأبواق في المساء بعد إغلاق الأسواق ويمنع التجول خلال الطرقات[4]. وتعتبـر الأسواق محور النشاط التجاري والصناعي وكانت موضع اهتمام الخلفاء والأمراء الفاطميين. وظهر هذا الاهتمام بتنظيم الحياة التجارية في القيروان حيث أنشأ حـي يسمى (حي القاسمية) التجاري نقل التجار إليه، ثم ظهر في بناء أسـواق المهديـة وتصنيف التجار بها، كما كان بناء الأسواق في المنصورية ونقل تجار القيـروان إليها من العوامل الفعالة في تطوير الحركة التجارية [5]. وقـام المهـدي بترتيـب الدكاكين ورتب فيها أرباب المهن لكل طائفة سوق نقلوا إليها أموالهم فازدهر بهـا النشاط التجاري بفضل تجارها الذين وصفهم الإدريسي بأنهم تجـار ذوو معرفـة زائدة في التجارة وطرق المعاملات[6].

5- العملة (السكة)

تعتبر العملة من أهم مظاهر الازدهار أو التدهور الاقتـصادي لأي بلـد، فكلما ازداد الازدهار الاقتصادي تحسن عيار العملة والعكس صحيح مما يعني أنه

---

[1] حسن حسني عبدالوهاب: مرجع سابق، ص ص 58، 59.

[2] المرجع السابق، ص ص 71، 72.

[3] النباغ: مصدر سابق ج/3، ص 33.

[4] المصدر السابق، ص ص 86، 87.

[5] حبيب الجنحاني: دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب، مرجع سابق، ص 83.

[6] الإدريسي: مصدر سابق، ص 281.

كلما ازداد ازدهار التجارة تحسن عيار العملة[1]، وقد بلغ الوزن الشرعي للعملة الفاطمية 25-4 كجم[2].

وتعامل الفاطميين في إفريقية بالدينار الأبيض والدينار الراضي. وكانت العملة وسيلة من وسائل الدعاية المذهبية بما تحمله من عبارات شيعية، وعندما استمر التعامل بالدنانير العباسية عملت الحكومة الفاطمية على تقليل قيمة الدنانير العباسية، فقدرت قيمة الدينار الأبيض بعشر دراهم ثم ثمانية دراهم ثم بستة دراهم[3]. وعندما قدر الدينار الراضي بخمسة عشر درهماً ثم في سنة (363 هـ/974م) وأمتنع عمال الخراج (يعقوب بن كلس) و(عسلوج بن الحسن) عن أخذ الخراج إلا بالدينار المعزي[4].انظر ملحق رقم (11)

والسكة في بعدها السياسي مورد تملكه الدولة من أجل تدعيم نفوذها وتأكيد كيانها وفرض قوتها وسيطرتها حتى تصبح ذات مكانة سياسية واقتصادية[5]، وكانت جزءً سياسياً من شارات الخلافة الرئيسية للدولة مثلها في ذلك مثل ذكر اسم الخليفة في الخطبة وكتابة اسمه على الطراز وشارات الملك وغيرها[6]، إضافة لإظهارها للدعاية المذهبية، وقد ظهر ذلك واضحاً في النصوص التي كانت مكتوبة على العملة الفاطمية ومنها (على خير الله) و(على أفضل الوصيين) ووزير خير المرسلين و(على ولي الله) [7]، ونظراً لمكانتها كان يتولى مهمة الإشراف عليها قاض القضاة[8] الذي كانت مهمته الإشراف عليها ضماناً لشرعيتها من حيث العيار والوزن، وكان يعاونه مجموعة من الموظفين منهم من يتولى العمل الإداري مثل قبول دار الضرب، ومنهم من يختص بالعمل الفني مثل النقاش والسباك والضرب[9]. والجدير بالذكر أن لوزن الدينار أهمية كبيرة فكلما زاد

---

(1) آدم متز: مرجع سابق، ص 377.

(2) أسامه سيد أحمد: "دور السكة في تحديد الوضع السياسي للفاطميين"، المجلة التاريخية المصرية مج 41/ 2001، ص 36.

(3) المقريزي: اتعاظ الحنفاء، مصدر سابق، ص 183.

(4) المصدر السابق، ص 183.

(5) أسامة سيد أحمد: مرجع سابق، ص 32

(6) المرجع السابق، ص 34.

(7) المرجع السابق، ص 32.

(8) المرجع السابق، ص 52.

(9) أسامة سيد أحمد: مرجع سابق، ص 52.

وزنه دل ذلك على غنى الدولة ورفاهيتها وعنايتها بالعملة[1] ، وقد ازداد غنى بلاد المغرب في زمن الفاطميين بالرغم من فرض الضرائب الفادحة التي كان الحكام الفاطميون يجبونها لتعبئة خزائنهم[2]

كما أدي دخول الفاطميين وانتقالهم إلى مصر بعد سيطرتهم على الجزء الغربي من العالم الإسلامي إلى تأثر العملة في المشرق الإسلامي فارتفعت أسعارها ارتفاعاً كبيراً خصوصاً في أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) [3]. لقد أصبح شمال إفريقية خلال هذه الفترة أكثر ازدهاراً من الناحية التجارية والصناعية والزراعية حتى فاق ازدهار العصور البيزنطية أو الرومانية.

ولم تعترف الدولة الفاطمية بالسكة العباسية، فانفرد الخليفة الفاطمي المهدي بضرب اسمه ولقبه على سكته كمظهر من مظاهر السلطة والسيادة وعدم الاعتراف بسلطة الخلافة العباسية[4].

أما في عهد الخليفة القائم بأمر الله فتميزت دنانيره بشكلها المميز بينها وبين طراز سكة الخليفة العباسي المأمون، فكان يحتوي الوجه على هامش واحد يتضمن اقتباساً من سورة الصف بدلاً من هامشين بوجه دنانير المأمون، كما يحتوي ظهر دنانير القائم على هامشين بدلاً من واحد كان يظهر في سكة الخليفة المأمون.

وقد سجلت عبارات التوحيد بالوجه واختتم بعبارة (المهدي بالله) بينما ظهر لقبه أسفل عبارات الرسالة المحمدية بالظهر[5]، وتتفق دنانير الخليفة القائم مع دنانير أبيه.

ومن الملاحظ أن السكة الفاطمية تقتصر على اسم الخليفة أو لقبه دون غيره، أما دنانير أبي طاهر إسماعيل ثالث الخلفاء الفاطميين بالمغرب فإنها تؤكد اهتمامه بالجانب الروحي والديني الذي يتضح من ذكر الألقاب الدالة على ذلك مثل

---

(1) حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص 60.

(2) جورج ريتزو: دراسات إسلامية، ترجمة: أنيس فريحه، دار الأندلس، بيروت، د.ط، 1986، ص 64.

(3) آدم متز: مرجع سابق، ص 377.

(4) مايسة محمود داود: المسكوكات الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط ، د.ت، ص 9.

(5) المرجع سابق، ص 29.

الإمام (عبدالله أمير المؤمنين)، وهو يشير إلى الخطة السياسية التي تهــدف إلـــى انتزاع الزعامة الدينية والروحية من الخلافة العباسية والقضاء عليها[1].

---

[1] مايسة محمود داود ، مرجع سابق ، ص ص، 35، 36.

الفصل الرابع

الحياة الثقافية والمنشآت الحضارية في إفريقية.

المبحث الأول

الحياة الثقافية في الدولة الفاطمية

أولاً: جهود الفاطميين لنشر الدعوة الشيعية.

ثانياً، مراكز الثقافة الفاطمية.

1- المساجد والقصور.

2- المكتبات.

ثالثاً: أهم العلوم والمعارف في العصر الفاطمي.

المبحث الثاني

المنشــــآت الحضــاريـــــــة

الحياة الثقافية والمنشآت الحضارية

في الدولة الفاطمية

المبحث الأول

الحياة الثقافية في الدولة الفاطمية

اعتنى الفاطميون بالثقافة والكتب عناية كبيرة، وكانت لديهم الرغبة في اكتساب الكتب خصوصاً تلك التي تتعلق بالدعوة لمذهبهم الشيعي وما تضمه المذاهب الأخرى، وقد ملكوا منها كتباً كثيرة اقتناها دعاتهم في اليمن والشام والحجاز ولاسيما في مدينتي بغداد وسلمية[1].

وقد كانت رغبة الخلفاء الفاطميين في منافسة الدولة العباسية كبيرة، فعملوا على تشجيع العلم والعلماء وتقريب الشعراء والأدباء، وكل ذلك كان عاملاً مشجعاً على الدرس والتحصيل والبحث والتأليف ونسخ الكتب ونقدها والتعليق عليها فانتشرت المكتبات[2].

وقام الخلفاء الفاطميون بتكريم الفقهاء والعلماء تقرباً إلى الشعب[3] فازدهرت الحركة الثقافية في إفريقية على عهد الفاطميين وكانت لديهم جهود كبيرة من أجل نشر دعوتهم ومذهبهم الشيعي.

أولاً: جهود الفاطميين لنشر ثقافتهم الشيعية في إفريقية:

كانت العناية بنشر تعاليم الدعوة الشيعية جزءاً من سياسة الدولة، فمنذ أن نشأ المذهب الشيعي ومنذ البداية كان يسعى أن يحل محل الخلافة العباسية وإقامة دولة شيعية، فأخذ هذا الطموح يسير نحو الهدف ابتداءً من الخطوة الأولى المتمثلة في قيام الدولة الفاطمية أو العبيدية في إفريقية عام (297هـ/909 م) باعتبارهم -

---

[1] حسن حسني عبدالوهاب: مرجع سابق، ص 332.

[2] زكي محمد حسن: مرجع سابق، ص31.

[3] المرجع نفسه.

كما يرون- أحق من غيرهم بالخلافة[1]. واستطاع الشيعة ودعاتها التأثير في أهل إفريقية كما بدأ ذلك واضحاً في إقناع أغلب بطون قبيلة كتامة التي ساندت وحشدت الجيوش إلى جانب أبي عبيد الله الشيعي ونصرته حتى تمكن من تأسيس دولته[2].

وقد كان لهذا النجاح آثاره الحاسمة في تقرير مصير إفريقية، وبالرغم من انفصال إفريقية عن الدولة العباسية، فقد سادت فيه مذاهب سنية، كما ساد المذهب الأباضي في تاهرت وهو مذهب المعتدلين من الخوارج الذي لا يختلف كثيرا عن المذهب السني، كما وجدت بهذه البلاد اتجاهات مذهبية أخري شيعية مثل دولة الأدارسة والتي كانت دولة علوية معتدلة مما دعا إلي تسميتها بالدولة الهاشمية[3]. وترجع بذور الدعوة الشيعية إلى فترة سبقت قيام دولة الأدارسة عام (172هـ/ 878م) حين ظهر الإمام جعفر الصادق بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والذي أبدي جهداً واهتماما كبيراً وعظيماً في نشر علم الأئمة من آل البيت وفضائلهم بين جمهور المسلمين، ووصول الدعوة إلى بيئات البعيدة عن ملاحقة العباسيين ونفوذهم مما يدل على جدية الشيعة في نشر ثقافتهم ومذهبهم وتكوين دولة لهم، هذا وقد تم نشر مذهبهم في إفريقية في أول الأمر بصورة سهلة ميسورة وغير معقدة[4].

انتشرت الدعوة في إفريقية على أيدي الداعيتين عبدا لله بن علي بن أحمد المشهور (بالحلواني) وأبي سفيان الحسن بن القاسم، فلعب هذان الداعيتان دوراً كبيراً في بذر بذور التشيع[5].

تمكن الشيعة ودعاتهم من التأثير في السكان ويبدو ذلك واضحاً في اقتناع أغلب بطون قبيلة كتامة بالدعوة ومساندتهم وحشدهم الجيوش إلى جانب أبي عبدالله الشيعي ومناصرته حتى تمكن من تأسيس دولته[6].

---

[1] بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، ط 1، بيروت، 2003، ص 259.

[2] المرجع السابق، ص 263.

[3] السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المغرب في العصور الوسطي، مرجع سابق، ص ص 507، 508.

[4] بشير رمضان التليسي: مرجع سابق، ص 263.

[5] حسن إبراهيم وطه شرف: مرجع سابق، ص 116.

[6] المرجع السابق، ص 263.

لقد كانت الدعوة في إفريقية منظمة ومدروسة ولها أهداف مخطط لها بدقة، وتمكنت من تحقيق هذه الأهداف كاملة من المرحلة الأولى، مرحلة أبي سفيان والحلواني، ولم يعد أمام الشيعة إلا حضور صاحب البذر[1] أبي عبدالله الشيعي. ولقد اعترضته بعض الصعوبات التي تمكن من التغلب عليها إذ أنه وجد انقساماً بين البربر انتهى بانتصار الجانب الذي يؤيد أبي عبدالله، ودخلت قبائل كثيرة في دعوته وجعل لهم ديواناً كما ألزمهم بالتجنيد قائلاً لهم (إني لا أدعوكم لنفسي وإنما أدعوكم لطاعة الإمام المعصوم من أهل البيت) [2].

ثم استقامت الأمور لأبي عبدالله الشيعي، وأحس بقوته التي أصبحت قوة يحسب لها حساب كبير[3]، وأخذ يسعى لتحقيق المرحلة الثانية وهي المرحلة العسكرية، وكان النصر حليفة ضد الأطراف المعادية له. وربما ساعدت على انتصاراته وجود مشاكل وانقسامات في الدول المجاورة له كما كانت الحال في دولة الأغالبة وإمارتي بني مدرار في سلجماسة وبني رستم في تاهرت [4].

من هنا يمكن القول بأن السبب الرئيسي في نجاح الدعوة الشيعية في إفريقية وقيام الدولة العبيدية أو الفاطمية يكمن في قوة دعاتها، ونجاح أبي عبدالله في اختيار المنطقة والمكان المناسبين، وجذب الأتباع والمريدين، كل ذلك إضافة إلى الصبر والتحمل من أجل تحقيق حلم العلويين وتجسيده على أرض الواقع، ذلك الحلم الذي تجسد في تأسيس دولة تقوم على أرضية صلبة تسود العالم الإسلامي، وإقامة دولة علوية لإنقاذ الناس وخلاصهم باعتناق المبادئ الشيعية في وقت كانت فيه المذاهب الدينية تمثل الاتجاهات السياسية منذ القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي) [5].

---

[1] حسن إبراهيم وطه شرف: المرجع السابق، ص 264.

– السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المغرب في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص ص209.

[2] المرجع السابق، ص 510.

– ابن عذاري: مصدر سابق ج/1، ص 172.

[3] السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المغرب في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 510.

[4] بشير رمضان التليسي: مرجع سابق، ص 268.

[5] المرجع السابق، ص 269.

ومنذ الأيام الأولى عمل الفاطميون على انتهاج طـريقتين لاسـتدراج النـاس ودعوتهم إلي مذهبهم.

الطريقة الأولى تضمنت إظهار مزيج من الشدة واللين. فقـد عمـد عبيـد الله المهدي إلى استخدام اللين منذ الأيام الأولى من خلافته لتغيير الاتجـاه المـذهبي لأهل إفريقية تمهيداً لنشر المذهب الشيعي في جميع المناطق التي كانـت تخـضع لسلطانه ثم أظهر الشدة عندما اصطدم بأتباع المذهب المالكي الذين رفضوا مذهبه ووقفوا ضده ولقي كثير منهم القتل مثل إبراهيم بن محمد الضبي المعروف بـابن البرذون وأبوبكر بن هذيل.

أما الطريقة الثانية فتضمنت الحوار ومحاولة إقناع علماء مذهب الإمـام مالـك بأحقية العلويين في الإمامة بفضل سيدنا على كرم الله وجهه، وقد فشل العبـديون في هذه الطريقة [1].

ثم رأى مؤسس الدولة الفاطمية عبيد الله المهدي أن غاية العبيديين لن تتحقـق بإراقة الدماء وأراد أن يكون للدولة العبيدية أنصار ومؤيدون مـن جميـع بقـاع الأرض، ففكر في نشر المذهب الإسماعيلي من خلال نشر علم آبائه عن طريـق الدعاة والمعلمين وبفتح أبواب المنح للطالبين وتولى تلك المهام دعاة المهدي ومن بينهم (أفلح بن هارون) وعمل على جمع فقه الأئمة وخطب على بن أبـي طالـب كرم الله وجهه والأئمة من ولده، وأقام برنامجاً تلقينياً تلقن فيه فئات كثيـرة مـن المجتمع مبادئ المذهب الشيعي، وكان يعلم المرأة والـصانع والتـاجر والفـلاح وغيرهم[2].

وقد استمر نشاط المدارس الفاطمية في نشر المذهب الـشيعي، وبعـد انتهـاء مرحلة الدعوة السرية بدأت بهذه المدارس المرحلة الجهرية أو العلنية بفضل هـذه المدارس التي راجت مع استقرار عبيدالله المهدي بالمهدية، وظلت تلك المـدارس تؤدي دورها في مدينة المهدية حتى بعد انتقال الخلافـة الفاطميـة إلـى مدينـة المنصورية.

---

(1) بشير رمضان التليسي: المرجع السابق ، ص 264 .

(2) المرجع السابق، ص ص 268 – 274.

لقد نجحت هذه المدارس في تخريج العديد من الدعاة الذين اشتهروا بإخلاصهم للدعوة الإسماعيلية ومنهم القاضي النعمان بن محمد المغربي وأبو حاتم بن حمدان الرازي وجعفر بن المنصور اليمني، وأسهم هؤلاء بالعديد من المؤلفات في المذهب الإسماعيلي وتميزوا عن غيرهم من الدعاة الذين أتوا بعدهم لتكتمل حلقات المذهب الإسماعيلي ومناهجه[1].

وقد ركز العبيديون على عملية إعداد الدعاة حيث كانوا يرون أنها ليست سهلة أو يمكن لأي شخص القيام بها، فهي تتطلب شروطاً لابد من توفرها في الداعي فضلاً على علمه وثقافته وإيمانه بالمذهب الإسماعيلي أيماناً مطلقاً لا يداينه أي شك، وأن يشهد له بالكفاءة كما تتوفر فيه شروط القدرة على استدراج الناس واستقطابهم للمذهب الإسماعيلي، وقد أحاط الخلفاء الفاطميون الدعاة بالرعاية والعناية وفتحوا قصورهم كمدارس لإعداد الدعاة وتحديد مهامهم وأساليبهم لنشر المذهب الإسماعيلي، واستمرت جهود الخلفاء ودورهم في تثقيف أتباعهم حتى بعد خروجهم إلى مصر[2].

وكان المعز يؤلف بنفسه الرسائل والمحاضرات عن المذهب الإسماعيلي ويبعث بها إلى الدعاة من أمثال القاضي النعمان حتى يلقيها على الناس دون زيادة أو نقصان، ولهذا السبب اشتهر النعمان وكان يلقي على مسامع الأتباع والمستجيبين المحاضرات المشهورة بإمضاء الخليفة فكثرت أعداد المستجيبين وعظمت رغباتهم وأقبلوا من كل أفق على ذلك[3].

ولم تتوقف جهود المعز ونشاطه على المنشورات التي يلقيها قاضي قضاته ولا على الاجتماعات التي كانت تعقد في المسجد أو القصر بل عني الخليفة المعز عناية كبيرة بتلقين أتباعه خصائص المذهب الشيعي وأسراره وذلك من أجل تثبيت دعائم ومبادئ هذا المذهب[4].

---

[1] بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص ص 274-275.

[2] المرجع السابق، ص ص 279،278.

[3] حسن إبراهيم حسن و وطه شرف: عبد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية ، ص 234.

[4] المرجع السابق، ص 235.

أسهم خلفاء الدولة الفاطمية إسهاما كبيراً في نشر المذهب الشيعي كما لعبت المدارس التي أقامها عبيدالله المهدي الدور الكبير في ذلك وظلت قائمة طيلة عهد خليفته القائم والمنصور بالرغم ما ساد في عهديهما من فتن وقلاقل وانشغالهما بثورة يزيد بن مخلد بن كداد عام (336هـ/947 م) كما شهد عهد المعز الاهتمام الكبير بزيادة نشر المذهب الشيعي، ومتابعة الدعاة وتحريضهم ليجذبوا الناس إلى المذهب الإسماعيلي. وكان عهد المعز أكثر العهود الفاطمية نشراً لثقافة المذهب الشيعي[1].

وبالرغم من شده المواجهة التي كان أبداها أصحاب المذهب المالكي من أجل الدفاع عن مذهبهم فقد وجه العبيديون كافة إمكانيات دولتهم لخدمة مذهبهم وحاولوا استقطاب كبار العلماء والأدباء السنيين وشحذوا في ذلك كافة الهمم والإمكانيات المادية والبشرية لتحقيق هذا الهدف المنشود في الداخل والخارج، وكان من بين الإمكانيات التي سخروها في خدمة الثقافة العبيدية بعض الشعراء من ذوي النزعة الشيعية أو غيرهم[2].

ثانياً: مراكز الثقافة الفاطمية

بلغت الدولة الفاطمية مبلغاً في العلوم والآداب فازدهرت خلال هذا العصر فنون الآداب والكتابة فنجد السجلات والخطب الخلافية ولغة الدواوين الفاطمية تمتاز بالروعة في التعبير والأسلوب[3].

وكان للمساجد والقصور والمكتبات كمؤسسات ومراكز ثقافية أثرها الكبير في النهوض بالحياة الثقافية في إفريقية، فبدأ المسلمون عامة نشر ثقافتهم معتمدين في ذلك على القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم [4].

شهدت إفريقية خلال القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي) تطوراً حضارياً وثقافياً واسعاً كان نتاجاً طبيعياً للتبادل الثقافي بين مختلف الأجزاء في

---

[1] بشير رمضان التليسي: مرجع سابق، ص 282-284.

[2] محمد اليعلاوي: تاريخ الأداب بإفريقية في العهد الفاطمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1986م، ص 37.

[3] محمد عبدالله عنان: مرجع سابق، ص ص 359، 362.

[4] بشير التليسي: مرجع سابق، ص 365.

أنحاء العالم الإسلامي [1]، ويعتبر المسجد من أهم المؤسسات التعليمية والعلمية وأكثرها شأناً عند المسلمين ومن أهم مراكز الثقافة خلال العصر الفاطمي:

1- المساجد والقصور

نضجت ملكات المسلمين خلال هذا العهد فقاموا بنشر الثقافة الإسلامية بصورة واضحة. وقد لعبت الترجمة من اللغات الأجنبية وبخاصة من اليونانية والفارسية والهندية دورها في هذا الشأن، حيث تمت ترجمت الكثير من الكتب إلى اللغة العربية. وقام الخلفاء الفاطميون بتشجيع رجال العلم والأدب دفعاً للحركة الثقافية والفكرية[2]، ولعل مما يدل على اهتمام الخلفاء الفاطميين بالقيمة الثقافية للكتاب أن رجلاً حمل إلى العزيز بالله نسخة من كتاب الطبري فاشتراه منه بمائة دينار، هذا وقد جمع الفاطميون في خزائنهم نماذج عديدة من كتب المشاهير الخطاطين كابن البواب وابن مقلة. وقد أدى اتساع أفق الفكر الإسلامي[3] في الدولة الفاطمية إلى تطور ورقي الحركة العلمية والأدبية في العالم الإسلامي.

وقد كان من أثر استقلال كثير من الدول عن الخلافة العباسية أن نشطت الحركة الفكرية فراجت الثقافة وزخر البلاط في هذه الدول المستقلة بالعلماء والشعراء والأدباء، كما ظهرت فرق اتخذت من الثقافة والعلم وسيلة لتحقيق مآربها السياسية وخير مثال على ذلك ما خلفه المعتزلة ودعاة الإسماعيلية من العلماء والمتصوفين. وقد كان للنقاش والجدل الذي قام بين هذه الفرق وبين العلماء من السنيين أثره البعيد في هذه النهضة العلمية التي تميز بها العصر الفاطمي.[4].

أ- المساجد

المسجد هو كل موضع يتعبد فيه المسلمون وهو البيت الذي يسجدون فيه ويقيمون صلاتهم وعبادتهم المختلفة[5] وهو من أكثر المؤسسات التعليمية والعلمية والتي لها شأناً عظيماً عند المسلمين وهو المكان الرئيسي للثقافة الإسلامية وكان

---

[1] بشير التليسي : المرجع السابق، ص 363.

[2] زكي محمد حسن: كنوز الفاطميين ، ص 27.

[3] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية ، ص 421.

[4] المرجع نفسه ص421.

[5] المرجع السابق، ص 426.

الطلاب يجتمعون و يتحلقون في المساجد حول العلماء وهذه الظاهرة ظلت مستمرة في جميع البلاد الإسلامية قبل إنشاء المدارس في القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، فقد كان بمثابة المدرسة الثانوية أو الجامعية بالمفهوم الحالي، ولم تكن المساجد أماكن للعبادة الدينية فقط بل، كانت أيضاً دور علم ومعرفة[1]. وأصبحت المساجد مثابة للعلماء من فقهاء المذهب الشيعي والذين حرصوا على محاضرة ومحاورة الناس في عقائد المذهب الشيعي.

وكان بعض الوزراء والقضاء يشتركون في تأليف كتب للمذهب الشيعي يدرسها الأساتذة في تعلم الناس وكان أشهرهم يعقوب بن كلس وقد ألف كتب أعظمها ذلك الكتاب في الفقه الشيعي وقد كان القضاة يعودون إليه في أحكامهم ومحاكماتهم التي كانت تعقد في المساجد كما كان الطلبة والأساتذة يتدارسونه[2].

وقد أهتم الفقهاء العلماء والخلفاء بالمساجد لأهميتها في نشر الثقافة الإسلامية ومن أجل جعلها مراكز علمية يتخرج منها العلماء في شتى فنون المعرفة، كما بينوا ما يجوز فيه وما لا يجوز فيه، كما منعوا جعلها أماكن يسخرها المسلمون لقضاء أغراض دنيوية كالبيع أو الخياطة وغيرها من الأمور الدنيوية ومتطلبات الحياة اليومية.

وكان المسلمون في أول عهدهم بالإسلام بحاجة إلى شرح التعاليم الدينية الجديدة وتوضيح أسسه وأحكامه وأهدافه فكان المكان الأول والرئيسي لهذه الأمور المسجد، كما استخدمت إلى جانب التعاليم الدينية كدار للقضاء.

وكانت من دوافع بناء المجسد إقامة صلاة الجماعة والعبادة الفردية وتلقين المعرفة الدينية، وهو لم يحل محمل البيوت الخاصة وقد أمر الله ببناء أول مسجد هو مسجد (قباء) والذي نزل فيه قوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه رجال يحبون أن يتطهروا)[3].

---

(1) بشير رمضان التليسي: مرجع سابق، ص 386.

(2) المرجع السابق، ص ص 421، 422.

(3) سورة التوبة: الآية 101.

وبعد الفتح العربي لإفريقية شيدت الكثير من المساجد وأخذ المسلمون في التوسع والتفنن في بنائها، ومن أهمها مسجد عقبة بن نافع في القيروان وكان بناؤه عام (51هـ/671م) واعتبارا من ذلك التاريخ أخذ المسلمون في تشيد وبناء مساجد أخرى حتى صار في كل مدينة وقرية مسجد[1]. كما تطور الدور التعليمي لهذه المساجد فاستخدم الفاطميون في أغراض دعائية لهم ولمذهبهم وكانوا يرون أنفسهم أصحاب مذهب عقائدي لا يهتم بالعصبية الجنسية فدعوا الناس من مختلف الجنسيات للدخول في مذهبهم وجمع الأنصار لهم (ووثقوا في أتباعهم أنه لا علم إلا علم الأئمة وأن مذهبهم هو مصدر التعليم ومصدر الحياة وهو الذي يجب أن يسود مستخدمين في ذلك مسجد رقاده ثم المهدية وسيلة لذلك)[2].

ب- القصور

مثلت القصور الفاطمية قاعات اجتماع بالمفهوم الحديث حيث كان يعقد بها الكثير من الاجتماعات. وكان بعض الموظفين يجتمعون فيها ويقومون بكتابة نسخ من القرآن الكريم، كما يقوم البعض الأخر منهم بنسخ شيء من كتب الحديث والفقه والآداب والطب ويقومون بعد ذلك بمراجعة ما كتبوا ويضيفون إليه علامات التشكيل والتنقيط، وكان منهم الفقيه الحسين بن عبد الرحمن وكان يلقب بالراوي وهو صاحب (كتاب الأسماع)[3]. ويذكر الدكتور رمضان التليسي نقلاً عن القاضي النعمان كتاب المجالس والمسايرات عن دور قصور الخلفاء العبيديين في نشر الثقافة عموماً والثقافة الشيعية على وجه الخصوص فيقول: "لما فتح المعزلدين الله للمؤمنين باب رحمته، وأقبل عليهم بوجه فضله ونعمته، وأخرج إلى كتاباً من علم الناس وأمرني أن أقرأه عليهم في كل يوم جمعه في مجلس قصره المعمور بطول بقائه، فكثر ازدحام الناس وغص بهم المكان وخرج احتفالهم عن حد السماع فملأوا المجلس الذي أمر باجتماعهم فيه"[4].

---

[1] بشير رمضان التليسي: مرجع سابق، ص 390.

[2] المرجع نفسه.

[3] حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص 226 .

[4] بشير رمضان التليسي: مرجع سابق، ص 403.

لقد أسهم قصر الخليفة الفاطمي في تثقيف الدعاة وأتباع المذهب الشيعي، وأصبح مؤسسة لاغنى عنها لأتباع هذا المذهب، وكانوا أثناء عقد المجالس في القصور الفاطمية ينقسمون إلى مجموعات حيث كان للخاصة مجلس و للأولياء مجلس ومجلس للعموم وآخر للنساء[1].

وكانت هذه المجالس تختلف باختلاف الداعي، فعلى سبيل المثال كانت مجالس القاضي النعمان في تأويل فقه العبيديين والمؤيد في الدين يميل في تأويله إلى سلفية المذهب. أما المبتدئون في الدعوة فكانوا يحضرون المجالس المستنصرية. واختلفت مجالس قصور الخلفاء والأمراء الفاطميين في طبيعتها عن المجالس العلمية الأخرى، فظهرت فيها روح الانضباط والتنظيم ومستوى المحاضرين، فليس لمن يحضر هذه الاجتماعات أو المجالس أن يذكر شيأ إلا ما يسأل عنه أو يذكر أقوالاً أو أخباراً دون الاستئذان فيه. إن الخلفاء الفاطميين يرون أنفسهم حماة للعلم، ويرون أن قصورهم يجب أن تكون مركزاً للمعرفة والعلم والحضارة[2].

2- المكتبات

اهتم المسلمون حكومةً وشعباً بالكتب والمكتبات، وقد أسست قوائمها في مختلف العهود التاريخية الإسلامية، ويشهد التاريخ أن أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاث خزائن: أولها خزانة الأمويين بالأندلس، وثانيها خزانة العباسيين ببغداد، وثالثها خزانة الفاطميين بالقاهرة[3].

ويعد العصر الفاطمي من أشهر العصور الإسلامية التي اعتنت بنشر الثقافة الإسلامية والعربية وتأسيس المراكز التعليمية في مختلف أرجاء الدولة الفاطمية، كما أنشأوا مكتبات كثيرة تعد من المراكز الكبيرة التي تتجمع فيها خزائن الكتب الحجة. وهذه الكتب لا تتعلق بالمذهب الفاطمي فقط، بل تتعلق بالعلوم المتفرقة المتنوعة من الفلسفة والنجوم والهندسة والمنطق والرياضيات وغيرها، وهي كلها علوم كانت متوفرة في مكتبات الفاطميين[4].

---

[1] المقريزي: الخطط، ج/2، مصدر سابق، ص 226.

[2] بشير رمضان التليسي: مرجع سابق، ص ص 406، 407.

[3] محمد حسن الأعظمي: عبقرية الفاطميين، منشورات دار الحياة، بيروت، ط1، د.ت، ص 211.

[4] المرجع السابق، ص 212.

ولم تكن المكتبات أقل أهمية عن المساجد في نشر عقائد المذهب الإسماعيلي بين الناس، وقد بذل الخلفاء ووزراؤهم مجهودات عظيمة في زيادة الكتب التي تتناول شتى فروع العلم. كما حرص الفاطميون على جمع الكتب والحفاظ عليها، وخير مثال على ذلك تلك القافلة التي كان بها الإمام المهدي عند خروجه من مصر متوجهاً إلى المغرب فتعرضت للنهب عند مكان يعرف (بالطاحونة) بالقرب من طرابلس، فنهبوا كتباً للمهدي، فأسف المهدي على ذلك أسفاً كبيراً لضياع تلك الكتب[1].

وقد حرص الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله بن عبيد الله المهدي على استعادة تلك الكتب عندما خرج من برقة سنة (301هـ/912م) في وجهته الأولى إلى مصرحيث حارب في طريقة البربر في برقة، واستعاد منهم الكتب والدفاتر التي تم نهبها من المهدي، ووضعت في خزانة الكتب في رقادة ثم انتقلت بعد ذلك إلى المهدية بعد إنشائها ومنها إلى المنصورية [2]. وقد أفسح الفاطميون مجالاً واسعاً للكتب والمكتبات في المدة التي مكثوا فيها بإفريقية. ففي عهد الخليفة إسماعيل بن المنصور، ثالث خلفاء الفاطميين، وعند بنائه لقصره البديع بالمنصورة سنة (334هـ/945م)، نقل إليه من جملة ما نقل خزائن الكتب التي كانت بالمهدية. وكان هذا الخليفة الفاطمي شغوفاً بالعلم والأدب وكان مشهوراً بقوة الخطاب كما كان واسع الإطلاع ولا يدخر جهداً في البحث والتأليف ومجالسة ومحاورة العلماء [3]. ومما يدل على اهتمام الخليفة إسماعيل المنصور بكتب خزانته ومصنفات الدعوة الإسماعيلية بصفة خاصة، تلك الرسالة التي كتبها إلى مولاه ومحل ثقته الأستاذ جوذر حيث يقول فيها (أبعث إليك كتبي وكتب الأئمة آبائي الطاهرين وقد ميزتها فأقرها عندك مصونة من كل شئ، فقد وصل الماء إلى بعضها وغيرها من الذخائر شئ هو أنفس عندي منها فأمر محمد كاتبك ينسخ لك منها ثلاثة كتب فيها من العلوم والسير ما يسرك الله به) [4].

---

[1] ابن عذارى: مصدر سابق ج1/، ص 170.

[2] المصدر نفسه.

[3] حسن حسني عبدالوهاب: مرجع سابق، ص 333.

[4] المرجع السابق، ص 334.

وقد ساعد على عظم مكتبة الفاطميون، حصولهم على كتب نادرة كانت تحويها مكتبة دار الحكمة الأغلبية وخزانة الكتب (المعصومة) بتاهرت، ورغبة الخلفاء الفاطميين في اقتناء الكتب النادرة، فأصبحت خزانة الكتب الفاطمية تحتوي الكثير من الكتب ذات القيمة المعرفية العلمية العالية والتي جلبوها من بغداد وغيرها. وشجعوا كذلك على حركة البحث والتأليف، ونسخ الكتب ونقدها، وكتابة الذيول عليها، وقد تزامن ذلك مع إنشاء خزائن أخري للكتب في مختلف أرجاء العالم الإسلامي [1].

ومثلما كان المنصور الفاطمي على اهتمام كبير بالكتب والمكتبات، كان ابنه وخليفته المعزلدين الله مثل والده لا تقل عنايته واهتمامه بالكتب عنه، فكان هو الأخر محباً للعلم والكتب والتأليف، ويذكر حسن حسني عبدا لوهاب عن القاضي النعمان في كتابه أنه بلغ من تعلق المعز بمكتبة المنصورية أنه كان يعرف مواضع الكتب وما يحويه كل جزء منها وأضاف أيضاً: "إن المعز أمر يوماً خازن كتبه أن يناوله كتاباً، منها فلما أبطأ الخازن في إحضاره، قام المعز وأحضر الكتاب بنفسه. ولما وجده قرأه وقرأ غيره من الكتب وكان يهوى المطالعة فيصرف معظم وقته في القراءة وكان يقول "إني لا أجد من اللذة والراحة والمسرة في النظر في كتب الحكمة ما لو وجده أهل الدنيا لطرحوها لها، ولولا ما أوجب الله سبحانه علي من أمور الدنيا لأهلها وإقامة ظاهرها ومصالحهم فيها لرفقتها بالتلذذ بالحكمة والنظر في كتبها والله ما تلذذت شيئاً تلذذي بالعلم والحكمة"[2].

وحمل أبو جعفر مسلم بن عبدالله إلى المعزلدين الله المصحف الكبير الذي يذكر أنه كان ليحيى بن خالد برمك وكان قد اشتراه أبو جعفر مسلم بأربعمائة دينار فلما رآه المعز قال لمسلم: "أراك معجباً به وهو يستحق الإعجاب لكن نفاخرك نحن أيضاً"، فدعا بمصحف في نصفين ما رأى أحسن منها خطاً وإذهاباً وتجليداً.

---

[1] بشير رمضان التليسي: مرجع سابق، ص 408.

[2] حسن حسني عبدالوهاب: مرجع سابق، ص 335.

فقال المعز: "هذا خط المنصور [العباسي] وإذهابه وتجليده بيده"، فقال له مسلم: "فهل ثم مصحف بخط مولانا المعز لدين الله؟" فقال المعز: "نعم"، وأخرج له نصفين، فقال مسلم: "ما رأيت أصبح من هذا الخط، ولكنه أصبح من خطك"، ثم ضحك المعز وقال: أردت مداعبتك" [1].

وكان المعز مقبلاً على مختلف العلوم مثل التاريخ والجغرافيا والطب وغيره، وبذل الأموال الكثيرة لتشجيع هذه العلوم والإكثار من اقتناء الكتب، وقصده من أنحاء العالم العربي العلماء بمؤلفاتهم ونتائج أبحاثهم مثل محمد بن عمر اليماني من علماء صنعاء وفد من بلاده القاصية حاملاً تأليفاً بديعاً وضعه في (مضاهاة كليلة ودمنة)، وقدمه إليه بمدينة المنصورية سنة (350هـ)، فجازاه المعز عنه جزاءاً وافياً [2].

وتعتبر مكتبة المنصورية من المكاتب التي تضم عشرات الآلاف من المخطوطات، ولو قايسناها بما كان في الخزانة الفاطمية التي أنشأت بعدها في القاهرة والتي تحوي على مئات الآلاف، وقيل خمسمائة ألف كتاب، لوجدنا أنها تضاهيها في ضخامة الكتب الموجودة بها [3]، كما كانت تشمل أيضاً على آلات للرصد وأدوات للفلك وغيره.

وكان الخلفاء الفاطميون ذوي شغف بتشجيع عقيدة المذهب الشيعي، ففي سنة (395هـ/1005م) أسس الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله دار الحكمة، وألتحق بها عدداً من أساتذة العلوم النقلية كالتفسير، والفقه، والعلوم الطبيعية. كما كانت مكتبة دار العلم متصلة بمكتبة دار الحكمة، وكانت تقام فيها المناظرات العلمية وكان يحضرها الخليفة [4].

لقد ازدهرت العلوم الإسلامية خلال القرن الرابع الهجري، ولم يكن الفاطميون أقل من غيرهم في هذا السبيل، فقد عرفنا عن المنصور أنه كان واسع الإطلاع ولم تشغله مهمة الخلافة عن البحث، كما كان يحث ابنه المعز على أن

---

[1] حسن حسني عبدالوهاب: المرجع السابق، ص 335.

[2] المرجع السابق، ص 336.

[3] المرجع نفسه.

[4] حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص 428.

يتفرغ إلى الدرس وإلى تأليف الكتب، وكانت مكتبته سواء بالمنصورية أو القاهرة زاخرة بالكتب التي تحتوي على المعلومات المهمة [1].

ولم يكن الوزراء الفاطميون أقل حماسة من الخلفاء أوالحكام، فكانوا يحرصون كذلك على اقتناء الكتب، والحصول عليها. فقد كان الوزير يعقوب بن كلس يبحث على العلم، ويجتمع بداره العلماء، كما كان في داره مجموعة يقومون بنسخ القرآن الكريم، والعلوم الأخرى ككتب الحديث والفقه والأدب والطب، وكانوا أيضاً ينقطونها ويشكلونها ويقارنونها [2].

ثالثاً: أهم العلوم والمعارف في العصر الفاطمي

اهتم الفاطميون بمختلف العلوم وكان لهم دور في الرقي بالحركة العلمية داخل العالم الإسلامي ومن بين هذه العلوم ما يلي:

1- الطب والصيدلة

منذ أوائل القرن الثاني الهجري بدأ الاهتمام بالعلوم الطبية في إفريقية، في زمن الخلافة العباسية وخاصة في عهد أسرة(المهالبة)، وكان أول طبيب يظهر في إفريقية، الطبيب السرياني يوحنا بن ماسويه المسيحي النحلة الذي قدم إلى القيروان أثناء ولاية الأمير يزيد بن حاتم المهلبي حوالي عام (155هـ/722م)، وباشر عمله في خدمة الأمير العباسي ساهراً على راحته وراحة رجال دولته [3].

وكان يوحنا أشهر الأطباء الذين دخلوا إفريقية خلال تلك الفترة، وهذا لا يعني توقف مهنة الطب والتي كانت شائعة حتى قبيل خضوع إفريقية للخلافة العباسية وبعدها، وكان عدد من علماء الدين ورجال الجيش يتعاطون بعضاً من الطب المكتسب من التجربة والتقليد الموروث، وكان يسمى من يتقن هذه المهنة (فقيه البدن) أي طبيباً، وكان أبو الأسود موسى فقيهاً في البدن [4]. وأجزل الفاطميون العطاء للأطباء، وأغدقوا عليهم الأموال، وقلدوهم المناصب العليا، وأصبحت لهم

---

[1] محمد حسن الأعظمي: مرجع سابق، ص 212.

[2] المرجع السابق، ص ص 112، 113.

[3] دائرة المعارف الإسلامية، ج/25، مصدر سابق، ص 7762.

[4] بشير رمضان التليسي: مرجع سابق، ص 489.

منزلة رفيعة بين رجال الأطباء، وقد ساعد ذلك على تقدم دراسة الطب والذي أصبح يدرس نظرياً وعلمياً في البيمارستانات الشبيهة بكليات الطب في الوقت الحاضر، ويتخرج منها جماعة من أطباء الأمراض الباطنية والجراحية والكحالين الذين يعالجون أمراض العيون. وكان من مستلزمات الطبيب أن يكون ملماً بعلوم أخرى كالفلسفة واللغات الأجنبية مثل السريانية واليونانية بجانب إلمامه بمهنته الأصلية وهي الطب(1).

وكان أطباء البلد والمتطوعين من فقهاء البربر يتفقدون المرضى ويصفون ويحضرون لهم الدواء الذي يناسب مرضهم، ومن مشاهير الأطباء خلال العصر الفاطمي أبو سهل دونش ويدعي عند اليهود أدينم بن تميم، وولد بالقيروان أواخر القرن الثالث الهجري، ونشأ فيها وتعلم مهنة الطب على كبير أطباء وقته إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، وكان دونش يصغره بحوالي عشرين سنة وتخرج على يديه في الطب والفلسفة والحساب والنحو حتى أبدع في جميعها (2) ، كما أتقن أبو سهل اللغة العربية إتقاناً جيداً وبذ فيها إلى جانب إتقانه للغة العبرية، وكان كذلك فقيهاً في الشريعة الموسوية حتى عد من كبار أحبارها. وأتصل دونش بخدمة الأمراء العبيديين فخدم الخليفة الفاطمي المنصور وابنه المعزلدين الله قبل انتقاله إلى مصر وقدم للخليفة المنصور جانباً من كتبه التي ألفها في الطب والحساب والنحو ومن بين كتبه كتاب (التخليص) في الأدوية المفردة وهو الذي ينقل عنه ابن البيطار كتاب أخر البيان للأوزان والمكاييل المستعملة في المادة الطبيه في زمانه وكتاب في الحساب الهندسي، وفي الفلك وحركة الكواكب(3).

---

(1) حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص 501.

- مصطفى علي دويدار: "الطب المصري في العهد الفاطمي وأثره في الحضارة الأوروبية"، مجلة المؤرخ العربي، العدد الحادي عشر، القاهرة، د. ط، د.ت ، مج/1، ص437.

(2) حسن حسني عبدا لوهاب: مرجع سابق، ص 299.

(3) ويذكر المقريزي أن المنصور اعتل علة شديدة فنهاه طبيبه إسحاق الإسرائيلي عن ذلك، فلم يقبل، ودخل الحمام فإصابته الحرارة الغريزية ولازمه السهر، وأخذ يعالجه من المرض دون السهر، فأشتد ذلك على المنصور وقال لبعض خواصه: (أما في القيروان طبيب غير إسحاق ؟) فجاءوا إليه بطبيب شاب اسمه خالد ابن الجزار وشكي إليه من السهر فجمع له أشياء مخدرة وجعله في قنينة على النار وكلفه شمها فنام وخرج وهو مسرور بما فعله فجاء إسحاق الإسرائيلي فقيل له أنه نائم فقال إن كان صنع له شئ ينام منه فقد مات فدخلوا عليه فإذا هو ميت، وأرادوا قتل ابن الجزار الذي صنع له المنام فقال له إسحاق لا ذنب له فإنما دواه بما ذكره =

ومن أطباء العصر الفاطمي ابن العزاز موسى وهو طبيب إسرائيلي كان هو وآل بيته في خدمة الدولة الفاطمية ولما عرف عن الخلفاء الفاطميين من حسن معاملتهم لأهل الذمة والتسامح معهم واعتنائهم الكبير بالأطباء من أهل الذمة حتى كانوا أكثر من أطبائهم المسلمين [1].

وكان أبو موسى إبراهيم طبيباً للمنصور بالله ولابنه المعزلدين الله وكان مشهوراً بالمهارة في مهنه الطب وصناعة العلاج وتحضير الأدوية وطبائع المفردات وركب للمعز أدوية كثيرة منها (شراب التمر الهندي) وهو أول من ركبه ووضع شروطاً كثيرة لتحضيره كما حضر أيضاً شراب الأصول المفتح للسدود والمحلل لرياح الشراسيفية والأمغاص المصاحبة للطمث عند النساء وغيرها [2]، وقد ظل مصاحباً للخليفة المعز لدين الله ويلازمه عند الإقامة والسفر بين المهدية والمنصورية وكان المعز يثق فيه وتطبيبه ويعمل بما يصفه له من مستحضرات وأدوية وأصبح أبو موسى من المقربين إلى الخليفة (وذات مرة تأخر الأستاذ جوذر فترة كان حضور مائدة الأمير وعن التصرف فكتب إليه المعز بخطه(... وعندنا ترياق عمله موسى لمثل هذه العلة التي بك واختبرناه فرأيناه من العجائب، وكرهنا أن نهجم به عليك حتى يتبين لنا حقيقة علتك، فلما كان الآن ذكر لنا موسى أنه من أنفع شئ لك وإنا أعطيناك شيئاً منه فظهر نفعه بعثنا إليك منه في برنية معه فخذ منه وزن مثقال بماء أصول الأمزاج المطبوخ فيه حتى يستخرج قوته) فإذا عمل به ذلك أخذ من مائة نصف رطل ووزن أوقية من عقيد العنب ويجعل الله لك فيه الشفاء [3] وله العديد من المؤلفات مثل المعزي في فن الطبخ وذلك على نحو ما فعل الرازي إذ سمى كتابه (المنصوري) ومقالة أخرى عن السعال أجاب بها عن سؤال عرضه عليه احد الباحثين عن حقائق العلوم.

الأطباء غير أنه جهل أصل المرض وإنني كنت أعالجه والقصد تقوية الحرارة في حسمه و بها يكون النوم فلما عولج بما يطفئها مات. أنظر: المقريزي، مصدر سابق، ص 132، 133.

(1) مصطفى علي دويدار: مرجع سابق، مج /1، ص 447.

(2) حسن حسني عبدالوهاب: مرجع سابق، ص ص 301، 302

(3) المرجع سابق، ص 303.

و له أبناء احترفوا الطب أيضاً واشتهروا به وكانوا في خدمة العزيز أيضاً وكان عون الله بن موسى أكبر أولاده قد أعتنق الإسلام واستمر على الاشتغال بالطب مع والده وكانت وفاته في (363هـ/972م) [1]، كما اشتغل ابنه الأوسط إسحاق بن موسى في خدمة المعز وقد توفي بعد أخيه عون الله بيوم واحد وأغتم المعز لموته وذلك لمكانته عنده ولكفاءته ثم نصب أخوه الثالث إسماعيل بن موسى وأتخذه من جملة أطبائه الخصوصيين. وخدم من آل ابن موسى يعقوب بن إسحاق بن موسى وقد مارس الطب مع عمه إسماعيل بن موسى في خدمة المعز تحت إشراف جده موسى. وكما أشتهر أطباء آخرون خلال العصر الفاطمي مثل الطبيب الكحال أعين بن أعين وقد احترف الطب في مدينه القيروان وخاصة طب العيون وهي الكحالة، وكان ماهراً في علاج العيون فبرع في علاج الرمد المزمن وشفي على يديه الكثير من المرضى والمصابين منهم شيخ المالكية عبدا لله بن أبي يزيد، وكان له اتصال بالبلاط الفاطمي، ومن أشهر مؤلفات أعين بن أعين كتاب (أمراض العين ومداواتها) [2].

كان أطباء إفريقية خلال العصر الفاطمي ذوى خبرة بالمهنة فكانوا أطباء للبدن والكحالة [3]. وهذا يدل على أن فترة حكم الفاطميين قد شهدت نهضة علمية في مجالات عدة كان الطب منها.

وعرف أهل إفريقية مهنة الصيدلة وكانت تعرف ب (الاقرباذين) خلال القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي) وكان معظم الأطباء يجمعون بين الطب والصيدلة فكانوا يقومون بوصف الدواء وتحضيره للمرض. لقد كانوا يصنعون الدواء للمريض ويبيعونه له كما كان الحال مع الطبيب ابن الجزار الذي كان على باب داره سقيفة أقعد فيها غلاماً له يسمى (رشيق) أعد وحضر بين يديه مستحضرات ومعجونات وأشربة وأدوية فإذا رأي القوارير أمر بالجواز إلى الغلام وأخذ الأدوية منه نزاهة بنفسه يأخذ منه شيئا [4]، لقد خصص في داره مكاناً

---

[1] حسن حسني عبدالوهاب: المرجع السابق، ص 304.
[2] المرجع السابق، ص 305.
[3] بشير رمضان التليسي: مرجع سابق، ص ص 511، 512.
[4] المرجع السابق، ص 512.

لعرض الأدوية للمرضى وبذلك فرق بين (بيت العيادة) والصيدلية أو (بيت الصرف) وكان يعد الدواء بنفسه ويقوم بالإشراف المباشر على تحضيره وتركيبه وكان رشيق الصيدلي مساعداً له يقوم بصرف الأدوية للمرضى حسب الوصفات التي يحررها له ابن الجزار، وكان من أشهر كتبهاه كتاب (البغية) وكتاب (إبدال العقاقير) [1].

2 – الرياضيات:

كان أبو محمد بن الحسن بن الهيثم من أشهر الرياضيين، وقد عاصر الخلافة الفاطمية وكان بدون شك غزير العلم والمعرفة، واسع الإطلاع والبحث، كما تميز بكثرة التصنيف وكان من كتبه كتاب (السماع الطبي)، ويتناول ستة أمور هي: المبادئ الكونية والطبيعية والمكان والخلاء ما لانهاية له والزمان والحركة والمحرك الأول وكتاب الكون والفساد، وكتاب الآثار العلوية وهي التي تعرض في الجو كالسحاب والضباب والأمطار والرعد والرياح والبرق والصواعق، وكتاب آخر عن النبات والحيوان، وكتاب السماء والعالم، وكتاب النفس، وكتاب فيما الطبيعة، ويبين أن الإله واحد وأنه حكيم لا يجهل وقادر، ثم تفرغ بعد ذلك لدراسة علم الفلسفة وهي ثلاثة علوم: رياضية وطبيعية وإلهية[2].

3 ـ الفلك والنجوم

وكان لعلم النجوم أثر كبير على الخلفاء الفاطميين، فكان البعض من الأمراء والخلفاء يعتمدون على هذا العلم في توجيه سياستهم وتغييرها، ولا يقدمون على شئ إلا بعد استشارة المنجمين. وقد اختار ابن حوشب لرئاسة الدعوة الإسماعيلية في بلاد اليمن لأنهم عرفوا عن طريق النجوم أنه سيكون له شان كبير في نشر هذه الدعوة [3] .وبهذه المناسبة قال الشاعر الفهري قصيدة يقول فيها:

فعند الست والتسعين قطع القول في العذر

---

[1] بشير رمضان التليسي : مرجع السابق، ص 513.

[2] المرجع السابق، ص 513، 514.

[3] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية ، ص 507.

مما يدل على أن دولة الإسماعيلية ستقوم في سنة ست وتسعين ومائتين [1].

4 ـ الهندسة

وجدت الهندسة والفن في البناء والتشييد في إفريقية، وقد واصل الفاطميون النهضة العمرانية والهندسية في إفريقية، وقد سبقتهم الدولة الأغلبية في البناء والهندسة ألا أنهم لم يغيروا من طريقة البناء الأغلبية، بل ساروا على نفس الطريق وهذا يدل على تطور الفن الأغلبي الذي كان مستمداً من فنون المشرق الإسلامية ، ألا أنه بالرغم من ذلك فإن لكل هندسة خصائصها التي تميزها عن غيرها [2].

وتميزت الهندسة الفاطمية مثل غيرها بمميزات وخصائص متميزة؛ مثل تراجع الجدران في الاتجاهين الأمامي والخلفي، وهو مقتبس من الهندسة المعمارية البغدادية إلى جانب أبراز الأروقة، وتحت تأثير نفس العوامل زينت الواجهات بمحاريب صغيرة تشبه الكاتدرائية وترتفع من القاعدة وتنتهي بتقوس. كما تميزت الهندسة الفاطمية بتركيب واجهات عريضة تتوزع عناصرها في الارتفاع والعرض بتناسق في الجهتين حول محور وطريقة هندسية الأسقف الشاسعة هي القبة ذات الزاوية البارزة المتكونة من تقاطع في شكل نصف أسطواني، ولم يكن هذا الطراز مستخدماً خلال القرن (الثالث الهجري/التاسع الميلادي) إلا في المواجل. أما الإيوان وهو من أصل فارسي ويتمثل في قاعة تفتح على الخارج بواسطة قوس كبير بلا واجهه وكان هذا الطراز مستعملاً مع طراز مقابل القائمة، أما الغرف فكانت مزينة من الداخل بمحاريب صغيرة ذات قعر مسطح مع تراجع الجدران أحياناً، وكانت قاعات القصور موزعة على خمسة صحون تشبه قاعات قصر الأمويين في دمشق، كما زينت بالحدائق والبساتين والبرك والأحواض. كما قام الفاطميون ببناء قصرين متقابلين يفصل بينهما ساحة مثل قصر عبيدالله المهدي وابنه القاسم في مدينة المهدية [3].

---

[1] حسن ابرهيم حسن : المرجع السابق ص507.

[2] بشير رمضان التليسي: مرجع سابق، ص 520.

[3] المرجع السابق، ص ص 520، 521.

5 علم اللغة

هو أول العلوم الأدبية وأساسها، وبعد الفتح العربي لإفريقية وغيرها من البلاد صارت اللغة العربية اللغة الرسمية إلى جانب اللهجات المحلية المستخدمة في التخاطب، ولم تكن هذه اللهجات مدونة. وقد نبغ في اللغة والنحو أبو جعفر أحمد بن محمد كما نبغ في علوم أخري كالتفسير والنحو والآداب والشعر، ومن كتبه كتاب (إعراب القرآن) وكتاب (الناسخ والمنسوخ) وكتاب (الكافي في النحو) وكتاب (آداب الكتاب) وكتاب في (الاشتقاق وتفسير أبيات سيبويه) وكتاب (طبقات الشعراء)[1] . وقد عاصر القزاز النحوي الدولة العبيدية وقد طلب منه المعز لدين الله عن طريق عامله ويدعي (عسلوج بن الحسن الصنهاجي) أن يؤلف له كتاباً تجتمع فيه جميع الحروف التي ذكر النحويون أن الكلام كله اسم وفعل وحرف جاء كله على حروف المعجم، فسارع القزار إلى ذلك وقام بجمع المتفرق من الكتب النفسية والقيمة، فقام بكتابة كتاب بلغت جملته ألف ورقة، ثم رفع صوراً منه إلي المعز فأعجبه وقال له: "أذكر ما يجئ من الكلمات مشاكلة الصور في الأمر والنهي والصفة والحجر والاستفهام التي يدل على المراد بها إعرابها على ما تقدمها وتلاها من القول[2]، كما أشتهر بالنحو زمن الفاطميين أبو طاهر النحوي وغيره من العلماء الذين نجحوا في علم النحو.

6 – الأدب

أرتفع داخل البلاط الفاطمي شأن الشعراء من أمثال ابن هاني الذي كان شديد التعاطف مع الشيعة والمذهب الإسماعيلي وابن الأيادي[3] . وقد أشتهر بعض الأدباء بالمؤلفات التاريخية والفقهية الباطنية[4].

---

[1] حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص 437.

[2] بشير رمضان التليسي: مرجع سابق، ص 274.

[3] دائرة المعارف الإسلامية، ج/25، مصدر سابق، ص 7762.

[4] المصدر السابق ، ص 7763.

تهافت الشعراء ورجال الأدب في مدح الخلفاء الفاطميين لما كان لهؤلاء الخلفاء من بذخ من أموال وعطايا وجوائز وأرزاق خصصت لهم، ورغب الكثير من أفراد الشعب في الحصول على هذه الجوائز والهبات، كما دفعت الرغبة الشعراء إلى ذلك فأتصل الكثير منهم بالبلاط الفاطمي [1].

ويعتبر سعدون الورجيني من أشهرهم[2] وقد أنشد عندما بويع عبيدالله المهدي بالخلافة في ربيع الثاني سنة (297هـ/ يناير 910 م):

قف بالمطي على مرابع دور   لبست معالمهن ثوب دثور

لعبت بها حتى محت آثارها   ريحان ريح صبا وريح دبور

وفي أبيات أخرى يقول:

أعن ابن فاطمة امرأ   بنت النبي وعترة التطهير ؟

كفة عن التنبؤ زائداً من أهل   بيت الوحي خير مزور

هذا أمير المؤمنين تضعضعت   لقدومه أركان كل أمير

هذا الأمام الفاطمي ومن به   أمنت مضاربها من المحذور

والشرق ليس بشامة وعراقة   من مهرب من جيشه المنصور

وفي هذه الأبيات نرى الشاعر يتبنى شعارات الدولة الفاطمية بعد أن كان مواليًا للأغالبة والسنة ثم يمدح الخليفة أبا عبيدالله المهدي قائلاً:

يا من تخير من خير دعاته   أزجاهم للعسر والميسور

حتى استمال إليه كل قبيلة   ورمى إليه قياد كل عثور

أشبهت موسى وهو يمينك   التي تلقى فتلقف كل أفك سحور [3]

والى جانب مدح الخلفاء الفاطميين وجد شعراء هجاء لهم، فهذا شاعر أخر يسمى أبوعثمان حميد بن محمد الحداد، وقد أستنكر هذا الشاعر تغير الطقوس الدينية بعد قيام الدولة الفاطمية بإفريقية فيقول:

مازلت من حادثات الدهر متعجباً حتى انقض بمجيء بعد الثلاث مائة

لا بارك الله في عام وفي سنة   كانت لشر زمان كان مختبئاً

---

(1) حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص 439.

(2) نسبة إلى المدينة ورجلان بالجزائر ورقلة الحالية ويخبرنا الداعي إدريس أنه كان متعاطفاً مع الأمراء الأغالبة ويمدحهم ثم أسر في بلاد الروم، وأفتدى فعاد إلى إفريقية وهو سني في الأصل بل مالكي. أنظر: محمد اليعلاوي مرجع سابق، ص 38.

(3) محمد اليعلاوي: المرجع السابق، ص 37.

وقد هنأ شاعر مجهول المهدي بسكن المهدية سنة (308)

ليهنئك أيها الملك الهمام قدوم فيه للدهر ابتسام

حططت الرحال قرب بلد كريم رعته لك الملائكة الكرام

ويهنئ الشاعر الخليفة الفاطمي في الأبيات السابقة ابتهاجا به وببناء مدينة المهدية [1]. ولم يقتصر الشعراء على عامة الشعب بل كان الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله شاعراً وقال وهو مقيم بأرض مصر:

أيا أهل شرق الله زالت حلومكم أم اختدعت من قلة الفهم والأدب

فويحاً لكم خالفتم الحق والهدي ومن حاد عن أم الهدي لم يصب

وكان الغرض من هذه القصيدة محاولة الخليفة الفاطمي اقناع أهل مصر بفساد السياسة العباسية وصلاح الأئمة الفاطميين حماة الدين، وفيها أيضاً تشريف لأهل المغرب- الكتاميين- وإشادة بولائهم للدولة [2] . وكان أشهر الشعراء خلال خلافة القائم، خليل ابن إسحاق وعلي الأيادي التونسي وأحمد بن أفلح وغيرهم.

ولما تولى المنصور الخلافة (334-341 هـ/ 946-954م) كان من أشهر شعراء بلاطه الأيروطي (محمد بن الحارث بن سعيد) وقد مدح المنصور بعد وقعة القيروان قائلاً:

سل الغرب كم أبقى به من وقائع حقيق لها بالشرف أن تتوقعا

ولم أر كالمنصور بالله نافراً لدين ولا أحمى للملك وامنعا[3]

واشتهر شعراء آخرون مثل جعفر بن منصور اليمني وعبد الله بن إصبع وأبو محمد عبدالرحمن القيقي ومحمد المنيب ومحمد بن ناسك والمروزي وأغلبهم كانوا مناصرين للخلافة الفاطمية [4].

7- التفسير

خطا المسلمون كغيرهم من الأمم خطوات ثابتة نحو الرقي فأخذوا بالعلوم على أنواعها، وقد ركزوا على العلوم التي تتصل بالقرآن الكريم وقد أطلق المسلمون على هذه العلوم العلوم الشرعية أو النقلية وعلى العلوم التي أخذوها عن

---

(1) محمد اليعلاوي: المرجع السابق، ص 73.

(2) المرجع نفسه.

(3) المرجع السابق، ص 186.

(4) المرجع السابق، ص 148

غيرهم من الأمم أسم العلوم العقلية أو الحكمة وتسمى أحياناً بالعلوم القديمة، وتشمل هذه العلوم، علم التفسير وعلم الهندسة، والنحو والطب والفلك والرياضيات والجغرافيا والتاريخ [1].

وكان المسلمون في أوائل عهدهم لا يرغبون في أن تسود الفلسفة أو يفتح الباب أمام أصحابها وبالأخص أتباع المذهب المالكي السني، أما أتباع المذهب الشيعي فلم تكن للفلسفة في أول عهدهم مكانة كبيرة وتاريخها قصير وفي نطاق ضيق محصور ومحدد. ولم يشتهر بالفلسفة في المشرق من السنيين إلا الكندي. وكان أغلب الذين اشتهروا بها فيما بعد وخلال (القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) من الشيعة مثل أبي نصر الفارابي (259-339هـ/869-950 م) وابن الهيثم (354- 430هـ/965-1038م) وابن مسكويه (330-421هـ/941-1024م) [2].

إن اهتمام الشيعة بالفلسفة يرجع لسببين: أولها مذهبهم العقائدي الذي يعتمد على التأويل، كما يعتمد التفرقة بين الظاهر والباطن والشريعة والحقيقة، أما السبب الآخر فيعود إلى نزعتهم السياسية التي استمدت من هذه النظريات الفلسفية عناصر دعائية لبناء المجتمع؛ كالعدالة والأخوة والمساواة الخ من الشعارات التي تلهب المشاعر وتحرك الجماهير وتتحول مؤيدة لها [3].

وكان من أشهر فلاسفة العصر الفاطمي أخوان الصفاء وكانت لها نزعة شيعية متطرفة، وهم جماعة سرية من طبقات متعاونة وقد أخذوا كثيراً من مبادئ الفلسفة الصحيحة [4].

8- علم الجغرافيا

أتسع نطاق التجارة في العصر الفاطمي، وكان لذلك أثره الكبير في تمهيد السبيل وتوفير الوسائل السهلة من أجل تسهيل السفر والانتقال من بلد لآخر، وظهر الكثير من المستكشفين والرحالة الذين قاموا برحلات مهمة ووضعوا لها

---

[1] حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص 405

[2] بشير رمضان التليسي: مرجع سابق، ص 465.

[3] المرجع نفسه.

[4] حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص ص 405، 406.

وصفاً في الكتب فكتبوا ووصفوا ما شاهدوه في البلدان التي سافروا إليها، فوصفوها وصفاً دقيقاً فخلفوا لنا بذلك ثروة كبيرة كانت خلاصة مشاهداتهم وتجاربهم التي اكتسبوها في أسفارهم في تلك الأقاليم والبلدان [1].

أما عن جغرافي العصر الفاطمي فكان أشهرهم أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف باليعقوبي المتوفى سنة (282هـ/895م) صاحب كتاب البلدان. والى جانب اليعقوبى أشتهر المسعودي المتوفى سنة (346هـ/956م). وكان أبو الحسن المسعودي من كبار الرحالة المسلمين، وزار كثيراً من أنحاء العالم. ومنهم صاحب كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) شمس الدين أبو عبدالله محمد المعروف بالمقدسي المتوفى سنة (387هـ/997م) وكتابه ذو قيمة من الناحيتين التاريخية والجغرافية [2].

كما ألفت مصادر جغرافية عاش مؤلفوها في الأيام الأخيرة من العهد الفاطمي مثل كتاب (سفر نامة) لناصر خسرو المتوفى سنة (481هـ/ 1008م). وقد كان ناصر خسرو إسماعيليا يناصر المذهب الشيعي وكذلك أبو عبد الله البكري المتوفى سنة (478هـ/1094م) وكتابه (المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب) [3].

9- التاريخ

أما علم التاريخ فهو علم عربي تطور تطوراً كبيراً، وكان هذا التطور ذاتياً دون أي تأثيرات أخري. وقد عرف العرب علم التاريخ قبل الإسلام فتحدثوا عن قبائلهم ومعاركهم وسموها بأيام العرب. ومن أشهر المؤرخين في العصر الفاطمي محمد بن خالد ابن الجزار القيرواني والقاضي النعمان صاحب كتاب (افتتاح الدعوة) وكتاب (المجالس والمسايرات) ومحمد بن الحارث الخشني وكتابه (طبقات علماء إفريقية) وإبراهيم بن القاسم بن الرقيق القيرواني وكتاب (تاريخ إفريقية والمغرب)[4].

---

[1] حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص 520.

[2] المرجع السابق، ص 521.

[3] المرجع نفسه.

[4] بشير رمضان التليسي: مرجع سابق، ص ص 478، 485.

المبحث الثاني

المنشآت الحضارية في إفريقية

قامت الدولة الفاطمية في إفريقية ، وقد نادت منذ قيامها برفع راية الجهاد في سبيل الله، وإقرار الأمن، ورفع المظالم، وأعمار المساجد وتزيينها، وتأمين طريق الحج وابتكرت إضافة إلى ذلك أعياد مذهبية مثل المولد النبوي، ومولد فاطمة وعلي، وعيد الغدير، ويوم عاشوراء، وذكري استشهاد الحسين والذي تبلور حوله الفكر الشيعي في أنهم أحق من غيرهم بإمامة المسلمين.وكان لكل ذلك آثاره على الفن الفاطمي، حيث أصبح الالتزام بتعاليم الدين والمذهب نصاً وروحاً، فطبعه بطابع ديني مقدس. ولم يقف الفن الفاطمي على ما وجدوه قبلهم من فنون، بل ابتكروا وأضافوا وكما يظهر واضحاً في العمارة والزخرفة المدنية الواضح عليها مباهج الحياة من خلال الصور والزخارف على القصور والمباني العامة كالمكتبات والحمامات، وما تحويه من الأثاث. وكانت زخارفها تمثل موضوعات الحياة اليومية، مثل مجالس الطرب والموسيقى والتي يركز فيها على الوحدات الحيوانية والشخصيات الآدمية [1]، فأصبح الاتجاه الايقونوغرافي (الصوري) هو السمة الغالبة على الفن الفاطمي.

كما أنهم تميزوا بالصرامة والجدية في الفن فيما يتعلق بأضرحة آل البيت والتي تعتبر من مبتكرات العمارة الفاطمية. وتمثلت سمات الفن الفاطمي في عمارة الأضرحة أو ترب الأئمة مما يدل على الطابع الديني، وتكريس التشيع والمذهب الإسماعيلي، إلى جانب الميل نحو الاتجاه التصويري في الزخرفة، كما

---

[1] وقد وصف لنا زكي محمد حسن نقلا عن ناصر خسرو مدينة القاهرة وصفاً شيقاً حيث زارها في ذلك الوقت بين سنتي (439-441هـ/1047-1049م)، وكانت قد ثبتت عمارتها وأصبح فيها مالا يقل عن عشرين ألف دكان كلها ملك للسلطان، وكثير منها يؤجر بعشرة دنانير في الشهر، وليس فيها إلا قليل تبلغ أجرته في الشهر دينارين وكان فيها من الحانات والحمامات مالا يمكن حصره وكانت كلها ملك للسلطان). وكان قصر المعز قد بني وسط القاهرة وبينه وبين الأبنية المحيطة به فضاء يفصله عنها، وكان يحرسه في الليل خمسمائة فارس من الفرسان وخمسمائة أخر كان من الرجال، وكانت أسواره عالية وكان في القصر ألوف الخدم والنساء والجواري، وله عشر بوابات فوق الأرض وباب يقود إلى ممر تحت الأرض يعبره الخليفة راكباً ليصل إلى قصره الآخر. وكان كل كبار الموظفين في قصور الخليفة من الروم. أنظر: زكي محمد حسن: مرجع سابق، ص ص 10، 12.

يعبر عن التسامح في مسالة تحريم الصور أو كراهيتها [1]. وهكذا فإن للفاطميين إنجازاتهم الخاصة في توجهاتهم في كل مظاهر الإسلام الحضارية والثقافية.

أقام عبيدالله المهدي أول الخلفاء الفاطميين بإفريقية في مدينة رقادة ناحية القيروان، واعتبارا من ربيع الثاني (297هـ/ 910م) سكن في قصور الأغالبة السابقين، إلا أنه لم يستطع العيش باطمئنان، حيث تعرض لمحاولة قتل من الأطراف المعارضة لمذهب التشيع، فقرر في سنة (303هـ /915م) وضع الأساس لرباط فاطمي حصين وهى مدينة المهدية عاصمة بحرية جديدة [2]) .

1 – بناء مدينة المهدية

خرج المهدي إلى تونس يرتاد بنفسه موضعاً حصيناً يعتصم به إذا خرج عليه أحد، ووفق إلى موضع المهدية وهي بعيدة عن القيروان على الساحل الشرقي في منطقة الربط البحرية مابين سوسة وصفاقس، وهي متصلة بالبحر ككف متصلة بزند ، وتأملها فوجد فيها راهباً في مغارة فقال له: "بما يعرف هذا الموضع؟" فقال له: "هذا يسمى جزيرة الخلفاء"، فأعجبه هذا الاسم.

تقع مدينة المهدية على بعد ستين ميلاً جنوبي القيروان، والبحر يحيط بها من ثلاث جهات، ويدخل إليها من الجانب الغربي، وشيدت مباني المهدية بالصخر، وأتخذ المهدي لبنائها بنائين مهرة، كما أستخدم في بنائها الحديد. وكان لهذه المدينة بابان من الحديد بدلاً من الخشب، وزنة كل باب منها ألف قنطار، وطوله ثلاثون شبراً، ووزن كل مسمار من المسامير التي استخدمت في تركيبه ستة أرطال، ونقش على هذين البابين صور لبعض الحيوانات [3].

ويعتبر باب المصلي باباً يؤدي إلى القيروان على الطريق العام وهو الباب الذي هدده الثائر الزناتي، كما يؤدى البابان إلى مدخل المدينة الضخم والذي يعرف حالياً باسم (السقيفة الكحلاء). و قد أحيطت المدينة بالأسوار العالية ذات الأبراج

---

[1] سعد زغلول: العمارة والفنون في الإسلام، دار المعارف، الإسكندرية، د. ط، د. ت، ص ص 264، 265

[2] المقريزي: إتعاظ الحنفاء، مصدر سابق، ص 57.

[3] المصدر نفسه.

القوية والعالية[1]. لقد آثر الخليفة عبد الله المهدي بناء هذه المدينة على ساحل البحر بسبب الأحوال السياسية في إفريقية، ولإدراكه أن مدينة رقادة بموقعها في وسط سهل فيسح مع قيام الثورات لا تصلح لأن تكون حاضرة وحصناً في المغرب، وقد استغرق بناؤها خمس سنوات[2] فرغ منه في عام (305هـ/917م)، أعجب الناس بها وببنائها وحصانتها، فقال المهدي (هذه بنيتها لتعتصم بها الفواطم ساعة من نهار).

أما عن أهم المعالم بهذه المدينة فكان المسجد الجامع، ويقع في وسطها، ويقابله دار الإمارة أي قصر الخليفة المهدي وما يلحق به من دواوين وإدارات حكومية، ويصف لنا البكري المسجد الجامع والجامع سبع بلاطات متقن البناء حسنة.

وقد جاء تخطيط المسجد الجامع على مساحة مستطيلة تمتد رأسياً من الشمال إلى الجنوب، قسمها المعمار إلى صحن مستطيل يمتد أفقياً من الشرق إلى الغرب، وثلاثة أروقة في الجهات الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية والجنوبية الغربية، حيث خلا المسجد في الوقت الحالي من الظلة الشمالية الشرقية وتعد ظلة القبلة أكبر هذه الظلات وأعمقها كما يشمل المسجد على واجهة عمومية من الجهة الشمالية الغربية تشتمل بدورها على ثلاثة مداخل؛ مدخل بارز ومدخلين على جانبيه، وعلى مئذنتين أحدهما في حالة جيدة وهى التي بالزاوية الشمالية الغربية، والأخرى لا تزال بعض آثارها، وهى التي بالزاوية الشمالية الشرقية بين الأجزاء المعمارية التي بنيت في هذا العصر الفاطمي. أما فيما يتعلق بالمدخل البارز فقد جاء من تخطيط مستطيل 98.2 X 55.8م ويرتفع بمقدار 70.8م، وكان يشرف على الطريق السالك من خلال عقد حدودي دائري، ويغطي ظهر المدخل قبو

(1) لسعد زغلول: العمارة والفنون في الإسلام، مرجع سابق، ص 367.

(2) المقريزي: مصدر سابق، ص ص 102، 103.

- عبداش كامل موسى عبده: الفاطميون وآثارهم المعمارية في إفريقية ومصر واليمن، دار الآفاق العربية، د. ط1، د. ت، ص ص 38، 39.

برميلي، ويعد هذا المدخل من أهم السمات المعمارية التي تميز جامع المهدية الذي يعد الأول من نوعه في العمارة الإسلامية[1].

وهكذا كان بناء المسجد الجامع في أول عاصمة فاطمية بإفريقية كمدينة ملكية ورباط بحري (أي ميناء حربي)[2]. ولم تلبث هذه المدينة أن صارت مرفأً هاماً وسوقاً رائجاً نافقة للسلع التي تحملها السفن الإسكندرية ومن الشام وصقلية والأندلس من مرسى المهدية. ويصفه البكري بقوله: (منقور في حجر صلد يسع ثلاثين مركباً، وعلى طرفي المرسى برجان بينهما سلسلة من حديد، فإذا أريد إدخال سفينة فيه أرسل حراس البرجين أحد طرفي السلسلة حتى تدخل السفينة ثم مدوها كما كانت بعد ذلك لئلا يطرقها مراكب الروم)[3]. كان للفاطميين في عاصمتهم الأولى المهدية قصور[4].

كذلك من ضمن أهم معالم المهدية، قصر عبيد الله المهدي و قصر ولي العهد القائم، وقد بني القصران وحولهما أقيمت مساكن الجند و الحاشية والأعوان الذين أصبحوا سوراً بشرياً ثانياً يحمى نواة المدينة الملكية من خطر قد يتسلل من السور الجداري المنيع[5].

وأمدنا البكري بوصف لبعض قصورها بقوله: "وقصر عبيد الله كبير سري المباني بابه غربي، وقصر ابنه القائم بإزائه بابه شرقي، بينهما رحبة فسيحة، ودار الصناعة بشرقي قصر عبيد الله"[6]. لقد بنى الخليفة المهدي قصره مقابل قصر ابنه القائم وتفصل بينهما رحبة واسعة أوجدها المعمار بين القصرين، وقد وجد هذا التخطيط كذلك في مصر حيث قام الخليفة الفاطمي المعز بالله ببناء قصره مقابل قصر ابنته ست الملك في مقابل القصر الشرقي الكبير الذي شيده

---

(1) عبدالله كامل موسى عبده : المرجع سابق، ص 40.

(2) سعد زغلول: العمارة والفنون في الإسلام، مرجع سابق، ص 367.

(3) البكري: مصدر سابق، ص 31.

(4) حسن زكي: مرجع سابق، ص 8.

(5) سعد زغلول: العمارة والفنون في دولة الإسلام، مرجع سابق، ص 367.

(6) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ص 31، 32.

- عبدالله كامل: مرجع سابق، ص ص 41، 42.

جوهر الصقلي للخليفة الفاطمي المعز لدين الله، وعرف هذا المكان في مصر ب (بين القصرين).

في الجهة الجنوبية من المسجد الجامع شرقي قصر عبيد الله بنيت دار للصناعة[1]، وكانت لصناعة السفن، وهي رباط حقيقي جمع مابين الحصانة والسعة وتسع لأكثر من مائة مركب، و بها قبوان كبيران طويلان لآلات المراكب وعدتها. وكانت هذه المراكب حربية ومنها نوع الشيني، وكان لها مدخل يفتح ويغلق مما يدل على أنها في جوف الجبل في جو طبيعي لا ينالها شتاء ولا مطر، ويصلح لإيواء السفن والمحافظة عليها من العوامل الطبيعية، وكان يأمر الصناع، وأمر أن ينقر دار صناعة في الجبل تسع مائة شين وعليها باب مغلق، ونقر في أرضها أهراء للطعام ، إضافة إلى خزانات للمياه بنيت لتزود المدينة بالمياه إذا تعرضت لحصار[2].

لقد فرغ المهدي من بناء حاضرته الجديدة في سنة (305هـ/917م) وانتقل إليها في شهر شوال سنة (308هـ/920م) وقال: "اليوم أمنت على الفاطميات"[3].

وأقام بها وعمر الدكاكين، ورتب أصحاب الحرف والمهن المختلفة بأن جعل لكل صاحب حرفة سوقاً خاصاً به، ونقل إليها أصحاب الحرف والصناعات المختلفة أموالهم ونشاطهم التجاري[4].

الأســـواق:

أقيمت الأسواق على الناحية الأخرى من المسجد الجامع وكانت قد نظمت حيث تم جمع الدكاكين المتخصصة في سلعه معينة أو مهنة في سوق خاص بها تحت أشراف نقابة أصحاب هذه الحرف[5] في مدينة زويلة التي خصصت لهذا الغرض، ولضمان أمن وسلامة المدينة الملكية منع العامة من أهل من تلك الأسواق من بها. وقد بنيت بجوار مدينة المهدية وجعل بين المدينتين ميداناً واسعاً

---

[1] ويذكر المقريزي أن دار الصناعة كانت من عجائب الدنيا للإبداع والإتقان في بنائها. اتعاظ الحنفاء ، ص 328.

[2] المقريزي : مصدر سابق، ص 102 .

- سعد زغلول: العمارة والفنون في دولة الإسلام، مرجع سابق، ص 368.

[3] المقريزي: إتعاظ الحنفاء، مصدر سابق، ص 103.

[4] سعد زغلول: العمارة والفنون في دولة الإسلام، مرجع سابق، ص 368.

[5] المرجع نفسه.

وأحاطها بسور وأبواب وحرس، وقد تحدث التجاني عن ربض زويلة حيث ذكر أنها شيدت لعامة الناس ويقول: "وابتنى لعامة الناس المدينة الأخرى المسماة بزويلة، وهي إحدى المدينتين وبينهما قدر غلوة سهم، وجعل الأسواق والفنادق فيها، وأقام بها خنادق متسعة تجتمع فيها مياه الأمطار، وكانت ربضاً لمدينة المهدية"[1]. ويتضح من ذلك أن مدينة المهدية كانت مدينة وقلعة خاصة بالملك وحاشيته، بينما شيدت زويلة كمدينة للعامة، وكان سبب تسميتها بزويلة نسبة لإحدى قبائل البربر.

ظلت المهدية عامرة وآهلة بالمساكن، وراجت تجارتها، وذاعت شهرتها وحصانتها، وزادت بها الدور والقصور، كما تميزت بنظافتها ونظافة دورها المختلفة من حمامات وفنادق وغيرها من المظاهر الحضارية التي سادت العصر الفاطمي من تشييد وعمران وغير ذلك.

وقد دلت التقسيمات الأثرية في الوقت الحاضر على أن أسوار المهدية الرئيسية كانت تفصل المدينة البحرية عن البر، ويبلغ طولها مائة وخمسة وسبعين متراً ويبلغ ارتفاعها حوالي اثني عشر متراً[2]، ويبلغ سمكها حوالي عشرة أمتار، وكان على طرفي السور برجان مستديران على قاعدة متعددة الأضلاع، أما الأسوار البحرية المحيطة بالمدينة فكانت أقل حصانة، ولعل السبب في ذلك اطمئنانهم بالبحر، ويبلغ سمكها من بين 1.5 متراً و 2.75 متراً مما يدل على أن المظاهر العسكرية والتحوطات الأمنية كانت موجهة نحو الفتن الداخلية المتوقعة من قبل البربر، ولم تكن موجهة بنفس القدر نحو العدو البحري الخارجي[3]. أما فيما يخص فن الزخرفة، فقد زخرفت أبواب المهدية الحديدية الضخمة بصور حيوانات، وأما عن جدران قصر ولي العهد القائم فقد دلت الحفائر الحديثة أنها كانت مغشاة بفسيفساء وبزخارف نباتية وباقات زهور وأشكال هندسية[4].

---

(1) التجاني: رحلة التجاني، ص 324.

(2) ويذكر التجاني أن أول ما بني في مدينة المهدية سورها الغربي الذي فيه أبوابها، وأمر أن يعمل بابان من الحديد للمدينة فعمل المفتاح مصمماً ثم أنبت فيها المسامير. ينظر: التجاني، مصدر سابق، ص 329.

- محمد عبد الله كامل: مرجع سابق، ص 41.

(3) سعد زغلول: العمارة والفنون في دولة الإسلام، مرجع سابق، ص ص 368، 369.

(4) المرجع نفسه.

2 – بناء مدينة المنصورية:

بقيت مدينة المهدية حاضرة للخلافة الفاطمية إلا أن ذلك لم يدم إلا حوالي ثلاثين عاماً وذلك لخروج أبو زيد بن كداد[1] على الخليفة القائم، وتزايدت شوكته، وكثر أتباعه. ولما ولي ابنه المنصور الخلافة الفاطمية، انتصر عليه وتمكن من القضاء عليه، ويذكر التجاني: "إنه بادر بعد توليه الخلافة (334-341هـ/945-952م) بإنفاذ جيش من المهدية في طلبه [2] إلى أن أخذه في شهر المحرم من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة هجري". ولما تم للمنصور أمره ولم يبق له من ينازعه، أراد الانتقال من المهدية إلى صبرة ضاحية القيروان الغربية وملاصقة لها، وكان انتقاله إليها أول سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة هجري، وبنى سورها وقصره بها وسماها بالمنصورية، وهي ثاني المدن الملكية الفاطمية في إفريقية بعد المهدية. ويرجع سبب اختيار موضعها إلي أنه لما خرج المنصور في طلب الزناتي عسكر بها وتمكن من تحقيق الانتصار عليه فاختار هذا الموقع، وقد ازدهرت بعد انتقال المنصور إليها [3]. وقد قدم البكري وصفاً لها: "ومدينة صبرة متصلة بالقيروان بناها إسماعيل وذلك سنه سبع وثلاثين وثلاثمائة هجري استوطنها وسماها بالمنصورية وهي منزل الولاة" [4].

وقد كان لهذه المدينة خمسة أبواب؛ الباب القبلي والباب الشرقي وباب زويلة وباب كتامة وهو جنوبي وباب الفتوح وكان تخرج منه الجيوش الفاطمية[5]. وعندما ولي الخلافة من بعده المعز (342هـ /952م) كانت له أعماله العمرانية في المنصورية مثل بناء القناطر لتوصيل المياه إليها من مسافة 40 كم، أي مسيرة يوم

---

[1] المقريزي: إتعاظ الحنفاء، ص 109.

– سنوسي يوسف إبراهيم: زناته والخلافة الفاطمية، مكتبة سعيد رأفت، د.ط ، القاهرة، د.ت، ص 195، 196.

[2] خرج المنصور في طلبه بشجاعة قوية فلم يزل يهزمه ويقتفي أثره إلى أن أخذه جريحاً في جبل كيانة وفي بعض المصادر كتامة، وكان ذلك في شهر المحرم من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، فسلخ جلده وجعل فيه ما ملأه تبناً حتى عاد صورة هائلة، وأمر المنصور بإدخاله في قفص وجعل معه قردين يلعبان عليه وطيف به من جبال صنهاجة إلي المهدية، ثم صلب إلى أن مزقته الرياح وكان يفعل في الإسلام أسوأ ما يفعل أنظر: المقريزي: أتعاظ الحنفاء، مصدر سابق، ص 125.

[3] سعد زغلول: العمارة والفنون في دولة الإسلام، مرجع سابق، ص 369.

[4] البكري: مصدر سابق، ص ص 33،31.

[5] المصدر نفسه.

– التجاني: رحلة التجاني، مصدر سابق، ص 330.

في ذلك الوقت، فتملأ الخزانات التي حفرت على شكل مواجل (بحيرات) كبيرة حتى أطلق على بعضها اسم البحر، كما شيد بها القصور مثل قصر البحر نسبة للبحيرة التي كان يطل عليها وقد تم بناؤه بالحجر المنحوت المقطوع من الجبال ومن أشهر قصور المعز قصر (الإيوان) و(الخورنق)[1]. ولقد ازدهرت أحوالها التجارية والعمرانية وكان الماء يجرى بها في وسطها، كما تميز سورها بسمكه وكان عرضه اثني عشر ذراعاً[2].

واهتم الفاطميون اهتماما كبيراً بالمنطقة الجغرافية الواقعة بين القيروان ورقادة من جهة ومصر من جهة أخري[3]، وهى طرابلس الغرب وبرقة، وكانت لهم بها آثار عمرانية. ويرجع اهتمام الفاطميين بالعمران والمنشآت الحضارية في مدينتي طرابلس وبرقة إلى أنها تمثل بالنسبة للدولة الفاطمية بإفريقية مفتاح مصر وخصوصاً برقة، وعملوا على تدعيم نفوذها وتأسيس عمائرها الرئيسية كمدينة حربية، وازدهرت أحوالها. وعلى الرغم من اندثار معظم هذه الآثار الفاطمية، إلا أنه زودنا الرحالة والجغرافيون والمعلمون في العصور الوسطي كالبكري وابن حوقل بالكثير من المعلومات عنها، وما عثر عليه من كتابات يحتفظ بها متحف الآثار بمدينة البيضاء ومتحف طلميثة، وهذا يدل دلالة واضحة على ازدهارها خلال العصر الفاطمي[4]. ويوجد بمدينة أجدابيا جامع يرجع إلى العصر الفاطمي وهو جامع حسن البناء، بناه أبو القاسم بن عبيدالله، له صومعة مثمنه بديعة العمل[5]، وحمامات، وفنادق كثيرة ، وأسواق جامع طرابلس الأعظم الذي بناه الفاطميون، وهو جامع واسع على أعمدة مرتفعة وسقفه حديث التجديد، وبه منار

---

(1) سعد زغلول: العمارة والفنون في دولة الإسلام، مرجع سابق، ص 370.

(2) البكري: مصدر سابق، ص 45.

(3) ولذلك قام المعز لدين الله بعد رحيله إلى مصر ببناء القصور، وتدل الآثار بوضوح على أن تميم هو من قام بإنجاز تلك المهمة من خلال نقش اسمه على الأحجار التأسيسية التي عثر عليها وهي مخطوطة موجودة الآن بمتاحف ليبيا في المرج وشحات وقد ورد منها (بالتقق شامل ومما أمر به الأمير تميم بن المعز على أنه هو صاحب الأشغال والمكلف بهذه التأسيسات والتي تبلغ العشرات انظر: عثمان الكعاك: مسالك القاهرة، د.ن، القاهرة، د.ط، 1969، ص ص 33، 34.

(4) محمد عبدالله كامل: مرجع سابق، ص 47.

(5) البكري: مصدر سابق، ص 5.

- صالح مصطفى المزيني: مرجع سابق، ص 156.

- عثمان الكعاك: مرجع سابق، ص 33.

مرتفع قائم من الأرض على أعمدة مستديرة، وكان بناؤه في العام المكمل للمائة الثالثة على يد خليل بن إسحاق [1].

كما عثر على آثار فاطمية في مدينة برقة، وهي شاهد لقبر طاهر بن علي والذي عثر عليه في منطقة تعرف بوادي الكوف تقع بالقرب من مدينة البيضاء، وقد تم نقله إلى المتحف وهو مؤرخ بسنة (359هـ/969م) ويرجع إلى عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله [2].

كما عثر على نص محفوظ في متحف طلميثة، وهذا النص نص كتابي قد نقش على جزأين من عمود خاص، الأول نصه (لا الله إلا الله محمد رسول الله)، أما الثاني فنصه (مولانا الإمام المعز خليفة الله)، ويتضح من هذه الكتابات التي خطت بالخط الكوفي المؤرخ أنها معاصرة لكتابات الشاهد، إلا أنها أكثر تطوراً في حيث كانت كتابات الشاهد بالخط الكوفي البسيط على لوح حجر رملي على شكل مستطيل، وقد كتبت هذه النصوص بهيئة غائرة ومتقنة من أحد عشر سطراً، ويحيط بها إطار بارز من نفس ماده الشاهد والذي نص كتابته (بسم الله الرحمن الرحيم لا الله إلا الله وحده لا شريك له محمد عبده ورسوله نور السماوات والأرض نور قبر طاهر بن علي وتوفي في شهر رمضان من سنة تسع وخمسين وثلاثمائة رضي الله عنه) [3].

---

[1] التجاني، مصدر سابق، ص 70.

[2] محمد عبدالله كامل: مرجع سابق، ص 47.

[3] المرجع السابق، ص 48.

الخاتمـــــــــــــــــــة

تناولت هذه الدراسة التاريخية بالبحث والتقصي مرحلة هامة من مراحل تمدد الإمبراطورية الإسلامية ونشأة الدولة الفاطمية بكل تأثيراتها الحضارية والثقافية والاجتماعية في إفريقية في الفترة من (297 - 440هـ/909-1055م) وتوصلت الدراسة من خلال العرض التاريخي لهذه الفترة إلى نتائج تاريخية من أهمها ما يلي:

- إن الفكر السياسي الإسلامي (Islamic political thought) القائم على التشيع المذهبي والذي ظهر في الشرق الإسلامي وجد صداه في إفريقية عندما تحولت الدعوة الشيعية من مجرد دعوة إلى قوة سياسية تمكنت من تأسيس دولة قوية في إفريقية على أيدي قيادات شيعية. وتمكنت هذه الدولة من بسط نفوذها الحضاري القائم على فكرة التشيع في كل أجزاء شمال إفريقية على أنقاض دول سابقة وامتدت إلى مصر وأصبحت لها مكانة كبيرة في مجريات التاريخ الإسلامي.
- توصلت الدراسة إلى أن من أهم الأسباب التي ساعدت في قيام الدولة الفاطمية ضعف الدولة العباسية في بغداد وضعف الأمراء العباسيين في إفريقية
- وتؤكد الدراسة على أن قيام هذه الدولة قد جوبهت في بادئ الأمر بمعارضة على الصعيد المحلي من المجموعات التي كانت تتمسك بفكرة المقدس المحلي، إلا أن قوة الدعوة وما صاحب تلك من قوة عسكرية تمكنت من إخضاع أولئك المحليين من البربر ليكونوا في النهاية سنداً لهذه الدولة.
- تمكن الفاطميون من توطيد أركان دولتهم بتبنيهم سياسة الحزم ضد أعدائهم وتمكنوا من إخماد الثورات والقضاء على الدول التي قامت بهذه المنطقة.الأمر الذي ساعد في بسط سلطانهم على الولايات الأفريقية وتطلعهم نحو الدولة الأموية في الأندلس.
- تؤكد الدراسة على تأثير قيام هذه الدولة ودورها الحضاري في المنطقة، وقيامها بنشر مبادئ الإسلام على النهج الشيعي.

- تذهب الدراسة إلى أن الدولة الفاطمية قامت بإرساء دعائم اقتصادية جبارة في المجال الزراعي والتجاري والصناعي واهتمت بمقومات هذه الأنشطة، الأمر الذي أدى إلى الانتعاش الاقتصادي الأمر وساعد بدوره في رخاء السكان ومن ثم الاستقرار السياسي للدولة.

- الدولة الفاطمية ساهمت في نشر الثقافة من خلال اهتمامهم بالمنشآت الثقافية والعناية بالعلماء ومساهماتهم الفكرية والأدبية والعلمية والفنية وتشجيعهم على الإبداع في هذه المجالات مادياً ومعنوياً. هذا بجانب تشجيع الخلفاء الفاطميين حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية.

- اجتماعيا تمكنت هذه الدولة من تطوير وتحسين التقاليد والعادات التي لا تتسم بروح الإسلام الأمر الذي أدى إلى ترقية الحياة الاجتماعية في جميع جوانبها.

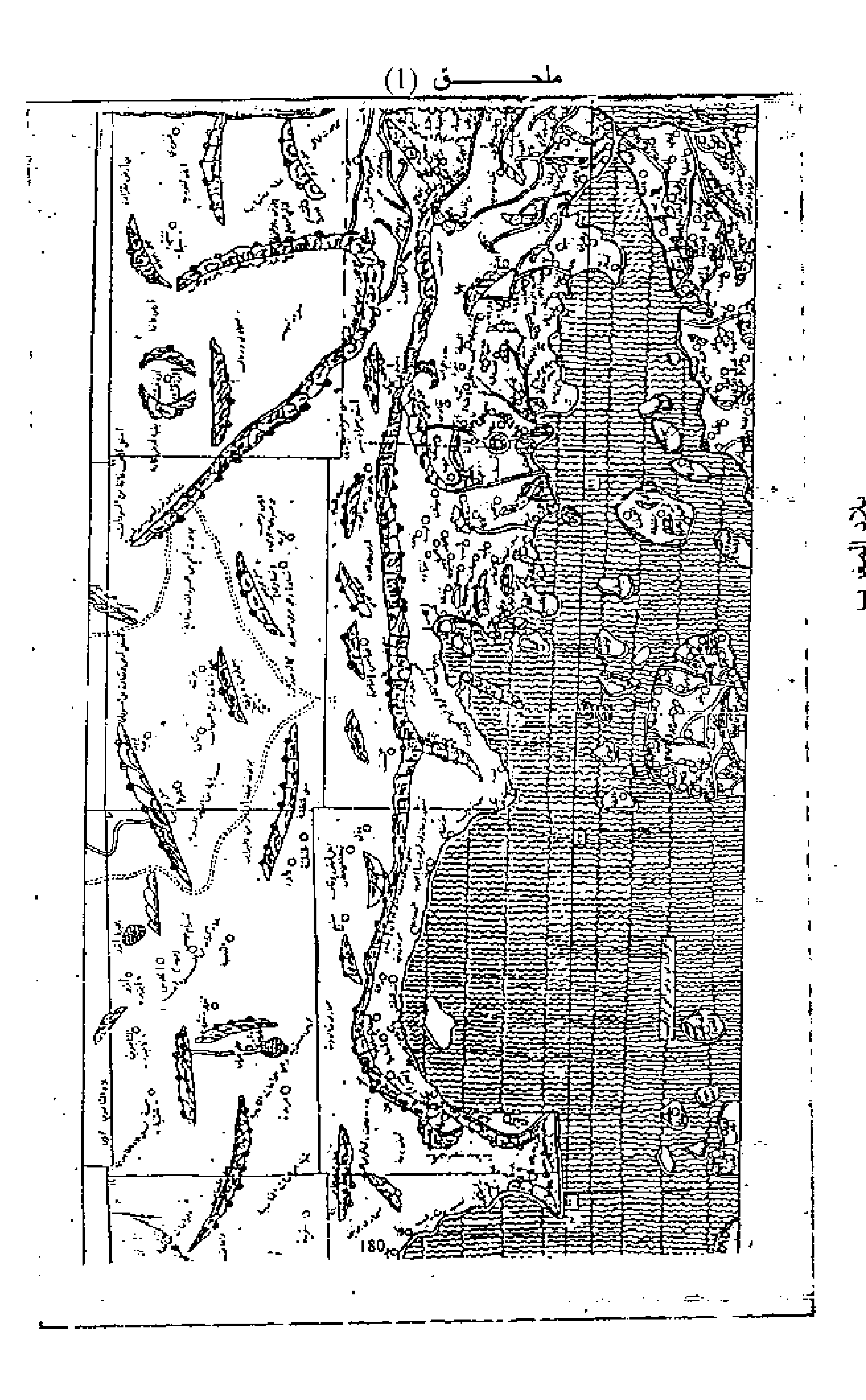
- على صعيد المعمار الإسلامي وما يشتمل عليه من قصور ومساجد ومدن وغيرها تمكن الفاطميون من رسم بصماتهم الخاصة على هذه المنشاءات المعمارية التي بقيت شاهداً على عظمة هذه الدولة.

- أخيراً تؤكد الباحثة على أن الفاطميين كدولة كانت نواة للدولة الشيعية القوية التي أثرت بما لا شك فيه في تجديد الدعوة الشيعية واستمراريتها في الدعوة المذهبية الشيعية ووصلها على الصعيد السياسي كما هي الحال في الوقت الراهن في حركة الأحزاب الشيعية وعلى الصعيد الدولي كما هي الحال في ظهور جمهورية إيران الإسلامية. وتؤكد الباحثة كذلك أن الدعوة الحديثة والبحث عن نموذج الدولة الفاطمية ستجد صداها في المنطقة لتجاوز إشكاليات الدول القطرية التي قامت في المنطقة الجغرافية محل الدراسة.

الطالبة

الملاحق

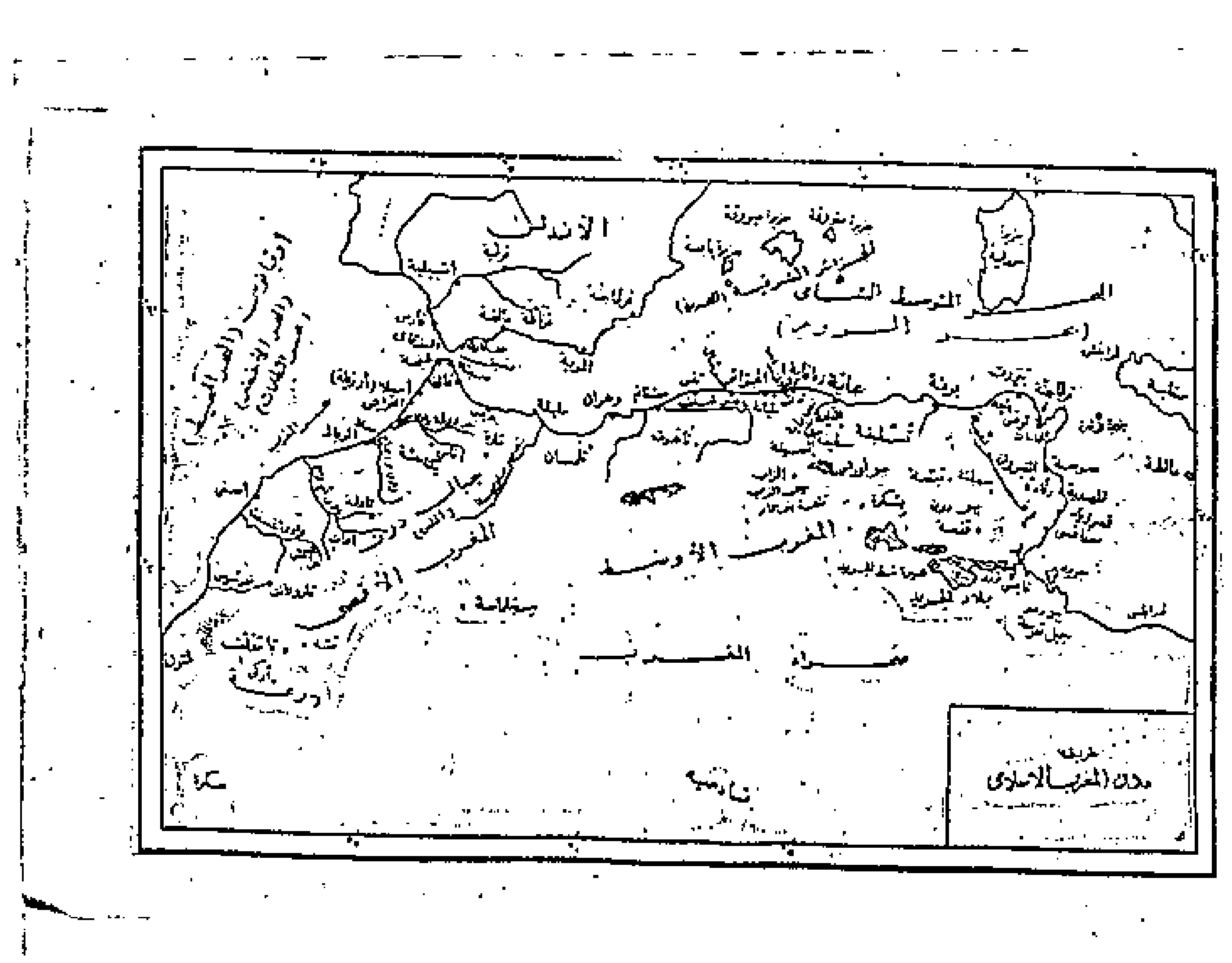
ملحق (1)



بلاد المغرب

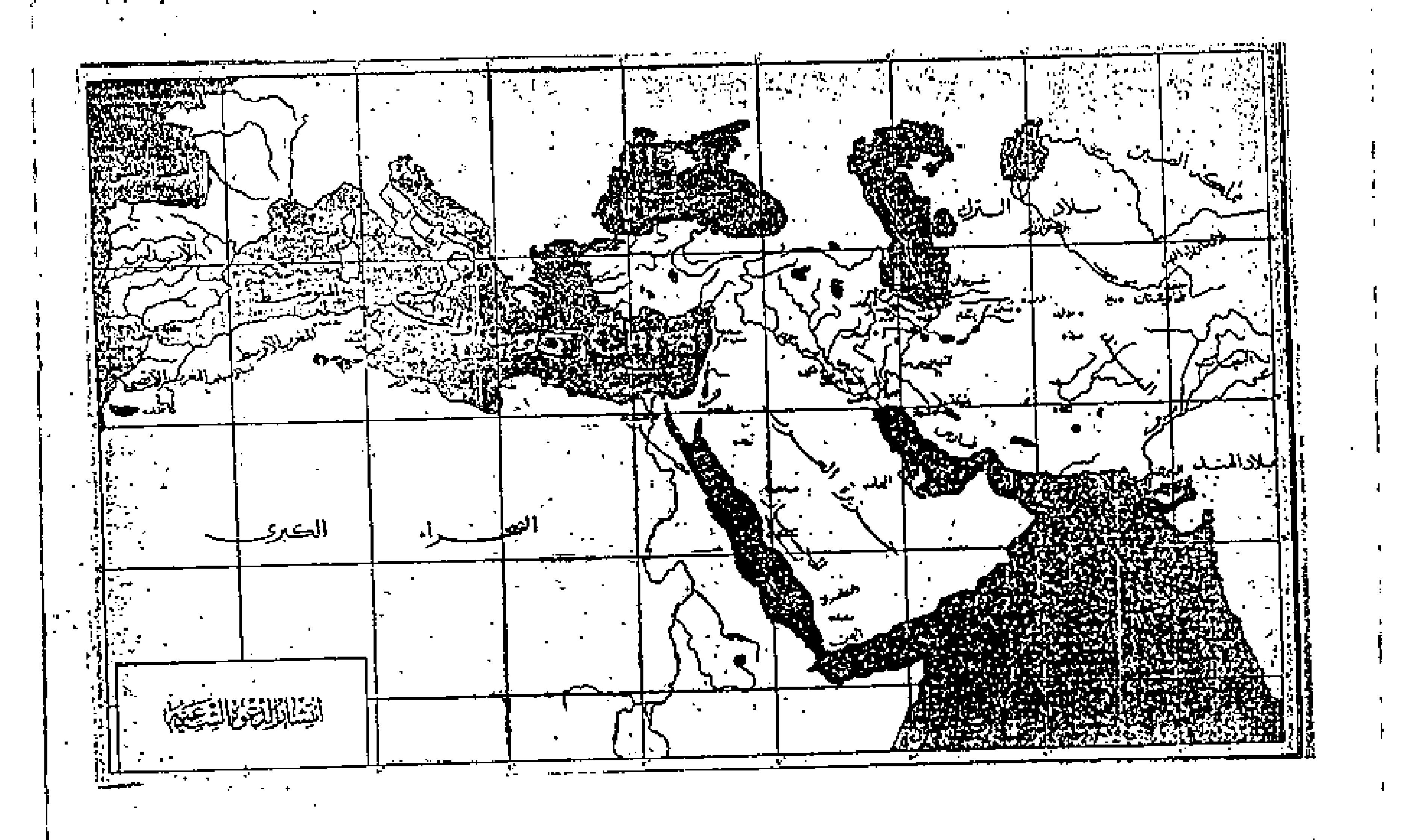
الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 397

ملحــــــق (2)



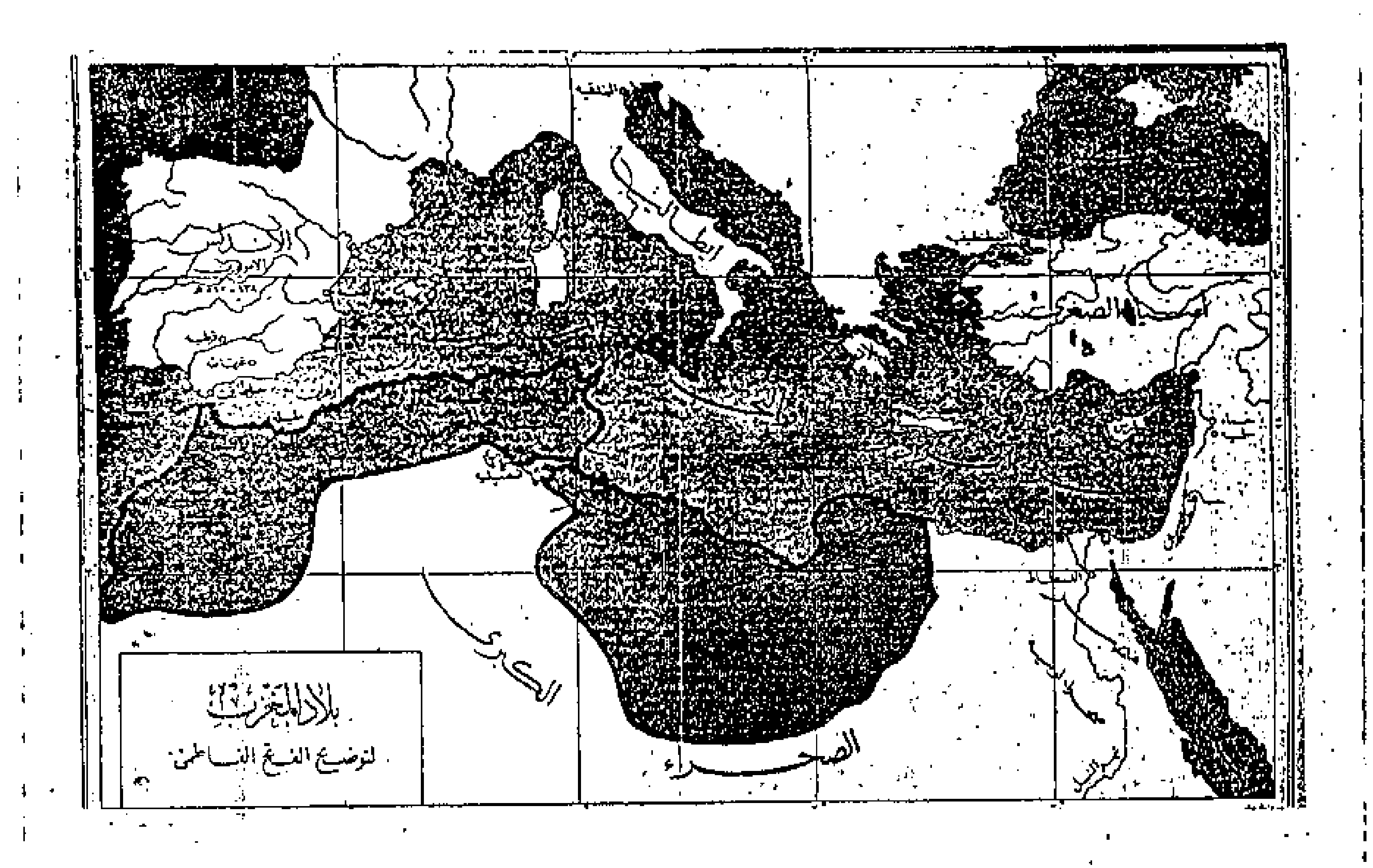
د. عبد المنعم ماجد ، الأطلس التاريخي العالم الإسلامي في العصور الوسطى ، خريطة 10

ملحـــــق (3)



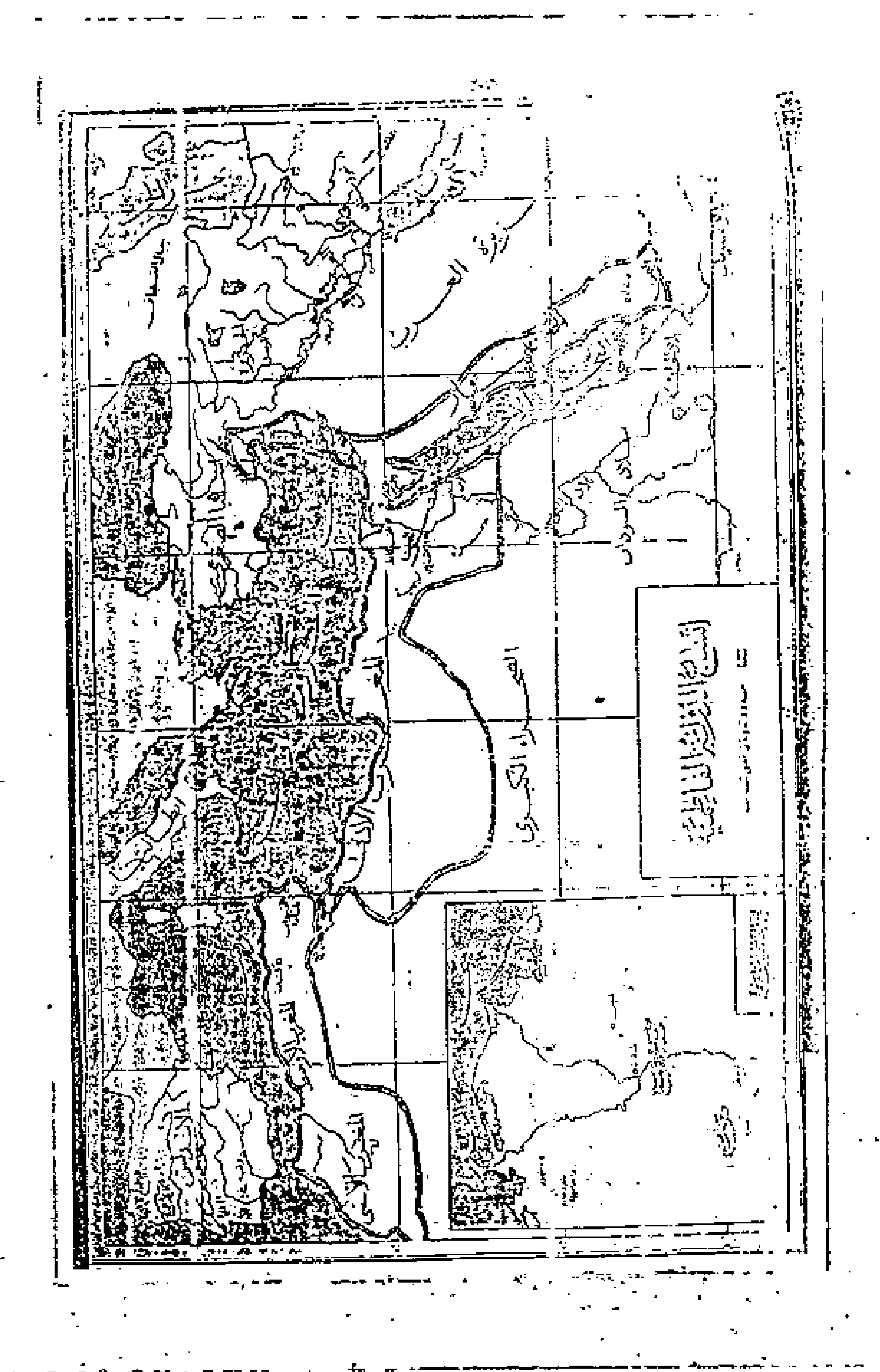
حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية، في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ،ص 29

ملحق (4)

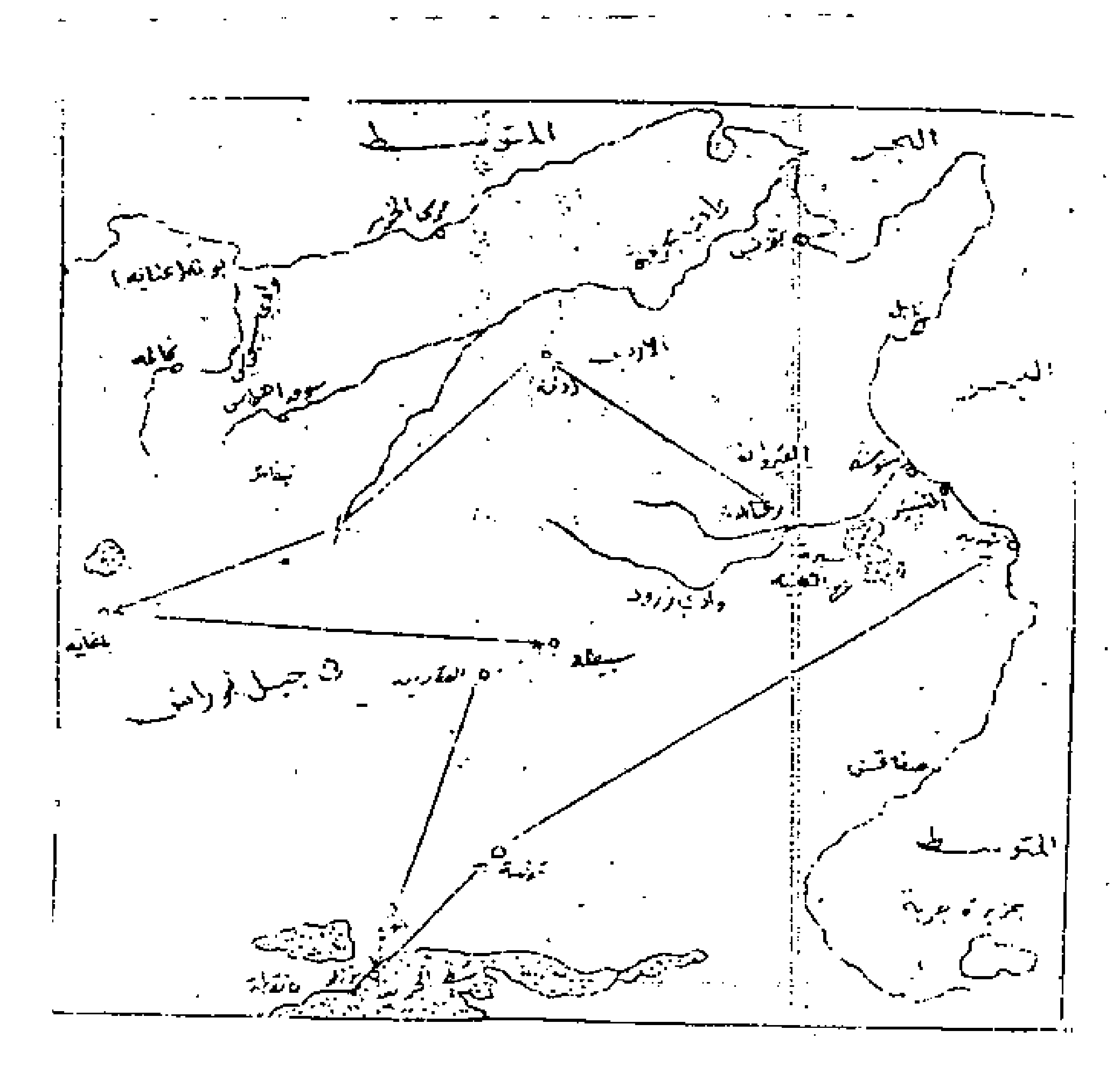


حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ، ص 47

ملحـــــق (5)



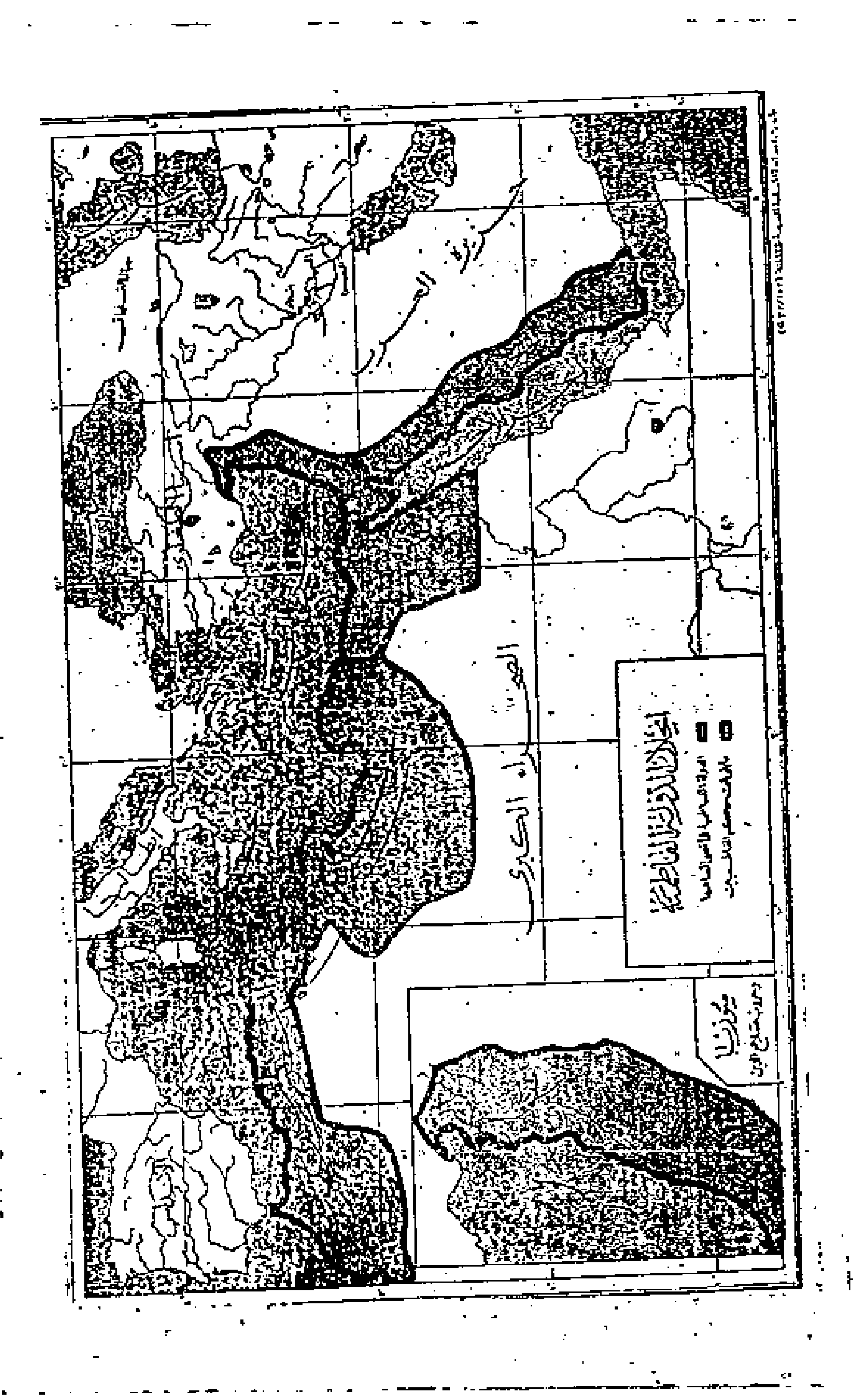
ملحـــــــق (6)



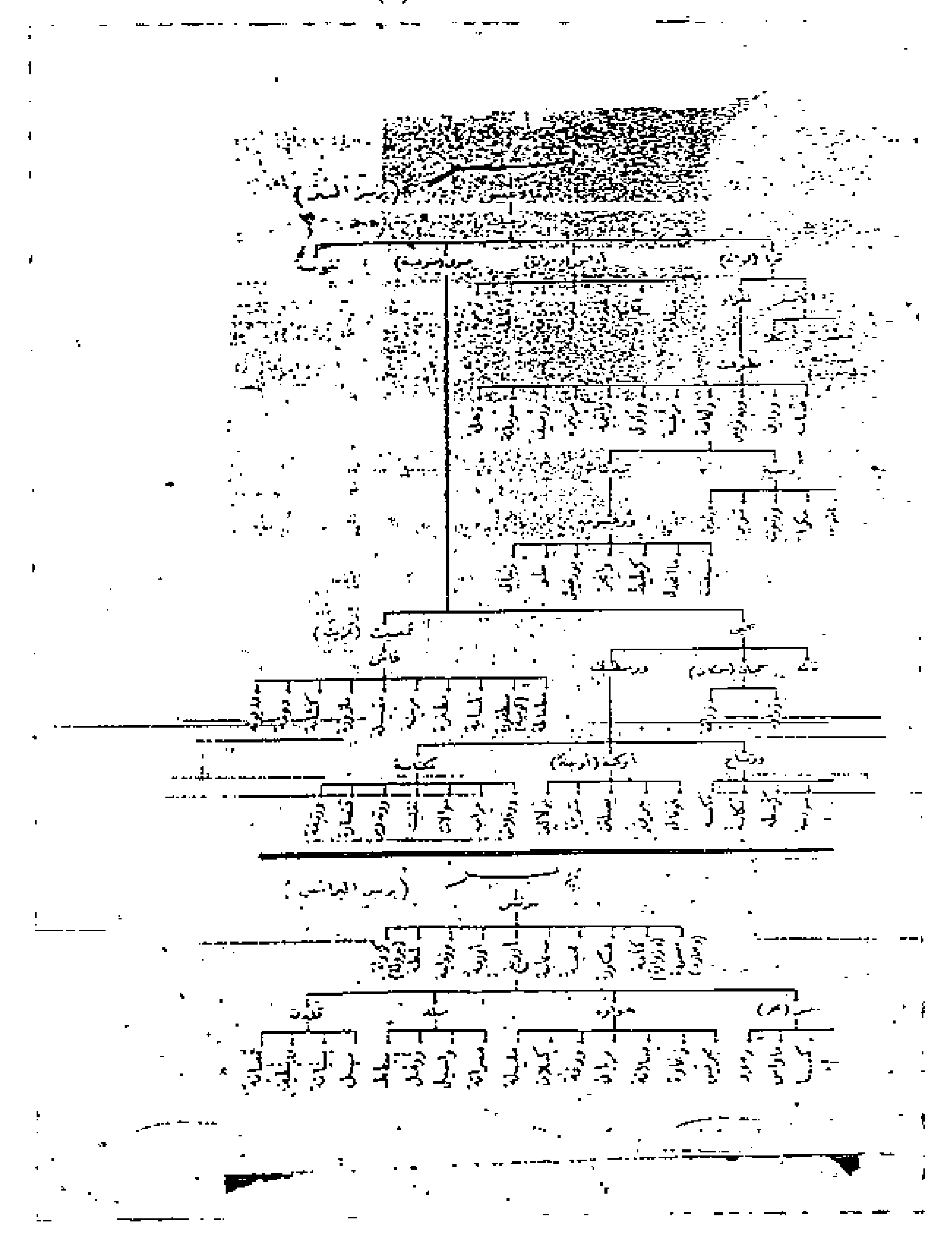
التوسع الفاطمي في المغربين الأدنى والأقصى أيام المعز لدين الله

عن رسالة دكتوراه للطالب صالح الحاج بعنوان المغرب العربي من خلال سياسة العز لدين الله الفاطمي ص 473

ملحـــــق (7)



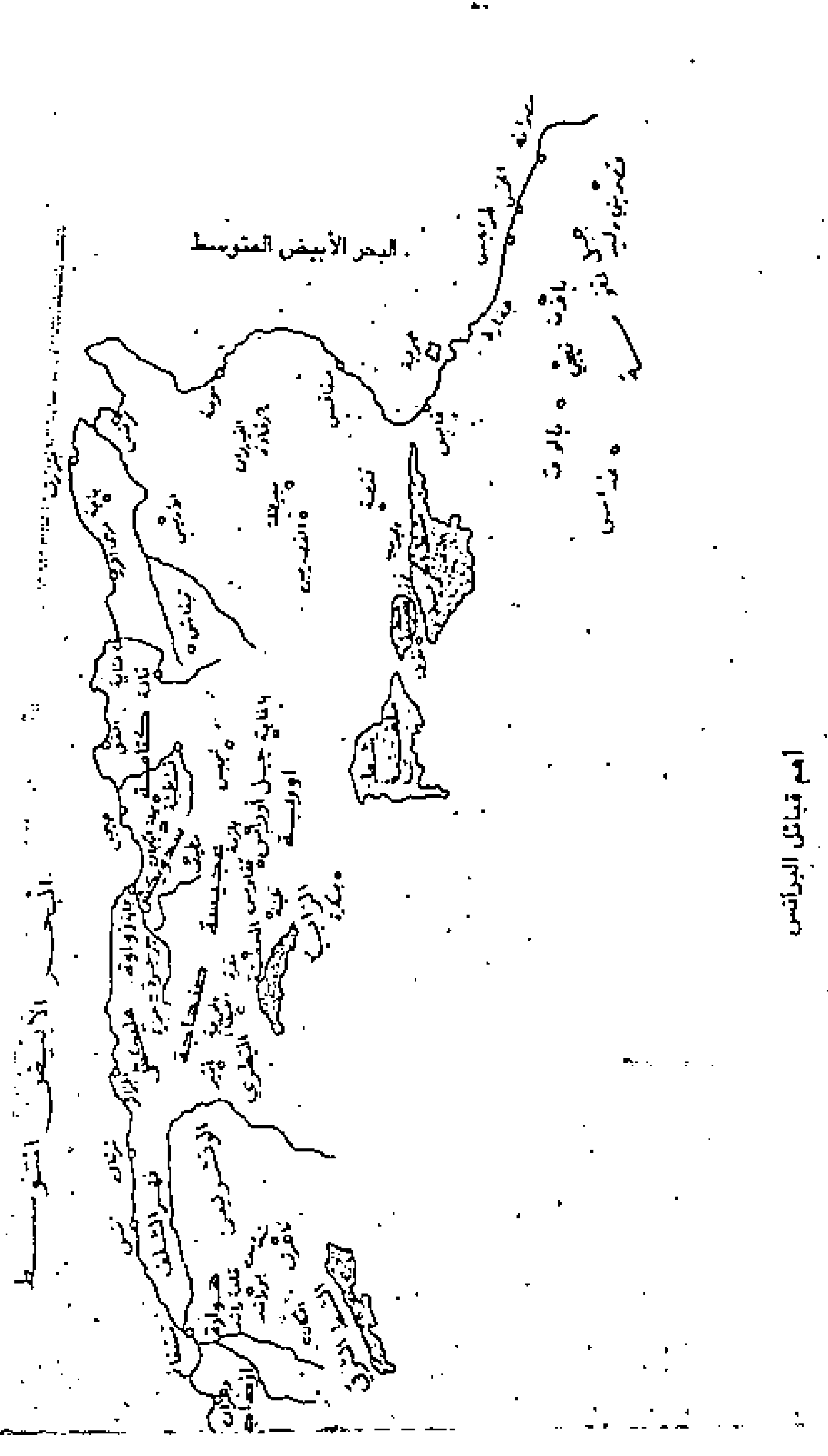
ملحــــــــق (8)

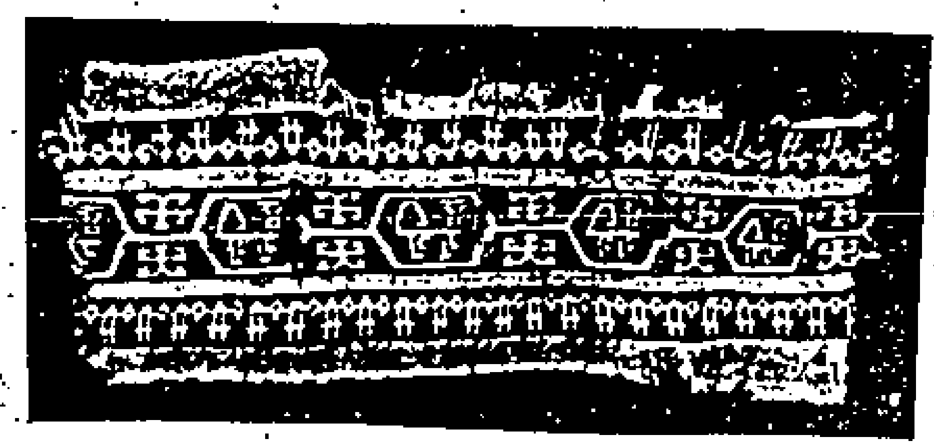


توزيع قبائل البتر والبرانس

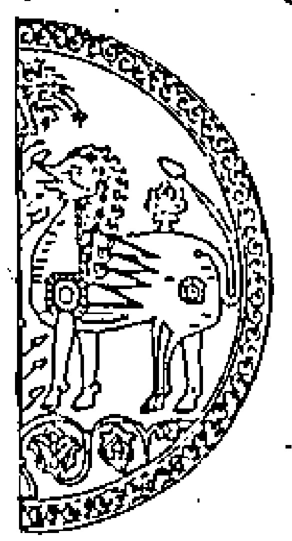
سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال

ملحـــــق (9)





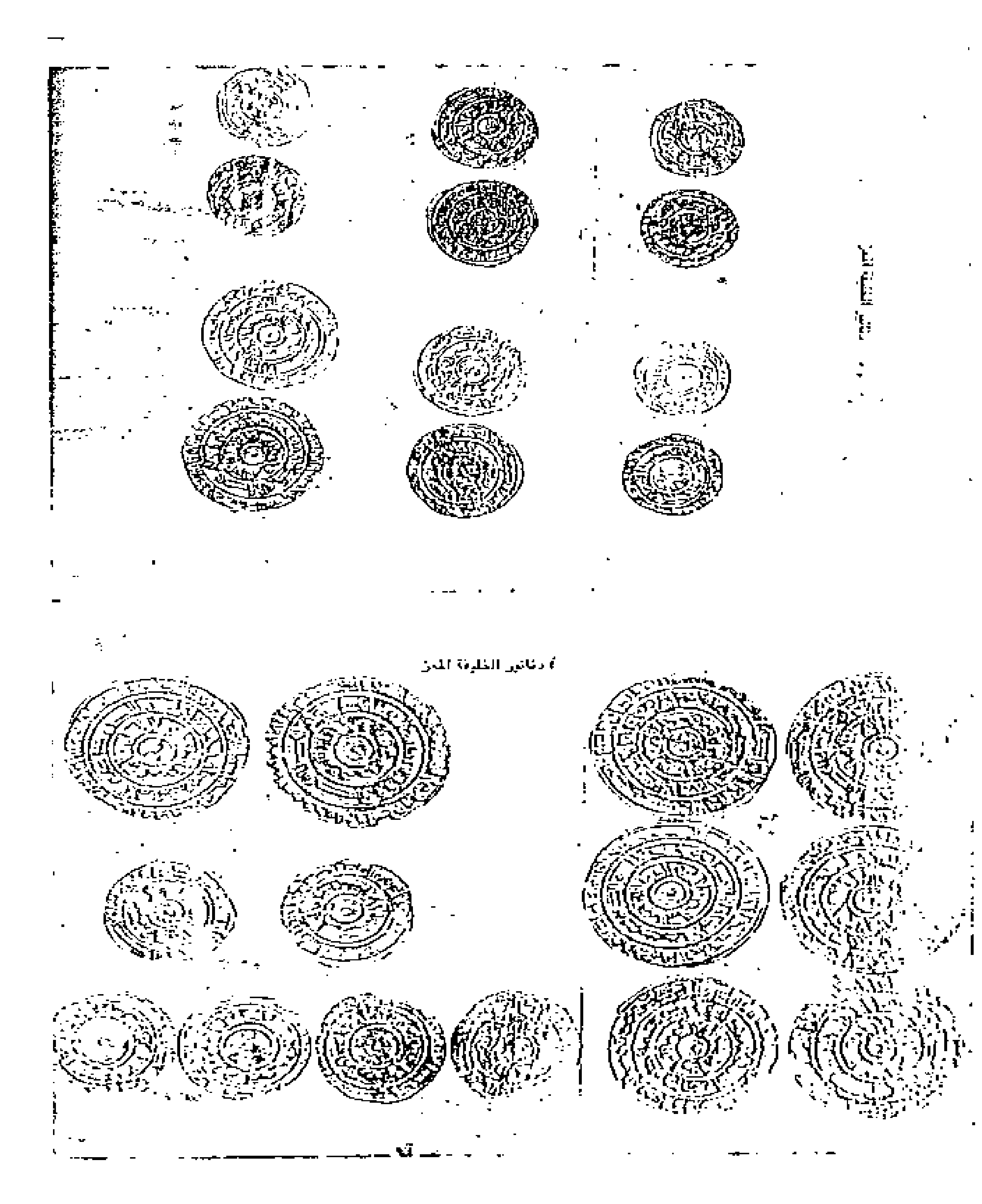
نسيج كتان فاطمي ٣ أشرطة مع كتابة كوفية



نسيج حرير فاطمي برسم الحيوان

سعد زغلول ، العمارة والفنون في دولة الإسلام ، ص 75

ملحـــــــق (11)



مايسة محمود داود ، المسكوكات الفاطمية

المصـــــــادر والمـــــراجع

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- ابن الآبار أبو عبدالله القضاعي: الحلة السيراء، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ط1، 1962.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أحمد: الكامل في التاريخ، ج/3، ج/4 ج/6، ج/7، تحقيق: أبي الفداء عبدالله القاضي، دار_الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1998م.
- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد: رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د. ط1، د.ت، ص 535.
- ابن حوقل أبوالقاسم النصيبي: صورة الأرض في الطول والعرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1979.
- ابن خرداذبة، أبو القاسم بن عبد الله: المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، ط1، د.ت.،
- ابن خلدون ، محمد بن عبد الرحمن : العبر ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من_السلطان الأكبر، ج/1، ج/2، ج/3، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.
- ابن خلدون ،محمد بن عبد الرحمن: المقدمة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1996
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج/1، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1997.
- ابن عبدالحكم، أبوالقاسم عبدالرحمن بن عبدالله القرشي: فتوح أفريقيا والأندلس: تحقيق: عبدالله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1964م.
- ابن عبدالحكم: فتوح مصر وأخبارها، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 2، 1999م.
- ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج/1، تحقيق:ج.س. كولان، دار الثقافة، بيروت، د.ت
- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم: الأمامة والسياسة، ج/1_ج/1، تحقيق: طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي، القاهرة، د. ت.
- ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبوالفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي: البداية والنهاية، تقديم: يوسف عبدالرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004.
- أبن كثير ، تفسير القران العظيم ،قدم له يوسف عبد الرحمن المرعشلي دار المعرفة ، بيروت ، ط 2 ، 2004 .

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، ج/8، دار صادر، بيروت، ط1، د.ت.
أبوالعباس، أحمد بن خالد الناصر: الاستقصاء لأخبار دول المغرب، ج/1، تحقيق:جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط1، 1954.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عمر: تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت.
– الأتابكي، جمال الدين بن تغري بدي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت،
- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1989م.
- الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي: كتاب المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال االحسيني، مراجعة: محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة، ط1، 1961م.
- البكري، أبوعبدالله: المغرب في ذكربلاد أفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.
- البكري، الوزير الفقيه أبوعبد الله بن عبد العزيز : معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا، ج/ 2، القاهرة، ط 3، 1996م.
- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان، ج/1، تقديم: إبراهيم بيضون، شرح: عبد الأمير مهنا، دار أقرأ، بيروت، ط1، 1992م.
– البيروني، أبو الريحان: كتاب الجمار في معرفة الجواهر، مكتبة المثني، القاهرة، د.ت.
- التجاني، أبو عبدالله محمد بن أحمد: رحلة التجاني، تحقيق: حسن حسني عبدا لوهاب، المطبعة الرسمية، تونس، د.ط، 1958م.
- الخشني، أبو عبدالله محمد بن حارث بن أسد: قضاة قرطبة وعلماء افريقية، تصحيح: السيد عزت العطار الحسين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1994م.
– دائرة المعارف الإسلامية:ج/15، ج/25، مركز الشارقة، الشارقة، ط1، 1998.
- الدباغ، عبدالرحمن محمد أبو زيد: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج/1، ج/3، تعليق: إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1968م
- الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم: تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: عبدالله العلي الزيدان، دار الغرب، بيروت، ط1، د.ت..
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل، ج/4، دار المعارف، القاهرة، ط3، د. ت.
- القلقشندي، شهاب الدين بن محمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج/3، ج/5، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

- القيرواني، ابن أبي دينار، أبوعبدالله محمد بن أبي القاسم: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، 1967.
-القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .
- المالكي، أبوعبدالله: رياض النفوس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994م.
- المسعودي، أبو الحسن بن علي:مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج/3، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1987م.
- المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد: أحسن التقاسيم، مطبعة بريل، ليدن، ط2 ، 1909م.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين والخلفاء تحقيق: جمال الدين الشيال، دار الفك العربي، القاهرة، ط1، 1984م.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1997م.
-- موسوعة المغرب العربي، ج/3، مكتبة مدبولي، القاهرة..
النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج/5، ج/19، ج/21، تحقيق: محمد البجاوي، دار الكتب، 1976م.
- الهمذاني، ابن الفقيه أبوعبدالله احمد إسحاق: البلدان تحقيق: يوسف الهادي، د. ن، بيروت، ط 1، 1996.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله: معجم البلدان، تحقيق: فريد الجندي، ج/ 1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، د.ط، د. ت.

ثانياً: المراجع

- إبراهيم، سنوسي يوسف: زناته والخلافة الفاطمية، مكتبة سعيد رأفت، د.ط ، القاهرة، د.ت.
- أبوزيد، عطا: اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، القاهرة، د. ط، 2005م.
- إدريس، محمد محمد: دراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية، دار الثقافة، القاهرة، 1984م.
- ارشيبالد، لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996.

- ريتز، جورج: دراسات إسلامية، ترجمة: أنيس فريحه، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1986.

- اسيديو ، ل.: تاريخ العرب العام، ترجمة: عادل زعيتر، مكتبة عيسى البابي الحلبي، د. ط، د.م، د.ت.

- الأعظمي، محمد حسن: عبقرية الفاطميين، منشورات دار الحياة، بيروت، ط1، د.ت.

- الباشا، حسن: فنون التصوير الإسلامي في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م.

- بروفنسال، ليفي: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة محمد السيد محمود ومحمد صلاح الدين، مؤسسة شباب الجامعة، إسكندرية، ط1، 1990.

- بولم، دنيس: الحضارات الإفريقية، ترجمة: علي شاهين، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

- تامر ، عارف: المعز لدين الله، دار الآفاق، بيروت، ط 1، 1982م.

- التليسي، بشير رمضان : الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، ط 1، بيروت، 2003.

- توماس، سير وأرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط2، 1957م.

- الجنحاني، حبيب: القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية، دار النشر التونسية، تونس، د.ط1، 1968م.

- الجنحاني، حبيب: المجتمع العربي الإسلامي، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1978.

- الجنحاني، حبيب: دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الغرب بيروت، ط 2، 1986م.

- حسن، إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية، دار الهلال، القاهرة، ط.1، 1964م.

- حسن، إبراهيم حسن، وطه أشرف: عبيد الله المهدي، د.ن، القاهرة، ط1، 1969م.

- حسن، زكي محمد: كنوز الفاطميين، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، د.ت.

- حسن، محمد: الجغرافية التاريخية الأفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2003.

- الخربوطلي، علي حسني: الدولة العربية الإسلامية، دار الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1966م.

- الخطيب، محمد عبدالقادر: الحياة السياسية في المغرب الإسلامي خلال القرن الأول الهجري، مطبعة الحسين، القاهرة، ط 1، 1989م.

- داود، مايسة محمود: المسكوكات الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1991م.

- زيدان، جورجي: تاريخ التمدن الإسلامي، ج 1، دار الهلال، القاهرة. 1958م..
- زيتون، محمد محمد ، القيراون ودوره في الحضارة الاسلامية ،دار المنار ، القاهرة ، ط 1 ، 1988 ، ص 174 .
- سالم السيد عبدالعزيز: تاريخ المغرب الإسلامي في العصور الوسطى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1، د.ت.
- سالم السيد عبدالعزيز: تاريخ المغرب الكبير، ج/2، الدار القومية للطباعة، د. م، د. ط، 1966م.
- السيد، محمود: تاريخ اليهود، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1، د.ت.
- السيد، محمود: تاريخ دول المغرب العربي ليبيا تونس الجزائر المغرب موريتانيا، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1، 2006.
- الشيال، جمال الدين: تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، دار الفكر العربي، الإسكندرية، 1967م.
- شيت، محمود: قادة فتح المغرب ج/1، دار الفتح، بيروت، ط1، د.ت.
- الصاوي، أحمد السيد : مجاعات مصر، دار التضامن، د.ط، د. ت .
- حسن أحمد محمود: تاريخ المغرب والأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1999م.
- أبوصوة، حسن أحمد محمود: مقدمة في تاريخ المغرب الاجتماعي والاقتصادي، منشورات اليجا، ط1 1997.
- الطالبي، محمد: الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985م.
- طه، عبدالواحد ذنون: تاريخ المغرب العربي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط 1، 2004م.
- العبادي، أحمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1، 2003..
- عبد الحميد، سعد زغلول: العمارة والفنون في الإسلام، دار المعارف، الإسكندرية، د. ط، د. ت.
- عبد الحميد، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 1979م.
- عبد المجيد، محمد: دور اليهود في الحضارة الإسلامية، الرقة، ط1، 2004م.
- عبد الوهاب، حسن حسني: ورقات الحضارة العربية بافريقية، مكتبة المنار، تونس، دط1، 1966

- عبده، عبدالله كامل موسى: الفاطميون وآثارهم المعمارية في إفريقية ومصر واليمن، دار الآفاق العربية، د.ط، د.ت.

-عنان، محمد عبدالله: الحاكم بأمر الله أسرار الدعوة الفاطمية، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ط 2، د.ت.

- غالي ادوار: معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، مكتبة غريب، القاهرة، ط 1، 1993م.

- فؤاد أيمن: "تطور الدعوة الإسماعيلية المبكرة حتى قيام الدولة الفاطمية"، ملتقى القاضي النعمان، الدورة الثانية، منشورات الحياة الثقافية، تونس، 1977م.

- فارج، فليب ويوسف كرباج: المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي ترجمة: بشير الشبلي ميناء، ط1، القاهرة، 1994م.

- فيصل، شكري: حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، د.ت.

- كحالة، عمر رضا: العلام الإسلامى مختصر تاريخ الدولة الإسلامية، المطبعة الهاشمية، دمشق، ط2، 1958م.

- كحيلة، عبادة رضا: المغرب في تاريخ المغرب والأندلس، ط1، د.ت، القاهرة.

- الكعاك، عثمان: الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ط1، 1965.

- كنون، عبدالله: مدخل إلى تاريخ المغرب، تطوان، المغرب، ط1، 1958م.

- لوبون، غوستاف: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر وعيسى الحلبي، 1969.

- مؤنس، حسين: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة اليمنية، د.ت،

- المزيني، صالح مصطفى: ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، بنغازي، ط2، 1994م.

- المطردي، محمد عبدالهادي: عقد الذمة في التشريع الإسلامي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع طرابلس، ط 1، 1987م.

- ماجد، عبدالمنعم: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، دار المعارف، الإسكندرية، ط1، 1968.

- مارسيه، جورج: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي، ترجمة: محمود عبد الصمد، منشأة المعارف الإسكندرية، ط1، 1999.

- متز، آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج/1، (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري)، تعريب: محمد بن عبد الهادي ريدة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2،، 1984.

- مشرفة، عطية مصطفي: نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين (358-567هـ/968-1171م)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1998م.

- ميلاد، أحمد: إفريقية منذ الفتح الإسلامية إلى نهاية الدولة الأغلبية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1999م.

- نتنج، انتوني: العرب انتصاراتيم وأمجاد الإسلام، ترجمة: راشد البراوي، مكتبة الأنجلو، القاهرة، د. ط، 1974.

- النجار، محمد مصطفى: تاريخ الخلفاء الراشدين، منشورات الجامعة الإسلامية، ط 1، 1969م.

- نويصر، حسن محمد الآثار الإسلامية،مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1996.

- كاهنا، كلودي: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة: بدرالدين القاسم، دار الحقيقة، بيروت، ط1، د.ت.

- ول ديورانت: قصة الحضارة الإسلامية، ج 2، ترجمة: محمد بدران، القاهرة، 1964م.

- اليعلاوي، محمد: تاريخ الأداب بإفريقية في العهد الفاطمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986م.

ثالثاً: الرســــائل الجامعية:

- الحاج، صالح: المغرب من خلال سياسة المعز لدين الله، (رسالة دكتوراه)، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2000م.

- سلام، وسام محمود أحمد: المراكز التجارية في مصر في العصر الفاطمي، (رسالة ماجستير)، جامعة المنوفية، 2006م.

رابعاً: الدوريـــــــــــــــــــات

- مصطفى علي ديدوار: "الطب المصري في العصر الفاطمي وأثره في الحضارة الأوربية"، مجلة المؤرخ العربي، العدد الحادي عشر. القاهرة، د. ط، 2003، مج/1.

- أسامه سيد أحمد: "دور السكة في تحديد الوضع السياسي للفاطميين"، المجلة التاريخية المصرية، مج 41/ 2001.

- عبد الله الكرماني: "الرسالة اللازمة في صوم شهر رمضان وحينه"، تحقيق: محمد الناصر، مجلة كلية الأداب، القاهرة، د.ط. 1969م، مج 31، ج/1، 2.